فهرست الجزء الثاني من كتاب المدخل لابن الحاج

١٥١٢٩

صحيفه

صحيفه

صحيفه

الجزء الثاني من كتاب المدخل للعارف
بربه سيدي محمد العبدري
الشهير بابن الحاج
نفعنا الله به
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

* (فصل في ذكر آداب المتعلم) * قد تقدم رحمنا الله تعالى واياك ذكر بعض
آداب العالم وفي ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم اذ أن الغالب فيما ذكر
اشتراكهما في ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض نبذ يسيرة ينبغي التنبيه عليها
(وقد) تقدم في العالم أن تكون نيته في التعليم لله تعالى وان يظهر الحق على
نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو في حق المتعلم آكد لانه في أول
أمره متصف بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب في نفسه وهو أن
يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل ان يرتفع قدره عند الناس أو يعرف
بالعلم أو ليداوم بأخذه به أو لأن يرأس به على الجهال أو لان يشار اليه أو لان
يسمع قوله الى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن يكون
لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل لا يريد غير ذلك (ألا ترى)
الى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام اخبارا عن ربه عز وجل
حيث يقول سبحانه وتعالى لمن اتصف ببعض ما ذكر أنا أغنى الشركاء

اذهب فقد الاجر من غيري (ولا) تختلف العلماء أنّ العلم أفضل الاعمال بعد
الايمان بالله عز وجل واذا كان أفضل الاعمال فيتعين تخليصه لله تعالى
فيبتدئه أوّلا بالاخلاص المحض حتى يكون الاصل طيبا فتأتي الفروع على
هذا الاصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن
النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالاخلاص فيه
(ومن) مراقي الزلفى للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى قال بعض
السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا اه
(هذا) اذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فان كان وليه هو الذي يرشده
لذلك فيتعين على الولي ان يعلمه النية فيه وليحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب
ان يرأس به أو يأخذ معلوما عليه الى غير ذلك مما تقدم ذكره فان هذا سم
قاتل يخرج العلم عن ان يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما
تقدم ذكره فان جاءشيء من غيب الله تعالى قبله على سبيل انه فتوح من الله
تعالى ساقه الله اليه لا لأجل اجارة أو مقابلة على ما هو بصدده اذ أن أعمال
الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى انّ يحيى بن يحيى راوي الموطأ لما
ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فانه قد جاء شاب في سنك
فقرأ على ربيعة فما كان الا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة
وحضر ربيعة بعده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة
حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لي وقال للملائكة هذا عبدي فلان كانت
نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون قال
فقلت وما ينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغي له أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا
في زيادته ولا في تنزيله في المدارس ولا في الوقوف على أبواب من يرجى ذلك
منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا في نيته ووقع عليه الذم بنص
كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها
ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما لأن يكون مدرس
المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح من الاوّل أو لأن تتكرر عليه مسائل

العلم وتثبت وان كان الثانى أقل علما من الاول لالاجل معلوم فانه اذا فعل
غير ما ذكر كان قدحا فى نيته كما تقدم والمبتدى يحتاج الى تخليص نيته أكثر
من المنتهى لان المنتهى عارف بالدسائس التى تدخل عليه ان حصل له
التوفيق له بخلاف المبتدى (واذا) كان ذلك كذلك فلا يضره أخذ
المعلوم مع اشتغاله بالعلم لوجه الله تعالى على ما سبق (اللهم) الا أن لا يقدر
على تخليص نيته لله تعالى لبقاء تعلق خاطره بالاسباب وبأخذ المعلوم فان
كان كذلك فترك التعلم والتعليم أولى به لانه ان فعل ذلك وقع فى بحر مخوف
والغالب فيه العطب (لما) ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث
يقول من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام أو كما قال عليه الصلاة
والسلام وقد تقدم ان أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى تعلم العلم
فيخاف عليه فتركه أولى به فان اضطر الى مسئلة فليسأل عنها أهل العلم
وحينئذ يقدم عليها (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى اذا علمت علما فلير عليك
أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة
الانبياء ومن ابن يونس وذكر أيضا عن مالك انه قال لم يكونوا يهذرون الكلام
هكذا ومن الناس من يتكلم بكلام شهر فى ساعة واحدة (ولا) حجة لاحد
فى قول من قال من العلماء طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى العلم ان يكون الا لله
(والجواب) عنه من وجهين (أحدهما) وهو الظاهر انه كان أولا جاهلا
لا يعرف ما يلزمه من الوظائف الشرعية فلما ان قرأ العلم وجد قواعده
ماشية على خمسة أقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم فلما ان علم
الواجب لم يسعه الا فعله وكذلك المحرم عكسه والمندوب ماله فى فعله ثواب
وليس عليه فى تركه عقاب والمكروه ضده والمباح ما استوى طرفاه فالمكلف
مخير فى فعله وفى تركه فاتبع العلم وباتباعه صار لله تعالى لان نيته كانت
محرمة عليه أولا فوجد العلم عنها فتركها وقد نقل معنى هذا القاضى أبو
بكر بن العربى رحمه الله تعالى فى مراقى الزلفى له فقال قال بعض العلماء العلم
من الله والعمل لله وان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم الى الله فان
العلم يأبى ان يكون الا لله اه هذا وجه (الوجه الثانى) ان هذا انسان

غرق فيسلم ولا يمكن لعاقل ان يغرر بنفسه و يرجو أن يسلم (فان) قال قائل
قد تدعو الضرورة وهو الغالب الى طلب المعلوم والى الجمع بين مدارس
جمة لاجل قيام البنية وضرورات البشرية (فالجواب) ان هذا الباب منه
وقع الخلل ورجعت أعمال الآخرة لمجرد الدنيا وهو عطب عظيم اذ أن الدنيا
لا تطلب بعمل الآخرة (واذا كان) ذلك كذلك فلا يخلو طالب العلم من أحد
أمرين اما ان يكون قويا في دينه واثقا بربه أو لا يكون كذلك (فان) كان
الاول فاشتغاله بالعلم واقباله عليه أولى به من أن يدور على المدارس أو غيرها
لان الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصا كما تقدم (فان) احتج محتج بقوله
تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فجعل المشي سببا للرزق (فالجواب)
انك اذا نظرت الى تمام الآية من قوله تعالى واليه النشور بان لك ان آخر
الآية الكريمة فيه التنبيه للمتسببين على التحفظ فيما يحاولونه من الاسباب
كلها اذ أن يوم النشور فيه الحساب ففي ذلك اشارة الى الورع في السبب خيفة من
الحساب والمناقشة يوم النشور ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تزول
قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن
جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما
أنفقه اه (وقد) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو اخماصا وتروح
بطانا اه فأرشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا الى ترك الاسباب الدنيوية
والاشتغال بالاعمال الأخروية ثقة بالله تعالى وبكفايته فانه العليم الخبير
الكريم (فان) احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالاسباب فقال طيران
الطائر سبب في رزقه (فالجواب) ان طيران الطائر في الهواء لا يماثل التسبب
في الرزق لان الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد (ألا ترى) انه ينزل
في مواضع شتى ليس فيها شئ ولا عقل له يدرك به فدل على ان طيرانه
في الهواء ليس هو من باب طلب الرزق وانما هو من باب حركة يد المرتعش
لا حكم لها فيتردد في الهواء حتى يؤتى برزقه اليه أو يؤتى به الى رزقه وهذا
الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لا حكم له في الرزق ولا ينسب
اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه متوكلا مع طيرانه ولذلك مثل به

والعاقل المكاف أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل
الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من
القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه
متسعة فيتسبب في شيء يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من
أن يأخذ أوساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك
القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف
رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من اسباب
الآخرة وانما حدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل
الفساد على كثير ممن تعاطى أسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف
للحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون
المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا
لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا وكان الرجل ينفق ماله
على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم
زيادة في باطنه وظاهره فاليوم ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن
والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لا يمكن طالب العلم التسبب في
الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا
من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم
فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره (ومن) كتاب القوت قال علي رضي
الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس
ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه
وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما
فضل عن أطراف أصابعه فقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به
المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الا ان عباد
الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروى)
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين
يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام اه
(الا ترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثوبه الذي كان فيه

المحتاج الى التعليم فينبغي له أن يكون تواضعه أكثر حتى لو صار ارضا لوطأ
كان قليلا بالنسبة الى ما هو بطلبه ولان التواضع يقبل بالقلوب عليه وينشط
من يعلمه لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير وبركة كل شئ فاذا اتصف
المتعلم بما ذكر انتفت عنه هذه المفاسد التي عمت بها البلوى في الوقت من نظر
بعضهم لبعض في العلوم وقول بعضهم كيف يأخذ فلان كذا وكذا وانا أكثر
منه بحثا وقد حفظت الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني ويقع بسبب ذلك
بينهم شنآن واتصاف بالحسد وما شاكله ويخرج ذلك الى باب الاسباب
الدنيوية ووقعوا بسببه في الوعيد الذي تقدم في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام من عمل من هذه الاعمال الخ أسأل الله السلامة عنه والغالب
ان المتعلم لا يتصف بما ذكر من الاخلاق الجيدة الا ان يبني أمره على أصل
صحيح اذ أن البناء اذا طلع على غير أصل لا ينتفع به فلا بد من أساس صحيح
جيد يعمل ثم بعد ذلك يبني عليه والاساس الذي يحتاج اليه المبتدي في هذا
الفن اتباع السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما اخذ بسبيله وكانت
أحوالهم رضي الله عنهم الهرب من الدنيا وأسبابها فان فتح عليهم بشئ منها قالوا
ذنب عجلت عقوبته وان اصابهم ضيق سروا بذلك وفرحوا به وكان ذلك
غنيمتهم ولاجل ذلك جعلهم الله أئمة يقتدى بهم ويرجع الى أقوالهم وأحوالهم
(وقد) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما معناه يا موسى اذا
رأيت الدنيا اقبلت فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيتها أدبرت فقل اهلا
بشعار الصالحين (وقد دعا) موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه ان
يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما تريد أن أعتق بغدائك
رقبة من النار وبعشائك رقبة من النار قال بلى يا رب قال هو كذلك او كما قال
فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بني اسرائيل
ويتعشى عند آخر وكان ذلك رفعة في حقه لتعدي النفع الى عتق من منّ الله
عليه بعتق رقبته من النار (فان) قال قائل قد كان في السلف رضوان الله
عليهم أكابر لهم اموال واسباب (فالجواب) ان اتخاذهم الاموال والعمل على
الاسباب لا يمنع اذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم في عدم
تعلق القلب بها اذ انهم كانوا فيها سواء أقبلت او ادبرت فان اقبلت قابلوها

بالايثار والبذل لله وان ادبرت قابلوها بالصبر والرضى والتسليم لان الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم فى الفقر والغنى والحركة والسكون (وقد كان) سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعنى فى الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشيئين الا اضر بالآخر يعنى من اشتغل بالدنيا أضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة اضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجمعك بين الحالتين عجيب فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم فى المعلوم او نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس فى الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء فحيث أجلسه الله جلس وما ساقه الله اليه رضيه وشكره وما منعه منه حمده على ذلك ورآه من ربه عزوجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقى العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاء ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء فى القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما اخذ بسبيله وعكس هذا الحال فى النقيض والعياذ بالله فمن اراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره فى الاقتداء بهم وباحوالهم فى القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله ان يمنّ علينا بما منّ به عليهم فانه اهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ما ينبغى عليه فى تعليمه وهو آكد من كل ما ذكر تقوى الله تعالى فان الله عزوجل يقول فى كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عزوجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى فى كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للمتعلم نفائس من المسائل لا تؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ما حصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ما عليه فى التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام وما نهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان اعبد الناس وان لم

كان له كثير من الاهل (ومن) آكد الامور عليه تخليص ذمته من اخوانه وجلسائه ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الاعظم فليحذر من هذين الامرين الخطرين اللذين قد عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة فالنميمة ان تنقل حديث قوم الى آخرين والغيبة ان تقول فى غيبة الشخص ما يكرهه وان كان حقا واما ان كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينه (الاترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع أي بلد هذا الى ان قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم الى أن قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فأكد الامر فى الثلاث كما ترى (والناس) فى ذلك منقسمون على أربعة أقسام لاخامس لها (القسم الاول) السالم من الجميع أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والسابقون السابقون أولئك المقربون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (القسم الثانى) عكس الاول وهو من كانت له القدرة والجدة وواقع الجميع أولئك حزب الشيطان أسأل الله السلامة عنه (القسم الثالث) من عجز عن سفك الدماء وكانت له القدرة على أخذ الاموال والوقيعة فى الاعراض ووقعهما معا فقد لحقه الاثم فى فعله والتحق بالاول بنيته اذ لولا عجزه عنه لفعله (القسم الرابع) من عجز عن الدماء وأخذ الاموال ووقع فى الاعراض لقدرته عليها فيكون آثما فى الثالث لفعله له ملحقا بأصحاب الدماء والاموال بنيته لقوله عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اه (واذا) كان ذلك كذلك فيكون عنوان الصدق فيمن ادعى الورع عن الدماء والاموال استعفافه عن الاعراض فان استعف عنها كان دليلا على صدقه فى ترك الفعلين المتقدمين وان تعاطى الثالث أو بعضه كان ذلك دليلا على كذبه فى الاول والثانى فيخاف عليه أن يلحق بهما أسأل الله السلامة عنه (واعلم) ان غيبة كل انسان بحسب حاله قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله غيبة الصالحين فى ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون اللهم

تب عليه وكذلك يقعون بسبب غيرتهم في الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم في دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره القول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشاكلها ويحفظان منها اذ أن بحفظهما يحفظ كل من رآهما أو علم حالهما لانهما قدوة للمهتدين

(فصل في أوراد طالب العلم) وينبغي له أن لا يخلي نفسه من العبادات وأن يكون له ورد من كل شيء منها اذ أنها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع في قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة فعم الطرفين وجعل من الثالث جزءا والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل في غدوته أو في روحته بشيء من أعمال الآخرة أو بشيء من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهي الاستعانة الحقيقية (لقصة) معاذ بن جبل وأبي موسى الاشعري رضي الله عنهما لما أن بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال أحدهما للآخر كيف تقرأ القرآن قال أقرأه قائما وقاعدا ومضطجعا وأفوقه تفويقا ولا أنام وقال معاذ رضي الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لابي موسى الاشعري رضي الله عنه هو أفقه منك يعني معاذا الذي كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون ماشيا على منهاجهم في تصرفاتهم ولأي شيء كانوا يتصرفون وحسن نياتهم في ذلك كله (والقول) عمر رضي الله عنه ما من حسنة الا ولها أخيات (وان) كان في سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أموت بين شعبتي رحلي أبتغي من فضل الله أحب الي من أن أموت على

فراشى (وقد) كان بنو اسرائيل اذا أراد أحدهم أن يتعلم العلم انقطع للعبادة أربعين سنة حتى يصفو بها قلبه وينشرح صدره فحينئذ يأخذ فى تعلم العلم وذلك لطول أعمارهم وأما هذه الامة فقد قال مالك رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون العلم الى أن يصل أحدهم أربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوى الفراش انتهى ومعنى طى الفراش مثل ما كان عليه الصلاة والسلام يفعل فى العشر الأواخر من شهر رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يطوى فراشه ويشد مئزره ويوقظ أهله ويقوم الليل كله (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج فى أول طلبه العلم أن يمزجه بالتعبد اذ أنه ليس ثم عمر طويل فى الغالب فى هذا الزمان حتى يترك له برهة منه فيخشى عليه أن يموت وهو فى السبب قبل وصوله للمقصود (وقد) قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تعلموا ما شئتم أن تعلموا فان يأجركم الله عليه حتى تعملوا (ولأن) العلم كالشجرة والتعبد كالثمرة فاذا كانت الشجرة لا ثمر لها فليس لها فائدة كلية وان كانت حسنة المنظر ناعمة وقد ينتفع بها للظل وغيره ولكن الذى عليه المعول قد عدم منها (وقال) ابن مسعود أيضا رضى الله عنه تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله اهـ (وليحذر) أن يتكلف من العمل ما عليه فيه مشقة أو يخل باشتغاله بالعلم اذ أن اشتغاله بالعلم أفضل كما تقدم وهذا باب كثيرا ما يدخل منه الشيطان على المشتغلين بالعلم اذا عجز عن تركهم له فيأمرهم بكثرة الاوراد حتى ينقص اشتغالهم لان العلم هو العمدة التى يأتى بها ويحذره منه بها فاذا عجز عن الترك رجع الى باب النقص وهو باب قد يغمض على كثير من طلبة العلم لانه باب خير وعادة الشيطان لا يأمر بخير فيلتبس الامر على الطالب فيخل بحاله (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ينبغى لطالب العلم أن يكون عمله فى علمه مثل الملح فى العجين ان عدم منه لم ينتفع به والقليل منه يصلحه (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن يشد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تبعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ما عدا موضعين فانه عليه السلام كان لا يفعلهما الا فى بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب أما الجمعة فقد

تبين ذلك في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ان قام بعض الناس يركع بعد الجمعة فاقعده عمر وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من الظهر والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يعب ذلك عليه ولأنها لو صليت في المسجد لكان ذلك ذريعة لاهل البدع الذين لا يرون صحة صلاة الجمعة الا خلف امام معصوم (وأما) المغرب فمن باب اللطف والرحمة والشفقة على الامة لان الغالب منهم انهم كانوا اصياما وان من كان في البيت من النساء والصبيان ينتظرون صاحب البيت حتى يأتي فيأكلون معه فلو ركع في المسجد لتشوفوا الى مجيئه (ألا ترى) انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سمع وهو في الصلاة بكاء الصبي يخفف مخافة أن تفتتن أمه سيما في حق العالم والمتعلم لانهما قدوة كما تقدم وهذا كله بعد تحصيل الفرائض وكذلك قضاء الفوائت ان كانت عليه لانه لا يفعل السنن وعليه شيء من ذلك (وكذلك) لا يخلي نفسه من ركوع الضحى لقول عائشة رضي الله عنها لو نشر لي أبواي ما تركتها ومعناه لو أحييا لي وقاما من قبريهما ما اشتغلت بهما عنها (وكذلك) يحافظ على قيام الليل ولا يخلي نفسه منه وهو خمس تسليمات غير الوتر ويقرأ فيها إما خفيفا من القرآن يكون له في ثلاث الركعات حزب معلوم من حزبين الى ثلاثة لان أحب العمل الى الله أدومه وان قل كما جاء في الحديث فان كان الحزب على هذا المقدار فالغالب انه قل أن يفوت لقلة المشقة فيه وان كان حافظا للقرآن فهذا المقدار من التلاوة يكفيه مع اشتغاله بالعلم ولا ينسى الختمة في الغالب اذا دام على ذلك (وقد) ذكر الباجي رحمه الله في شرح الموطأ ما معناه انه لم يزل الناس يقومون في بيوتهم طول السنة بهذا المقدار الذي يقومون به في شهر رمضان في المساجد لكن لما أن كان في الناس من لم يجمع القرآن كله جعل لهم شهر رمضان في السنة يجمعون فيه في المساجد ليسمع من لم يجمع الختمة كلام ربه فان قام من الليل ووجد معه الكسل وثقل النوم فاذا كان الحزب على ما وصفناه سهل عليه أمره وأتى به ورجع الى النوم ان لم يطلع عليه الفجر وعلى هذا درج من مضى ألا ترى انهم قد قالوا فيمن فاته ورده من الليل ان له أن يصليه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح وقد كانوا يغلسون بصلاة الصبح كما هو في الحديث مشهور معلوم وذلك أدل

دليل على خفة الورد (وهذا) الذى تقدم ذكره انما هو مع عدم وجود الجد
والاجتهاد وأما مع النشاط وقوة العزم فيأخذ من ذلك ما استطاع وما وجد
اليه السبيل فان وجد حلاوة المناجاة فى التلاوة فليمض فيها ولا يقتصر على
حزبه المعتاد ولو ختم الختمة وابتدأها ثانيا وثالثا وهكذا ألا ترى انه
لو قرأ مثلا فى الركعة الاولى بحزب فالمشروع فى الثانية أن يقرأ فيها بمثل
الاولى أو أقل فلو وجد الحلاوة فى الثانية فليمض لسبيله ما دام يجد ذلك
ولو طال الامر فان طلع عليه الفجر فليرجع عما هو بصدده الى الاشتغال
بفرض الوقت لكن يكمل خمس تسليمات مخففة كالنائم عن حزبه فانه يوقعه ما
بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول
ما ينبغى للمرء اذا وجد الحلاوة فى شئ أن ينتقل عنه مثل أن يجد الحلاوة فى
الدعاء فى غير الصلاة فلا يقطعه ولا ينظر الى غيره من الاوراد وكذلك ان
وجد الحلاوة فى الركوع فلا يرفع وكذلك ان وجدها فى السجود اللهم
الا ان يخاف على فوات الفرائض فى الجماعة فليقطع ذلك لاجلها وقد كان
السلف رضوان الله عليهم يغلسون بصلاة الصبح ولم يكن لهم غير جماعة
واحدة لان المقصود الاعظم بطلب العلم وقيام الليل وغيرهما مما يقرب من الله
تعالى انما ذلك كله لعل ان يحصل له شئ مما تقدم ذكره من الحلاوة فى المناجاة
فى ورده أو الدعاء أو غيرهما الا ان يعرض الفرض فيفعل كما سبق (وقد) ورد
عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه مر فى ورده بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فبقى عليه الصلاة والسلام
يكررها حتى طلع الفجر (وقد) حكى عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله ونفعنا
به أنه خرج ليلة من المسجد وقد صلى العشاء فخرج خلفه بعض اخوانه وهو
لم يشعر به فاذا هو قد رفع رجله اليمنى فوضعها على ركبته اليسرى وقبض على
لحيته بيده ورفع رأسه شاخصا الى السماء فوقف الرجل خلفه ينتظره الى أن
طلع الفجر فلما ان طلع الفجر رجع أبو يزيد الى المسجد لصلاة الصبح فرجع
الرجل خلفه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الحالة التى كان فيها أبو يزيد
والى تركه ما كان فيه واتيانه الى الفرض فى جماعة مع انهم قد قالوا ان من
كان القرآن يتفلت منه لقلة حفظه فليقم به فى الليل فى الصلاة فان ذلك

يثيبه له وماذاك الا البركة امتثال السنة فى قيام الليل سيما ان كان فى الثلث الآخر منه لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فى الثلث الآخر من الليل فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له الحديث الخ (ومعنى) النزول ههنا نزول طول ومنّ وتفضل وكرم على عباده لا نزول انتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وفى) قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم ان يفوته منها شئ (فمنها) ان يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة (الثانى) انه ينور القلب (الثالث) انه يحسن الوجه (الرابع) انه يذهب الكسل وينشط البدن (الخامس) ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدرى لنا فى السماء (وقد) روى الترمذى عن بلال وأبى امامة قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيآت ومطردة للداء عن الجسد (وروى) ابو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين (ولعلك) تقول ان طالب العلم ان فعل ماذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث (فالجواب) ان نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف ما قد يعجز الواصف عن وصفه وببركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما بعد مع ان هذا أمر عزيز قل ان يقع الا لمن يتنى به والعلم والعمل انما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله اه (وما) تقدم ذكره فيما حكاه الباجى وغيره من ان عادة السلف مضت على فعل هذه الصلاة طول السنة فى البيوت يؤخذ منه الدليل الواضح على ان ذلك لا يفعل فى المساجد ولا فى المواضع المشهورة الا فى قيام رمضان وحده (واذا كان) ذلك كذلك ففعل القيام فى غير رمضان فى غير البيوت بدعة (وقد) تقدم غير مرة أنّ البدعة لا تأتى الا بشر والخير كله فى الاتباع (وقد) نص علماؤنا رحمة

الله عليهم ان ذلك ممنوع في غير رمضان ان فعل في غير البيوت كما تقدم لكن قيام السنة في البيوت فيما عدا رمضان مخالف لقيام شهر رمضان في كونه يفعل بعد النوم في الغالب وقد يفعل قبله و يكتفي وكثير منهم من يفعله قبل النوم وبعده والغالب ان فعله بعد النوم اكثر ولا يجمعون له ولا يشهرونه بخلاف قيام رمضان في المساجد فانه لا يفعل الا قبل النوم (ولاجل) هذا المعنى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي ينامون عنها افضل يعني من نام أوّل الليل وقام آخره فهو أفضل ممن قام أوّله فقط وأما قيام السلف رضي الله عنهم فذلك أفضل على كل حال الا انهم كانوا اذا فرغوا من قيامهم في شهر رمضان يستعجلون الخدم بالطعام مخافة طلوع الفجر ولا شك ان من قام الليل كله أفضل ممن قام بعضه لانه حاز فضل الليل كله (فتحصل) من هذا أن قيام الليل ينقسم على أربعة أقسام اما أن يقوم الليل كله ولا شك في فضيلته أو يقوم أوّله وآخره وهو قريب من الاوّل أو يقوم آخره دون أوّله وهو المشار اليه بالافضلية بقول عمر رضي الله عنه والتي ينامون عنها أفضل واما أن يقوم أوّله دون آخره وهو المفضول من قول عمر رضي الله عنه (وينبغي له) ان يحافظ على ورد الصوم ولا ينبغي له أن يتعلل بأنه مشغول عنه بطلب العلم اذ صيام ثلاثة أيام في الشهر ليس فيها كبير مشقة في الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله فانه كان يفطر تسعة أيام ويصوم عاشرها وهذا كما تقدم في صلاة الليل فان وجد النشاط والقوة على أكثر من ذلك بادر اليه مع عدم وقوع الخلل فيما هو بسبيله فان ادعى انه يعجز عن صوم ثلاثة أيام في الشهر مع طلب العلم فينبغي لهذا أن يترك طلب العلم في ثلاث الثلاثة ويصومها لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله عليه الصلاة والسلام الحسنة بعشر فيكون ذلك كصيام الدهر ثم كذلك يكون حاله في جميع الاعمال لا يخلي نفسه من شيء منها كما تقدم ويكون الغالب عليه اشتغاله بالدرس والمطالعة والتفهم والبحث مع الاخوان الذين يرتجى النفع بهم ولقاء مشايخ العلم الذين جعلهم الله سببا للفتح والخير ويواظب على ذلك

(فصل في زيارة الاولياء والصالحين) وينبغي له أن لا يخلي نفسه من زيارة الاولياء والصالحين الذين برؤيتهم يحيي الله القلوب الميتة كما يحيي

الارض

الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبه وتهون برؤيتهم الامور
الصعبه اذهم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب
مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم اذهم باب الله المفتوح لعباده ومن كان
كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولانه برؤية بعض
هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الواصف عن وصفه
ولاجل هذا المعنى ترى كثيرا ممن اتصف بما ذكر له البركة العظيمة فى علمه وفى
حاله فلا يخلى نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط ان يكون محافظا على
اتباع السنة فى ذلك كله (فليحذر) أن يزور احدا من أهل البدع وممن
لا خطر له فى الدين الا بالتمويه وبعض الاشارات والعبارات مع انه قد قل فى
هذا الزمان من يضطر الى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب الى
العلم يقعد بين يدى بعض من يدّعى الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد
تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل و يعتذرون عنه بأنه مجذوب على نفسه
(وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس
نحو ثلاثة أيام أو اربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شئ يستره وبين
يديه بعض قضاة البلد ورؤسائها وهذا أمر شنيع فى الدين وقلة حياء من
عمل الذنوب وارتكاب مخالفة السنة وترك الفرائض اذ أن كشف العورة
محرم وكذلك النظر اليها واخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فيرتكبون
محرمات جملة وهذا انما هو تمثيل ما والا فالمفاسد التى تعتورهم فى ذلك
أكثر من أن تحصر أو ترجع الى قانون معروف فى الغالب فينبغى لطالب
العلم بل يتعين عليه ان تكون السنة عنده أعظم مطلوب و يغار عليها ان
تغيرت معالمها بأن ينسب اليها ما ليس منها فاذا تعارض لطالب العلم المحافظة
على السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له
غير ذلك وتحسين الظن به يخالف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد
يضيق عليه التأويل و يخاف عليه ان يخل بجانب السنة أو بعضها فالهرب
الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج ان يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) أمر
قد عمت به البلوى فى هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الاحوال
وتشعبت السبل ولوقات لاحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق

فيقول كان شيخي يفعل كذا وكذا وما هذا طريق شيخي وكان شيخي يقول كذا وكذا ويصادم بذلك كله السنة الواضحة والطريقة الناجحة (يا ليتهم) لو وقفوا عند هذا الحد لو كان سائغا بل زادوا على ذلك الامر المخوف وهو ما بلغني ممن أثق به ان بعض من ينسب الى العلم تكلم في مسئلة ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلا تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره حديث النبي صلى الله عليه وسلم يرد هذا فأجابه بأن قال حديث النبي صلى الله عليه وسلم انما يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يقتدى بهم وهذا ان كان معتقدا لما قاله كان كافرا حلال الدم وان لم يعتقده فهو مرتكب لكبيرة عظمى يجب عليه ان يتوب منها مع الادب الموجع (وبعضهم) يفعل فعلا قبيحا شنيعا وهو ما احدثوه من اعتقاد بعض النسوة وزيارتهن وهن على ما يعلم من قلة العلم بالسنة المطهرة بل عدم ذلك في أكثرهن سيما اذا انضاف اليه ما يفعله بعض من يتسمى بالشيخة من الذكر جماعة باصوات النسوة وفي أصواتهن من العورات ما لا ينحصر بسبب ترخيم أصواتهن وتداوتها سيما وبعض الشيخات على زعمهن من شعارهن إلباس الصوف لمن تابت على يدها ودخلت في طريقتها (وقد سئل) مالك رحمه الله عن لباس الصوف للرجال فقال لا خير في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في مثل ثمنه وأبعد من الشهرة اهـ (فاذا كان) الامر على هذا في حق الرجال فما بالك به في حق النساء بل لباس ذلك لهن مثلة وشهرة وفيه تشبه بنساء النصارى في كنائسهن أعني في لباسهن الصوف والتخلي عن الازواج وذلك كله ضد مراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول جهاد المرأة حسن التبعل انتهى ومن حسن التبعل لبس الحسن من الثياب والتحلي والتزين لزوجها (فاذا) علم ذلك تحصل منه ان فاعل هذا مصادم للسنة مخالف لها فينبغي زجره وهجره فكيف يعتقد وأنت ترى كثيرا من الناس ممن له رياسة وممن ليست له رياسة يتحدثون بفضائل من هذا حالها ويثنون عليها بذلك ويطرزون بذكرها مجالسهم ويزورونها في بيتها ويستعملون خطاهم الى زيارتها أو تأتي هي اليهم ويعظمونها ويكرمونها ومن لا يلبس الصوف من الشيخات لهن عورات أخر أكثر وأشنع يطول تتبعها مما تتنزه الالسن عن ذكرها والاقلام عن كتبها

(وقد) قال عليه الصلاة والسلام اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء قيل بم يا رسول الله قال بكفرهنّ قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهنّ الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط (وقد) قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وعائشة انتهى (وقد) قال صاحب الانوار رحمه الله احذروا الاغترار بالنساء وان كن نساء كاصالحات فانهن يركنّ الى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة (وقد) قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ونفعنا به ليس للنساء نصيب في الاسلام (والرجل) الصالح في هذا الزمان في الغالب انما شعاره لزوم بيته (لقوله) عليه الصلاة والسلام عند ظهور الفتن كن حلسا من أحلاس بيتك انتهى فكيف تخرج المرأة التي لم يشرع لها الخروج الا لضرورة وقد تقدمت واعتقاد الشيخات يستدعي خروج ربات الخدور وغيرهنّ وفي خروجهنّ من الفتنة ما قد علم (ولا) يظنّ ظانّ ان هذا الكلام يشعر بانه ليس في النساء صالحات ولا عابدات وانما وقع الكلام على الغالب من أحوالهن والنادر لا حكم له (ثم) العجب العجب في اعتقاد بعضهنّ في هؤلاء الشيخات من النسوة وهنّ كما قد علم في هذا الزمان لا يعضين لموضع يعلن فيه الا بعد اطلاقهن من ضامنة المغاني فمفاسد مركبة على مفسدة عظيمة (ثم) العجب أيضا من بعض الرجال ممن له الحشمة أو المشيخة يتورعون عن سماع المغاني ويعوضون عن ذلك الشيخة المتقدم ذكرها فتجيء بعد اطلاقها من الضامنة ومعها حفدتها ويرفعن عقيرتهن بالقراءة والذكر جماعة وقد تقدّم ما في القراءة والذكر جماعة للرجال (فان) لم يكن من فعل السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين وانكر مالك لذلك في حق الرجال وان ذلك بدعة ممن يفعله فما بالك به في حق النساء وفي أصواتهن من النداوة والترخيم والفتنة ما قد علم (ألا ترى) الى قول مالك رحمه الله تعالى في كلام المتجالة أما التي كلامها أحلى من الرطب فلا انتهى يعني انه ممنوع وان كانت متجالة فكيف به في الشابة وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى ما من ساقطة الا ولها لاقطة (وسبب) هذه المفاسد كلها قراءة الرجال جماعة

وذكرهم جماعة يجر ذلك الى هذا المحرم الذى يفعله النسوة فى الفرح والمولد وغيرهما وزدن على ذلك قيامهن يرقصن ويسطن وتأخذهن الاحوال على زعمهن وفى رقصهن من العورات ما لا خفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خير فانا لله وانا اليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب وقلب الحقائق وانقلاب المقاصد وترك الالتفات للمفاسد ولا يمكن حصرها ولا عدها فالمطلب من ترك هذا كله اذ ان العالم الذى عنده يحرمه ويأمره بتغييره فان لم يقدر فأقل ما يمكن فى حقه التغيير بالقلب وأقل ما يمكن فى التغيير بالقلب أن لا يشهد هذه المواضع ولا يترك أحدا يشهدها ولا يرضى بفعلها ولا يذكرها سيما بحضرته بل يعيب ذلك ويبين أمر الشرع فيه (وقد) روى الامام أبو الحسن رزين رحمه الله فى كتابه عن حذيفة وابن مسعود رضى الله عنهما أنهما قالا لا يكن أحدكم امعة يقول أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا الا تظلموا انتهى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغى له أن يزهد فى زيارة الاكابر والاولياء والصالحين اذ انهم معروفون بسيماهم (قال) الله تعالى فى كتابه العزيز تعرفهم بسيماهم (وقال) تعالى سيماهم فى وجوههم (وقال) عليه الصلاة والسلام رب اشعث أغبر مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره انتهى (فان) خفى على طالب العلم أمر أحد ممن يراه فلينظر فى تصرفه فان كان على السنة فليشد يده عليه وان واقع غير ذلك فليهرب منه فانه لص (وقد) حكى عن بعض السلف رضى الله عنه أنه أثنى عنده على شخص كان فى وقته فخرج هو ومن اثنى عليه الى زيارته ودخلا المسجد الذى كان يصلى فيه فلم يجداه فجلسا ينتظرانه فلما ان جاء ودخل المسجد تنخم وبصق فيه فخرج هذا السيد ولم يسلم عليه وخرج معه الشخص الذى كان أثنى عليه فقال له لم خرجت ولم تسلم عليه فقال له اذا كان انسان لم يأتمنه الله تعالى على أدب من آداب الشريعة فكيف يأتمنه على سر من أسراره (ونقلت) من القوت هكذا ينبغى ان تكون المحافظة على السنة وترفيعها وتعظيم قدرها اذ أنها أول باب فى الخير وهى آخره فشد يدك

قوله امعة بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة اه

عليها ان كنت من أهلها أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنه آمين بجمده وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم والحمد لله رب العالمين

(فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة) وينبغي لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبي الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة وان تركه يومين كأنه ترك سنتين وان تركه ثلاثا لا يجيء منه شيء انتهى وما قاله بين ألا ترى ان الكاتب خطه في يوم الخميس أحسن منه في يوم السبت وما ذلك الا لترك الكتب يوم الجمعة (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغي أن يترك الاشتغال الا لضرورة شرعية تتعين عليه فان كان يوم جمعة فلا ينبغي له أن يترك الاشتغال فيه لانه يوم فضل عظيم فينبغي له أن يبادر الى أفضل الاعمال فيعملها فيه وأفضل الاعمال طلب العلم كما تقدم لكن ان اشتغل بذلك في أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببه شيء من وظائف الجمعة مثل الغسل وقص الشارب والاظافر وغير ذلك واذا كان ذلك كذلك فينبغي له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة فيحضر مجالس العلم في الجامع أو غيره (وأعني) بمجالس العلم المجالس التي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضي الله عنهم لا مجالس القصاص والوعاظ اذ أن ذلك بدعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عن الجلوس الى القصاص فقال ما أرى أن يجالس اليهم وان القصص لبدعة (قال) ابن رشد رحمه الله كراهة القصص معلوم من مذهب مالك رحمه الله (روى) عن يحيى ابن يحيى قال خرج معنا فتى من طرابلس الى المدينة فكنا لا ننزل منزلا الا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة فكنا نعجب من ذلك منه فلما أتينا المدينة اذا هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا فرأيته في سماط أصحاب التيقظ وهو قائم يحدثهم وقد لهوا عنه والصبيان يحصبونه ويقولون له اسكت يا جاهل فوقفت متعجبا مما رأيت فدخلنا على مالك رحمه الله تعالى فكان أول شيء سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأيناه من الفتى فقال مالك أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله (وقال) يحيى وسمعت مالكا يكره القصص فقيل له يا أبا عبد الله فاذا تكره مثل هذا فعلام كان

يجتمع من مضى فقال على الفقه وكان يأمرهم وينهاهم انتهى (وقول) مالك رحمه الله أصاب الرجال اذا لهوا عنه وأصاب الصبيان اذا أنكروا عليه باطله انما صوّب فعل الرجال لكون الصبيان قد كفوهم مؤنة التغيير فلو لم يغير الصبيان لبادروا الى التغيير (ومن) كتاب الجامع للشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله وأنكر مالك القصص في المسجد (وقد) قال تميم الداري لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني أدعو الله وأقص وأذكر الناس فقال عمر لا فأعاد عليه فقال أنت تريد تقول أنا تميم الداري فاعرفوني (وقال) الامام الطرطوشي قال مالك وشهدت أباقدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا (وقال) أبو ادريس لأن أرى في ناحية المسجد نارا تأجج أحب الى من أرى في ناحيته قاصا يقص (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم لم يقص في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمان أبي بكر ولا في زمان عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص (ولما) دخل علي رضي الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه وقال لا يقص في المسجد حتى انتهى الى الحسن البصري في علوم الاعمال فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (وجاء) ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة أن أخرجه من المسجد فأخرجه (وقيل) لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أميرا ومأمورا أو أحمق ولست بأمير ولا مأمور وأكره أن أكون الثالث انتهى (وقد) روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أميرا ومأمورا ومختال انتهى (وقال) الطرطوشي أيضا قال أبو معمر رأيت سلاوا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاصا يقص في المسجد فقلت له يا أبا الحكم الناس ينظرون اليك فقال الذي أنا فيه خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة (ولما) ان دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى قاص يقص في المسجد فقال حدثنا الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال له القاص يا شيخ الا تستحي نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا فقال له الاعمش الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه قال كيف فقال لاني في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش

وما حدثتك مما تقول شيئا فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد (وقال) أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص والسؤال وما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الموت وعذاب القبر قيل له أكنت تحضر مجالسهم قال لا (وقال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وحضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص (وروينا) من حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى الخبر لأن يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة (وفى خبر) قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه فى دين الله أزكى من حضور مجالس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص (وعن) الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لى يقعد الى القصاص قال انهه قلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ فى المصحف ويذكر الله فى نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بل ان شاء الله قلت فان لم يقبل أهجره قال فتبسم وسكت انتهى (وكذلك) لا يحضر الكتب التى تقرأ وفيها الاحاديث المشكلة على السامع فى الظاهر وليس ثم من يبين أحكامها ومعناها ويحل مشكلها ولو كان ثم من يحل المشكل فيشترط أن يكون صوته يعم من حضر المجالس كما يعمهم صوت القارى لانه اذا لم يعمهم فالغالب ان بعضهم يقوم وعنده الريبة فى اعتقاده (ومن العتبية) سئل مالك رحمه الله عن الحديث فى جنازة سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش وعن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث فى الساق فقال رحمه الله لا يحدثن به وما يدعوا الانسان أن يحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير قال ابن القاسم لا ينبغى ان يتقى الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث ان الله تبارك وتعالى يضحك فلم يره من هذا وأجازه انتهى (قال) ابن رشد رحمه الله حديث سعد بن معاذ فى العرش الذى أشار اليه هو

ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من انه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وانه قال اهتز له عرش الرحمن وما روى من ان أمه بكت وصاحت لما أخرجت جنازته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ولدك أول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش وما روى من ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا العبد الصالح الذى مات ففتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا سعد بن معاذ قد مات (والحديث) فى الساق الذى أشار اليه هو ما روى أنه سبحانه يتجلى للخلق فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول وهل تعرفون ربكم فيقولون اذا تعرف الينا سبحانه عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر لله سبحانه وتعالى ساجدا (وانما) نهى مالك رحمه الله أن يحدث بهذين الحديثين وبالحديث الذى جاء ان الله خلق آدم على صورته ونحوه من الاحاديث لان ظاهرها يقتضى التشبيه (وسبيلها) اذا صحت الروايات بها ان تتأول على ما يصح مما ينتفى به التشبيه عن الله عز وجل بشئ من خلقه (كما) يصنع بما جاء فى القرآن مما يقتضى ظاهره التشبيه وهو كثير كالاتيان فى قوله عز وجل هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة والمجئ فى قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا انتهى (وذلك) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد بقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى عذابه ونقمته لمن كفر به وألحد فى آياته وكذلك المعنى فى قوله وجاء ربك (الوجه الثانى) أن يكون المراد الظهور اذ لا فرق بين الدنيا والآخرة بالنسبة اليه سبحانه وتعالى وانما الحجاب منا فاذا كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنا ظهر لنا سبحانه وتعالى من غير حد ولا تكييف جل جلاله عن الصورة والكيفية (قال) ابن رشد رحمه الله والاستواء فى قوله تعالى ثم استوى على العرش معناه استولى قاله الواحدى وقيل معناه القهر والغلبة تقول العرب استوى زيد على ارض كذا أى ملكهم وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولما ان كان العرش أعظم المخلوقات المهولة اكتفى بذكره عما دونه اذ أن

مادونه تبع له وفى حكمه (قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا بما جاء من ذلك فى السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه ذلك مما لم تكره روايتها لتواتر الآثار بها اه (أمّا الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف بذلك منا من الرضى والاحسان (وأمّا النزول) فقد تقدّم بيانه (قال) ابن رشد رحمه الله لان سبيلها كلها فى اقتضاء ظاهرها التشبيه وامكان تأويلها كلها على ما ينتفى به تشبيه الله عز وجل بشئ من خلقه (وأقربها) كلها أنّ عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل فلا تستحيل عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف له كما يقال بيت الله وحرمه لا انه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس فى مكان فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه عز وجل باهتزاز عرشه ما يلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك العرش حركة حملته استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز فى كلام العرب أن يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أى اهتز أهله لقدومه مثل قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبى صلى الله عليه وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أى يحبنا أهله ونحبهم (وأمّا حديث الساق) فلم يضف الساق فيه الى أحد ومعناه عن شدّة لان مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدّة الامر كما قال الشاعر * وقامت الحرب على ساق وقال ابن عباس فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدّة من الامر وقال الحسن فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق أى التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بأمر الآخرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعمال الدنيا بمحاسبة الآخرة وذلك أمر عظيم (وأمّا) قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما ان الله خلق آدم على صورته والثانى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فأمّا رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل فى صحتها لاشتهارنقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الاخرى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها وأكثر أهل النقل

على انكار ذلك وعلى انه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة توهم ان الهاء ترجع الى الله تعالى فنقل الحديث بمعناه (فأما) الرواية المحفوظة فهى ان الله خلق آدم على صورته والهاء عائدة على رجل مر النبى صلى الله عليه وسلم عليه وأبوه أو مولاه يضرب وجهه لطما ويقول قبح الله وجهك فقال اذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته وقد روى انه سمعه يقول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فزجره النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله ذلك وأعلمه انه قد سب آدم لانه مخلوق على صفته ومن دونه من الانبياء أيضا (ومنها) ان الكناية فى قوله على صورته ترجع الى آدم عليه السلام ولذلك ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون معنى الحديث وفائدته الاعلام بأن الله لم يشوه خلقه حين أهبط الى الارض (والثانى) أن يكون معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ الذين يقولون انه لا انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان ولا دجاجة الا من بيضة ولا بيضة الا من دجاجة لا الى أول (الثالث) معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ والمنجمين الذين يزعمون أن الاشياء بتأثير العنصر والفلك والليل والنهار فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ان الله تعالى هو المنفرد بخلق آدم على ما كان عليه من الصورة والتركيب والهيئة لم يشاركه فى شئ من ذلك فعل طبع ولا تأثير فلك وخص آدم بالذكر من سائر المخلوقات لانه أشرفها فاذا كان الله هو المنفرد بخلقه دون مشاركة فعل طبع أو تأثير فلك فولده ومن سواهم على حكمه كذلك (وقد) قيل فى ذلك وجه رابع وهو أن فائدة الحديث تكذيب القدرية فيما زعمت من ان صفات آدم منها ما خلقها الله تعالى ومنها ما خلقها آدم عليه السلام لنفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله خلق آدم على جميع صورته وصفته ومعانيه وأعراضه وهذا كما تقول عرفنى هذا الامر على صورته اذا أردت أن تعرفه على الاستيفاء والاستقصاء دون الاستثناء (وأما) الرواية الثانية التى جاءت وهى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فقد ذكرنا ان أكثر أهل النقل لا يصحح الرواية بذلك وان الراوى ساق الحديث على ما ظنه من معناه وعلى تقدير الصحة فتكون الاضافة اضافة تشريف على طريق التنويه بذكر المضاف

وذلك نحو قوله تعالى ناقة الله وسقياها فانها اضافة تخصيص وتشريف تفيد التحذير والردع من التعرض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقول الناس الكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله فشرفت صورة آدم من أجل ان الله اخترعها وخلقها على غير مثال سبق انتهى ومن ذلك ما خرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوي بعضها الى بعض (ذكر) العلماء في معناه وجوها عدة (منها) ان الكافر عند العرب يسمى قدما والنار موعودة بهم فان لم تحصلهم في جوفها بقيت ملهوفة عليهم كما هي الام حين تفقد أولادها فاذا حصلوا في جوفها تقول قط قط أي حسبي حسبي لانها قد أخذت أولادها قال الله تعالى في كتابه العزيز فأمه هاوية والهاوية اسم لاحدى طبقات النار أعاذنا الله من جميع دركاتها بنور وجهه الكريم انه ولي ذلك والقادر عليه (الوجه الثاني) ان ذلك محمول على ما يفهم عندنا من ان الشئ الحقير التافه الذي لايبالي به يدحرج بالقدم امامن جهة الغضب عليه واما من جهة الحقارة له كما الامر في ضد ذلك وهو أن الاشياء الرفيعة والطاهرة تتناول باليمين ويشهد لذلك ماورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول في الحجر الاسود يمين الله في الارض وهو حجر مرئي محسوس فهذا دليل واضح على انه لم يرد الجارحة وانما أراد العادة فيما يصدر من جهة اليمين كما سبق ألاترى ان الحجر الاسود يشهد للامسه يوم القيامة ومن شهد له رحم وغفر له فضد ذلك في ذكر القدم سواء بسواء اذ انه سبحانه تعالى عن الصورة والكيفية الى غير ذلك من الوجوه (وقد) حصل بما تقدم ذكره من المثال في الآي والاحاديث التي ظاهرها الاشكال على من لم يعرف العلم والمحامل التي تحمل عليها مقنع وكفاية (واذا كان) ذلك كذلك فالامر فيه على ثلاثة أقسام (القسم الاول) وهو الاولى والاحسن بل الذي لاينبغي أن يعرج عنه وهو الرجوع الى قول مالك رحمه الله من انه لايحدث بهذه الاحاديث خيفة منه رحمه الله على الضعفاء أن

يدخلهم شئ من الفتنة فى عقيدتهم فكيف يقرأ ذلك على رؤس العوام والنساء بحضورهن فالغالب والحالة هذه أنهم يدخلون وهم مؤمنون فيخرجون وهم مفتتنون (القسم الثانى) انه ان كان ولا بد من ذكر الاحاديث التى توقع فى القلب معنى من التشبيه فلا بد من شيخ عارف عالم بالسنة ومعانى ما احتوى عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مع ذلك جهير الصوت يسمعه القريب والبعيد فيحل مشكلها ويبين معناها وينبغى على هذا التعليل أن يكون الشيخ جالسا على موضع مرتفع عنهم ليعم صوته الجميع كما تقدم بخلاف ما هم يفعلون فى هذا الزمان فان القارى يجلس على كرسى فيعم صوته الجميع فى الغالب والشيخ جالس على الارض وصوته خفى فلا يعرف ما قال الا من كان قريبا منه (القسم الثالث) انه ان عدم هذا القسم الثانى فتمنع قراءة الكتب والمواعيد التى تفعل فان فعلها أحد أدب على ذلك وزجر وأخرج من المسجد (واذا كان) الامر كذلك فطالب العلم قدوة فاذا رآه أحد من العوام يحضر هذا المجلس يقتدى به فى حضوره فقد يجلس فيه وهو مؤمن فيقوم وعنده شك وريب فى اعتقاده كما تقدم فيكون طالب العلم يحذر من هذا وأشباهه (هذا) وجه فى الكراهة (ووجه ثان) وهو أن العلماء قد كرهوا ترك الشغل يوم الجمعة وأن يخص يوم الجمعة بذلك خيفة من التشبه باليهود فى السبت وبالنصارى فى الاحد كما تقدم فيحذر من هذا كله (قال) مالك رحمه الله كان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يكرهون أن يترك العمل يوم الجمعة لئلا يصنعوا فيه كما صنعت اليهود والنصارى فى السبت والاحد (قال) ابن رشد رحمه الله وهذا مما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب وينهى عن التشبه بهم (روى) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ألحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا أى لاهل الكتاب (وانه) قال فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور ومثل هذا كثير

(فصل فى تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب أو التشوف اليها)

قد تقدم رحمنا الله واياك انه ما ينبغى له أن يطلب التدريس ولا أن يعمل عليه حتى يخطب له ويجده على وجهه السائغ شرعا من غير أن يدل هو

عليه لان ذلك يدخل عليه الخلل فى نيته المتقدم ذكرها (واذا كان) ذلك
كذلك فى أخذ الدرس فمن باب الاولى والاحرى فى الاحكام بل ذلك فى
الاحكام أشد (الماورد) فى الحديث من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين
انتهى (ومن ذلك) ماذكره مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ان صبيين
جاءاه يتخايران فى خطهما فنظر فى الخطين ثم قال لولا انه حكم لقلت ان
أحدهما أحسن من الآخر لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الحاكم ويداه مغلولتان الى عنقه لا يفكهما الا عدله وأنا أكره
أن أحشر مغلول اليدين او كما قال (ولم) يزل السلف رضى الله عنهم أجمعين
يهربون منه الهرب الكلى حتى قد حكى عن بعضهم انه تولاه فى الظاهر حتى
رفع عنه ذلك (وقد) جرى للامام أبى حنيفة رحمه الله حين طلب للقضاء فقال
انى لا أصلح فقيل له لابد من ذلك فقال لهم هذا لا يحل لكم قالوا لم قال لانى بين
أحد امرين اما أن أكون صادقا فيما قلته فلا يحل لكم أن تولوا من لا يصلح
وان كنت كاذبا فلا يحل لكم أن تولوا كاذبا فتركوه (وحكاياتهم) فى هذا
أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وكانوا يعدون تولية القضاء من
الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يهجرون بعض من تولى من
معارفهم (وقد جرى) لسيدى الشيخ أبى الحسن الزيات رحمه الله تعالى لما
ان طلب للقضاء ما قد ذكر (وقد جرى) لسيدى أبى محمد رحمه الله تعالى فى
افريقية لما ان طلب للقضاء وأجبر عليه طلب منهم أن يجعلوا لمن بين يديه
من الرجال لاستخلاص الحقوق الشرعية ما يقوم بكفايتهم من بيت المال
قالوا ولم ذلك قال لان على السلطان أن يوصل لكل ذى حق حقه وليس على
صاحب الحق أن يعطى من حقه شيئا وهذه المسئلة منصوصة فى المذهب
قد ذكرها ابن رشد رحمه الله تعالى فى البيان والتحصيل له فلما ان طلب
منهم ذلك عملوا حساب ما يخرج منهم فوجدوه مالا كثيرا فضجوا باخراجه
فتركوه (وقد قال) بعضهم ينبغى لمن ولى أى خطة أن ينظر الى نفسه
فى يوم عزله منها ولا ينظر الى يوم توليته اه وما ذاك الا لانه اذا نظر الى يوم
توليته هلك فى الغالب الا من عصم الله وقليل ما هم واذا نظر الى يوم عزله
سلم فى الغالب (وقد) جرى بمدينة فاس ان السلطان جبر الشيخ الجليل أبا

عبدالله بن عمران على القضاء فاستشار بعض الاكابر فاختلفوا عليه فقال له
بعضهم لاتتول وان توقعت الموت وقال له آخرون ان توقعت الموت تول
واحكم بالعدل وهم يعزلونك فسمع من الثانى فتولى وحكم بالعدل فلم يبق
الا أياما يسيرة وعزلوه فى حكاية يطول ذكرها (فيتعين) عليه الهرب الكلى
من الولاية وأسبابها اذ أنها احتوت سيما فى هذا الزمان على حظوظ النفوس
من الرياسة الموجودة فيها ألاترى ان المال الذى هو معلق بالقلوب فى
الغالب يبذل فى المناصب ولا تبذل المناصب فيه فدل ذلك على انه أعظم
ولاجل هذا قال بعض الاكابر الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد
فى المال (وليحذر) من أن يميل الى خاطر النفس والعوائد الرديئة والالزام
المعينة للشيطان عليه فقد تسوّل له نفسه أو أحد ممن ذكر أنه من الصنف
الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء فى القضاء ألاترى ان ذلك
آفة عليه عاجلة لانه يقطع عليه ما هو بصدده من الاشتغال لكثرة الاشتغال
ان كان شابا اذ أنه يحرم عليه اذا جاءه الخصمان أن يشتغل بمطالعة المسائل
أو غيرها (ويتعين) عليه اذ ذاك ترك الضرورات كلها الا ما استثنى شرعا (لما
ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يقضى القاضى وهو
غضبان اه وعداه الفقهاء الى غير ذلك وان كان ذا سن فأشد من الاوّل
لما تقدّم ذكره من انهم كانوا اذا بلغ أحدهم الاربعين طوى الفراش واعتزل
عن الناس وتبتل للعبادة وترك الاشتغال بالعلم اذ ذاك فما بالك بالدخول
فى القضاء وهذا هو الغالب فيه أعنى ان القضاء لا يجىء للانسان الا بعد
الطعن فى السن حين توقع هجوم الموت عليه غالبا (لما) جاء فى الحديث عنه
عليه الصلاة والسلام حيث يقول معترك منايا أمتى ما بين الستين الى السبعين
(ويكفى) من التنفير عنه ما حكى أن بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام
جلس الى جانبه رجل أسود الوجه أبيض البدن فكان اذا أراد أن يفصل
الحكم بين الخصمين نظر الى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك فسئل عن موجب
ذلك فقال اسألوه فسألوه فأخبرهم انه كان ينبش القبور فمات قاضى البلد قال
فذهبت اليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجئت آخذ الكفن واذا
بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت فى ناحية من القبر فقال أحدهما

للآخر تقدّم فجاء الى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ما عصتا الله قط فقال له تقدّم فجاء الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ما عصى الله قط فقال له تقدّم فجاء الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما أكلت الحرام قط فقال له تقدّم فجاء الى يديه فشمهما فقال هاتان يدان ما عصتا الله قط فقال له تقدّم فجاء الى فيه فشمه فقال هذا اللسان ما عصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى عينيه فشمهما فقال هاتان عينان ما عصتا الله قط فقال له تقدّم فجاء الى أذنيه فشمهما فسكت فقال له مالك فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى الى أحدهما أكثر من الآخر فارتفعا يضربانه فهربت فقصل لى هذا من هوى التهمة فأصبح وبه ما ترى اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه الحكاية ما أعجبها فأين الحاكم الذى يكون على مثل ما كان عليه هذا السيد هو والله أعز شئ يكون ومن له عقل ينظر الى كل موضع يضطر فيه الى الصبر فيهرب منه لان البشرية فى الغالب عاجزة عن الصبر فان وقع فيه من غير أن يختاره و يضطر اليه فالاستغاثة اذ ذاك بربه لعل أن يصبره على ما ابتلاه به فبعده من باب الابتلاء فاذا فعل ذلك يرجى له ان يعان وان يسلم من الآفات المنوطة به يشهد لذلك ما ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا تسأل الامارة فانك اذا أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه اه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الغالب من أحوالنا اليوم فى تولية المناصب والعمل عليها بل يبذل بعضنا المال فى تحصيلها فاى نسبة بين هذا الحال وبين ما تقدّم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه وقوله عليه الصلاة والسلام لا تسأل الامارة الحديث فاذا تقرر ذلك تبين به قبح تعاطيهم لذلك (فان) زعم بعضهم انه يتعين عليه البذل فى ذلك لما يراه من ان فيه أهلية للنصب دون غيره (فالجواب) عنه من وجهين (الاوّل) ان فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثانى) ان التعرض للاحكام فيه اشغال الذمة بأمر لا يعلم هل يتخلص منه أم لا وخلاص الذمة متعين (فان احتج) بما حكاه الله تعالى فى كتابه عن نبيه يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم حيث قال

اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (فلا) حجة له فيه لان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون وليس كذلك غيرهم (ألا ترى) الى ما احتوت عليه قصة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام حيث طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وذلك منه عليه الصلاة والسلام على سبيل الرحمة والشفقة على غيره لما أطلعه الله تعالى من أنه لا يكون في الانبياء بعده نبي ملك فلما ان علم صلى الله عليه وسلم ذلك خاف على غيره ان أعطى ذلك يهلك بسببه وهو عليه الصلاة والسلام قد أمن ذلك من جهة عصمته هذا وجه (الوجه الثاني) ان نبي الله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم لما ان علم أنه سيقع بالناس شدة وغلاء خاف عليهم ان تولى غيره ذلك أن يهلكوا هلاك استئصال فأشفق عليهم من ذلك فطلب ما طلب (الثالث) انه عليه الصلاة والسلام خشي عليهم أن يقصروا في حقه والتقصير في حق الانبياء كفر اذ أنه رسول من رب العالمين قال الله عز وجل في كتابه العزيز ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (واذا كان) ذلك كذلك فلا يحتج به على طلب الولاية وقد قال بعضهم لا أعدل بالسلامة شيئا والسلامة غالبا انما تتوقع في ترك الولايات فكيف تبذل فيها الاموال لا جرم انه لما رجع الامر فيها الى بذل الاموال صار يطلبها من ليس فيه أهلية لها ولا يعرف الاحكام فضاعت أمور المسلمين بسبب طلبها ودخول الاموال فيها وصارت التولية لمن لا يستحقها (فاذا) فهم ذلك فيتعين الهرب من الولاية مهما أمكن والعمل على البراءة منها وهو أبرأ للذمة وأخلص من التبعات عاجلا وآجلا ولو لم يكن فيها الا التفرقة عن الاشتغال بالعلم والاقبال عليه والانقطاع الى الله تعالى ان كان بعد الاربعين كما تقدم (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى في هذا الزمان بسبب الاقتداء بفتوى من وهم وألحق الرشوة التي هي من باب السحت والحرام بباب الجعالة وألحقها بباب الجعالة لا يجوز لفقد شروط الجعالة فيها اذ أن الجعالة عند العلماء لها شروط أربعة أحدها أن يكون الجعل معلوما والثاني أن لا ينقده والثالث أن لا يكون فيه منفعة للجاعل الا بتمامه والرابع أن لا يضرب للعمل المجعول فيه أجل ففي انخرام أحد هذه الشروط لم تجز وقد فقد في الرشوة أكثر هذه الشروط (ومن) كتاب القوت كان ابن عباس رضي الله عنه

يقول

يقول ويل للعالم من الأتباع يزل الزلة فتحمل عنه فى الآفاق (وقال آخر) زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق اه (ولا حجة) لمن يقول ان التحريم انما هو فى حق الآخذ للرشوة ليس الا لان المعطى قد تسبب فى وقوع أخيه المسلم فى هذا المحرم فصار شريكاله فى اثم ذلك (وقد ورد) ان الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مدّ لهم مدة فاذا كان من مدلهم مدة يحشر معهم فما بالك بمن أخذ مالا من أخيه المسلم على شئ هو مأمور بأن ينفعه به من غير عوض (وقد روى) أبو داود فى سننه عن أبى امامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأحد شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا (ومن) كتاب التفسير للامام أبى عبد الله محمد بن ظفر الحموى رحمه الله تعالى لما أن تكلم على قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت قال الحسن هم حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يأتيهم برشوة (وقال) عمر رضى الله عنه رشوة الحاكم من السحت (وقال) ابن مسعود من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فاهدى اليه هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له كانرى ان السحت الرشوة فى القضاء فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وانما أراد أن من أكل الرشوة فى القضاء أكل السحت وكفر (وروى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن الراشى والمرتشى والرائش فالرائش هو الذى يرشى المرتشى من مال الراشى فيأخذ له الرشوة منه فكل مال كسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوى الحوائج اليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت والقضاء فيه ان يرد الى أصحابه فان لم يعلموا رفعه السلطان الى بيت مال المسلمين (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال من السحت (وقال) عمر رضى الله عنه هدايا الامراء غلول اه

(فصل فى العدالة) فاذا تقرر ما ذكر من الهرب من المناصب فآكدها الهرب من العدالة وترك التشوّف اليها اذ أن الخطر فيها أعظم مما تقدم فى القضاء اذ أن القاضى ليس له امر ولا نهى فى الغالب الا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لانه بحسب ما قالوه حكم فهم الباعثون له على الحكم وأمورها

متشعبة مشغلة عن الاشتغال بالعلم وغيره في الغالب حتى انه قد يضيع
بعضهم حاله لأجلها وفيها من المفاسد أشياء عديدة في هذا الزمان لا يمكن
تتبعها الآن ذلك يطول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولي أمرنا
هذا من طلبه اه (فعلى) هذا كل من طلب العدالة فهو قادح في عدالته
سيما في هذا الزمان خصوصا لما احتوت عليه من الامور القطيعة ولو لم يكن
فيها من القبائح الا ما أحدثوه من بذل المال فيها وان كان ذلك ليس خاصا
بها بل هي وغيرها من المناصب الدينية رجعت الى بذل المال والاستعانة
معه بمن لا يرضى حاله في الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا في أن يأخذ
المناصب من لا يستحقها ويحرمها من يستحقها في الغالب فآل الامر في
ذلك الى أشياء قطيعة من ابطال الانكحة والعقود وغير ذلك من أمور
المسلمين اذ أن الربط والحل انما هو بالعدول لكن أكثر العدول
في هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى
كثرت شهادات الزور اذ أنه لو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية
أهلها لقلت المفاسد بل تعدم بالكلية (وقد) ذكرت لبعض المباركين
شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له ان والده يطلب له العدالة فقال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الآن عدل كيف يجرحونه فقلت له
العدالة تجريح فقال نعم في هذا الزمان ترك العدالة هي العدالة (وما) ذكره
بين (ألا ترى) الى حال بعضهم في المكتوب اذا كتبه يطلب عليه ما لا يستحقه
ويتشاح في ذلك ولسان العلم يذمه (اذ) أن الجالس لا يخلو حاله من أربع
مراتب (أولها) وهي أعلاها أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم
وارشادهم وتصحيح عقودهم طالبا بذلك الثواب من الله تعالى لا للدنيا يصيبها
ولا لثناء وغيره امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام
العبد في عون أخيه اه فاذا أعطي شيئا تبرم منه وأغلظ على فاعله وهذا
عزيز الوجود فان وجد كان ما يفعله من ذلك أفضل من صلاته النافلة
في بيته وانقطاعه للتعبد اذ أنه خير متعد لاخوانه المسلمين ولا يختلف ان
النفع المتعدي أفضل من القاصر على المرء نفسه بشرط السلامة من الآفات
التي تعتوره في ذلك (المرتبة الثانية) أن يجلس للشهادة فاذا جاءه شغل أخذ

عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس الا فان زاده على ذلك شيئا ردّه عليه ولم يقبله وهذا قريب من المرتبة الأولى فى عزة وجوده (وقد) كان سيدى أبو عبد الله بن عمران رحمه الله تعالى بمدينة فاس جالسا فى العدول وجاءه انسان فكتب عنده حجة وأعطاه درهما فردّه عليه وقال لا نستحقه فقال له ما عندى غير الدرهم فقال لا آخذ الا ما أستحقه فقال له فكم نعطيك قال ربع درهم قال ما عندى ربع قال هات أربعة من البيض ثم جاءه مرة أخرى لاداء الشهادة فنزل من دكانه لادائها فأعطاه شيئا فانتهره وزجره وقال تطعمون الناس الحرام ومع هذا الحال من التحرز والاحتياط لدينه تبرم من ذلك وقام من المجلس وانعزل فى بيته فعلى منواله فانسج ان أردت الخلاص (المرتبة الثالثة) أن يجلس فاذا جاءه شغل عمله ولا يطلب عليه شيئا فان أعطاه قليلا رضى به وان أعطاه كثيرا عن طيب نفس منه لم يرده وهذه المرتبة أدنى من المرتبتين المتقدمتين مع كونها جائزة شرعا وقد قل وجودها فى هذا الوقت (المرتبة الرابعة) ما يتعاطونه فى هذا الزمان وهو محرم اتفاقا وهو أن يطلب الشاهد ما لا يستحقه ويمنع الحجة لاجله حتى يأخذ أكثر من ذلك حتى أدّى الامر الى أن يترك بعض الناس الاشهاد على حقوقه لاجل الاجحاف به وخوفا من اعانتهم على أكل الحرام (وأقبح) من هذا انه اذا طلب من بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار اليها يتناساها كأنه لا يعلمها حتى اذا أعطى شيئا تذكرها اذ ذاك من غير ارتياب (سيما) فى صدقات النساء يفعل بعضهم فيها فعلا قبيحا وهو أن يمسك الصداق عنده فاذا طلب منه يقول حتى أفتش فلا يزال يماطل حتى اذا اضطرت المرأة اليه بموت زوجها أو طلاقه اياها أو تطلب حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها اذ ذاك ما يختاره وان كانت ضعيفة الحال وخشيت منه أيضا ان كان الصداق عندها أن تقضى ما تريده عند غيره (وكذلك) يفعلون بالمبارأة وأفعالهم من هذا وما شاكله أقبح من أن تذكر وتنزه الكتب عن ذكرها والاقلام عن كتبها (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا اهـ ولا شك ان من أخذ ما لا يستحقه فقد باع دينه

بعرض من الدنيا (فان) قال قائل قد يضطر طالب العلم الى العدالة
والجلوس لاجل المسائلة وما يعتوره من الضرورات الشرعية لقلة ذات يده
مما يحوجه الى ذلك (فالجواب) ما تقدم قبل هذا وهو أنّ ما كان من أمور
الدين لا تستأكل به الدنيا فمن اضطر الى ذلك فله في غيره من الاسباب
الشرعية اتساع وهي كثيرة متعددة وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب
الدنيا فلا ضرورة تدعو الى التسبب في العدالة والجلوس لما ذكر اللهم
الا أن يدخل عليه ذلك من غير أن يقصده ويجلس بقصد أحد الوجوه الثلاثة
المتقدم ذكرها فلا بأس اذن ويرجى له أنه في طاعة لضرورة الناس اليه
وضرورته شرعية (تنبيه) وليحذر اذا جلس أن يفعل ما جرت به عادة
بعض أهل الوقت وهو ما يسقط العدالة وذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن السرف وعن اضاعة المال ولا شك ان كتب الصداق في
خرقة الحرير من باب السرف واضاعة المال وان كانت المرأة يجوز لها لبس
الحرير والتحلي بالذهب لكن فيما يكون لبسا وتحليا شرعيا وأما الصداق
فمن باب الفخر والخيلاء والمباهاة والمخالفة وقريب من هذا كتبهم لذلك
في النصافي وان كان مباحا لبسه للرجال والنساء وهذا ليس بلبس والسرف
فيه موجود وذلك منهي عنه كما تقدم ولهم في الرق وغيره من المباح اتساع
(ثم) كذلك يحذر من هذه البدعة الاخرى وهو أن يكتب سطرا أو سطرين
ثم يترك بياضا خارجا عن العادة فهو أيضا من باب اضاعة المال والسرف
والخيلاء وان كان ذلك في رق أو ورق ولو لم يكن فيه الا مخالفة السلف
الماضين رضي الله عنهم لكان فعلهم لذلك قبيحا فكيف به مع مصادمة
النصوص الشرعية المانعة من السرف (تنبيه آخر) وليحذر أن يحضر كتب
صداق في موضع مفروش بحرير على ما يفعلونه في الغالب او يجلس على حرير
او يستند اليه أو الى وسادة مطرزة بحرير على ما يفعلونه في هذا الوقت من
وضع الطراز بالحرير وقد تقدم القدر الذي يباح ويتسامح في اباحته من
الحرير للرجال (وكذلك) يمنع من الدخول تحت السقف المذهب ومن
المواضع التي فيها تماثيل أو صور ممنوعة شرعا (وكذلك) لا يجوز أن يحضر
الكتب في موضع فيه منكر بين أو مع من يتعاطى ذلك جهرا مثل أن يكون
ثم شرب خمر أو مغان على ما يعلم من حضورهن بآلات الطرب وكشف الوجوه

والمعاصم أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا (وكذلك) لا يحضر موضعا فيه مغاني الرجال بالآلات الممنوعة المتقدم ذكرها وان كان مكروها دونها ولا في مكان تحضره المشيخة على الصفة المتقدم ذكرها (وكذلك) يتعين على من هو منسوب الى الخير والصلاح والعلم أو أحدهما أن لا يجيب الى موضع فيه شيء مما ذكر وما أشبهه فان ذلك قدح في خيره وصلاحه وعلمه لانه يجب عليه تغيير ذلك وأقل ما يمكن في حقه من التغيير أن لا يجيب لموضع فيه شيء من ذلك بعد أن يعرفه أن امتناعه من أجل كذا وكذا ان ذلك كله ممنوع شرعا وان كان هذا في حق الناس كلهم ممنوعا في النكاح وغيره لكن في حق العدل آكد لانه اذا حضر شيئا من هذا وما شاكله ترتبت عليه مفسدتان عظيمتان احداهما وهي أشدهما اسقوط عدالته في نفسه واذا سقطت عدالته بطلت العقود التي يشهد فيها ان كان النصاب لم يكمل الا به والثانية أنه قدوة فيقع العوام بسبب تعاطيه ذلك في اعتقاد جوازه في الشرع فيكون ذلك سببا للاحداث في الدين بزيادة ما ليس منه فيدخل تحت ذم الشرع حيث قال ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء اه وهذا أمر قد تساهل فيه أكثرهم اليوم وفيه من الخطر ما تقدم ذكره (تنبيه آخر) وكذلك يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان وهو أن القاضي اذا أشهد على نفسه في امضاء الحكم قام الشهود له اذ ذاك وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى وتكلموا مع ذلك بألفاظ متفقة ممنوعة في الشرع لما فيها من التزكية والتملق بالباطل ولا شك ان ذلك الفعل قدح فيمن فعل ذلك وفيمن رضي به (وكذلك) يحترز من قيامه عند جلوس القاضي ومن تحيته بالفاظهم التي اعتادوها اليوم ولم ترد في الشرع (وقد) وقع بهذا الذي ذكر التنبيه بالاقل على الاكثر وبالاصغر على الاكبر فليتنبه لذلك من يتنبه والله تعالى يوفقنا واياك لما فيه رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم * (تنبيه آخر) * وينبغي له اذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما وما شاكل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة أو الرجل وزوجته يريدان الفراق ان ينكر على كل واحد

قوله ان ينكر الخ ملخصه كما في القاموس محاولة تسوية الحمل على البعير اه

منهما مهما أمكنه ويشير عليهما بالصلح جهده ويذكر لهما ما في الصلح من
الخير والبركة (قال) الله تعالى في كتابه العزيز لا خير في كثير من نجواهم الا من
أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقال) الله تعالى وان امرأة
خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا
والصلح خير (فلا) يعجل الشاهد عليهما بالشهادة الا بعد الاياس من
صلحهما ويرى ان الفرقة خير لهما والشهادة أوجب عليه لما يراه من حسم
باب النزاع بينهما ويخبرهما بما في التقاطع والتدابر من الآثام فاذا فعل ذلك
كان له الثواب الجزيل لامتثال الكتاب والسنة في ذلك وفيه ترك الاستشراف
لما في أيدي الناس من الحطام وبه تحصل البركة (لما) ورد في الحديث
الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن
أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه
(وقد) أدركت بعض الشهود بمدينة فاس اذا جاءهم من ذكر من المتخاصمين
لا يعجلون عليهم بالاشهاد حتى ييأسوا من صلحهم كما تقدم وكان لهم مع ذلك الخير
والبركة ولم يكن لهم سبب غير ما هم فيه ثم مع ذلك كان حالهم أجمل حال
في اليسار والسعة فظهرت عليهم بركات الامتثال لما قاله عليه الصلاة والسلام
في الحديث المتقدم اذ البركة هي المقصودة فاذا حصلت فلا يلتفت الى
الاسباب قلت أو كثرت (ولاجل) ترك النظر الى هذا المعنى كثرت اليوم
الاشغال والشهادات وانمحقت البركات سيما ان حصلت شهادته على
ما يفعلونه اليوم من هذه الصفة المذمومة في التحليل فانها كالترياق المجرب
قد علمت بالعادة الماضية فيه وهو أن من فعل ذلك وتعاناه من الزوجين
والولي والشهود سلط عليه الفقر ولاجل هذا تجد الواحد منهم يحصل له عليه
في اليوم جملة من الفضة ومع ذلك حاله ضيق وتجد عليه الدين ويشتكي
بالفقر والفاقة الكثيرة وهذا حال الكثير منهم كل ذلك سببه الاستشراف
كما تقدم ذمه في الحديث (فان) قال قائل ان الشاهد اذا فعل ما ذكرتموه
يقل عليه الشغل وقد ينعدم في أكثر الاوقات فيضيع حاله وحال عياله
(فالجواب) ان الشغل القليل مع امتثال السنة أبرك من الكثير مع مخالفتها
بل ما مع المخالفة بركة أصلا (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس

حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب اه (فارشد) عليه
الصلاة والسلام لما فيه صلاح أمته دينا ودنيا فمن حاول الراحة فى غيره
فقد رام شططا وتعب وأتعب (فليحذر) العاقل من هذا الامر فانه خطر
(ثم) مع تنزهه عن الاشغال الكثيرة يحصل له البركة وفراغ السر وقد يجد
السبيل الى المطالعة والدرس وهو فى دكانه بخلاف حاله مع كثرة الاشغال
المكروهة شرعا فان البركة تمحق منها ويتعوق بها عن الاشتغال بالعلم وقد
تقدم ان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال وأزكاها وأبركها فليشد على ذلك
يده لانه لا شئ أبرك مما هو فيه (ألا ترى) الى ما فى الحديث الذى خرجه
صاحب الحلية وصححه السمرقندى رحمه الله تعالى فى فضل العلم والثناء على
حامله وبركته والتنويه بقدره (وهو) ما روى عن معاذ رفعه الى النبى صلى
الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح
وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار
سبيل أهل الجنة والانس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة
والدليل على السراء والمعين على الضراء والسلاح على الاعداء والزين
عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم
ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها
تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع
الطير وأنعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلمة
بالعلم تبلغ منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه
يعدل الصيام ومدارسته القيام وبه توصل الارحام ويعرف الحلال
والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه
(فصل فى آداب العالم والمتعلم فى بيته مع اهله) قد تقدم انهما قدوة
للمقتدى فاذا فعلت زوجة أحدهما شيئا نسب ذلك للشرع وصار حجة
فى الدين غالبا فيتعين على كل منهما ان يحفظ على تصرف أهله كما يحفظ على
تصرفه فى نفسه كما تقدم (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال النساء شقائق الرجال يعنى فى امتثال الاوامر والنواهى (فاذا)
تقرر هذا فقد تقدم ما فى النعوت من الذم فى حق النساء والرجال وما فى قيام

الرجال بعضهم لبعض من الذم وقيام المرأة للمرأة أشنع اذ أنها عورة وحركتها
زيادة في ظهور العورة لان في قيامها يرى منها ما لا حاجة تدعو الى رؤيته
(وبالجملة) فان القيام في حقها أشد من قيام الرجل وان كان ذلك ممنوعا له
الا فيما استثنى كما تقدم (وليحذر) أن يفاحشها (وقد) منع مالك رحمه الله
تعالى من ذلك في حق غير العالم والمتعلم فكيف به في حقهما لانهما قدوة (قال)
ابن رشد رحمه الله انما كره مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل الناس اه
وله في الانبساط بما يجوز شرعا اتساع فلا ضرورة تدعو الى غيره (وليحذر) ان
تتزين زوجته بالذهب والفضة في غير ما أبيح لها اذ أن الشرع انما أجاز لهن
لباس الحرير والتحلي بالذهب على أبدانهن (واذا كان) ذلك كذلك فلا يجوز
له أن يتركها تتخذ المكحلة أو الميل أو المرآة من ذهب أو فضة اذ أن ذلك ليس
بزينة شرعية (وكذلك) يمنعها مما عمت به البلوى في هذا الزمان حتى صار كأنه
شعيرة بينهم وهو أن الزوجة لا تدخل على زوجها في الغالب الا بثلاث دكك
دكة فضة ودكتي نحاس أبيض وأصفر وهذا لا قائل به من المسلمين أعني
ما كان من ذلك فضة اذ أن ذلك محرم على الرجال والنساء وان كان قد
اختلف في اتخاذ الاناء الصغير للمرأة لكنه قول لا يعول عليه وهو آثم في فعله
وادخاره وتجب الزكاة عليه فيه كل سنة تمضي عليه (ويتعين) على الزوج أو
الولي أن يمنع ما أحدثه النساء من تزيينهن للحواجب بما يمنع وصول الماء الى
البشرة سيما ان كان نجسا اذ أن ذلك محرم اتفاقا (وأما) النقش والتكتيب
فلا شك في منعه لانه نجس وحائل ويزيد على ما ذكر بكشف العورة لاجله
اذ أن المرأة الحرة كلها عورة الا وجهها وكفيها (واختلف) في حال المرأة مع
النساء مثلها من المسلمات فقيل كالرجل مع المرأة الاجنبية وقيل كالرجل
مع الرجل وفيه من التشويه أعني في النقش والتكتيب انهن يضربن به البدن
ويكسبه ذلك خشونة وذلك مما ينغص على الرجل في الاستمتاع وقد يؤول
ذلك الى وقوع البغضاء بينهما وان غفلت المرأة عن نفسها قليلا بقي بدنها
كأنه ضرب بالسياط والغالب أن بدنها يدمى فتزيد النجاسة ويكثر ضد مراد
صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في التباعد عنها وأما هي فالغالب انها
تقاسي من ذلك شدة حتى تبرأ فاذا برئت بقي أثره في بدنها حفرا حفرا بعد أن

كان

كان مستوريا مجيحا سالما من العيوب (وليحذر) من هذه البدعة التي اتخذها
بعض النساء في الغالب وهي انها اذا أرادت الخروج لبست أحسن ثيابها
وتزينت وتعطرت ولبست من الحلى ما قدرت عليه من سوار وخلخال
وتضيف الى ذلك فعلا قبيحا شنيعا وهو أن تجعل الخلخال فوق السراويل
لكي يظهر وقد تضرب برجلها في الغالب فيسمع له حس وهذا خلاف
ما نطق به الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى ولا يبدين زينتهن
الا ما ظهر منها الى قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
(وكذلك) ما يفعلنه من لبس هذا الازار الرفيع الذي لو جعل على عود لافتتن
بعض الرجال في الغالب لحسن منظره وصقالته ورقة قماشه وقد تقدم ان
السنة في حق المرأة اذا أرادت الخروج ان تلبس حشف ثيابها ومع ذلك
فالسنة في حقها ان تجر مرطها خلفها نحوا من شبر الى ذراع وان تمشي مع
الجدران وتترك وسط الطريق وهذا في حق سائر الناس (وأما) في حق العالم
والمتعلم فيجعل حالهما ان يرضيا بشئ من ذلك وقد تقدم انهما قدوة للمقتدين فاذا
رأى أحد زوجة العالم أو المتعلم تعمل شيئا مما ذكر ينسب ذلك الى الشرع
كما تقدم وهذه مفسدة عظيمة فكيف تنسب الى من له علم معاذ الله (وقد)
تقدم ان المرأة لها ثلاث خرجات فان كان ولا بد من الزيادة على هذه الثلاث
فليكن على ما ينبغي من لسان الشرع في ذلك (ويعلمها) السنة في الخروج وفي
الاقامة في بيتها اذ أنها اذا كانت في بيتها فيستحب لها ان تفعل ما تقدم انها
تفعله في خروجها لقوله عليه الصلاة والسلام جهاد المرأة حسن التبعل ومن
حسن التبعل التزين والتحلي والتعطر في بيتها لزوجها مع حسن الخلق والتأني
له ولها في ذلك اسوة بالسلف والخلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين
(وكذلك) يحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم من انهم ينامون في
ثيابهم والسنة الفراش والتجريد من الثياب ما لم يجاوز الاربعين على ما تقدم
(وقد) جاء في الحديث على ما ذكره مسلم ما هو صريح في الدلالة على التجريد
والفراش (وفيه) عن عائشة رضي الله عنها انها قامت من فراشها قالت
فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت ازاري الى أن قال فان جبريل
عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك

وقد وضعت ثيابك (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها بعضهم
وهي قبيحة مستهجنة وهي ان الزوجة اذا جاءت الى الفراش تأخذ شيئا
يعطيه لها زوجها في الغالب غير نفقتها بحسب حاله وحالها لحق الفراش
على ما يزعمن وهذا منكر بين (وقد) وقع بمدينة فاس انهم أحدثوا ان الرجل
اذا دخل على زوجته يعطي فضة عند حل السراويل فبلغ ذلك العلماء
فقالوا هو شبيه بالزنا ومنعوه وهذا انما كان في أول ليلة فما بالك به في كل
ليلة (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى بل المحرم وهو أن الرجل يغفل عن
زوجته في الغالب ولا يسألها عن صلاتها ولا عما يلزمها في الشرع وذلك
محرم لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع في بيته وهو مسئول عن
رعيته فهو مسئول عن صلاتها وقد تقدمت حكاية سيدي أبي محمد رحمه
الله مع أهله والغالب في هذا الزمان ان الرجل يراعي حق نفسه اذا كانت
له عناية بدينه فيها أو يخرج الى الحمام ويترك أهله وهن جنب وليس
عندهن موضع للغسل ولا آلة تعين عليه وقد يستحي بعضهن وهو الغالب
أن يخرجن الى الحمام في كل أوان فيكان ذلك سببا لترك الصلاة وهو يعتقد
انه بريء الذمة من جهة أهله في تركهن الصلاة وليس الامر كذلك وان
أمرهن بها فأمره طاق اذ لا يفكر لهن في تحصيل الغسل من غير مضرة تلحقهن
والغالب ان ترك صلاة الزوجة انما هو من جهته لا من جهتها وقد يجتمعان
في الغالب أعني الغفلة عنها وايثارها لترك الصلاة وقد يكون لها في البيت
ما يمكنها الغسل فيه لكن تستحي من العائلة التي في البيت أن تغتسل وهم
يشعرون بها فتترك الصلاة لاجل ذلك وهذا كله من المحرمات المتفق عليها
ولا حياء في الدين وانما هي عوائد جرت واستحكمت وصار يستحي في
الغالب من فعل الواجبات ولا يستحي من فعل المحرمات عافانا الله من ذلك
بمنه وكرمه (والعجب) من أكثرهم ان الواحد منهم يشتري الدار بالالف
أو يبنيها ابتداء ثم يتوضأ في طشت ولا يعمل موضعا للوضوء فضلا عن
موضع الغسل وما ذاك الا لاجل العوائد الرديئة المستهجنة القبيحة وهو أنهم
لا فكرة لهم في الغالب الا في صلاح دنياهم وما كان من أمر الدين فلا
يفكرون فيه حتى يفجأهم ان كانوا متقين في هذا الزمان فان أصابت الجنابة

بعض المتحفظين منهم على دينه خروج الى الحمام وترك أهله كما تقدم وفي الحمام
من كشف العورات وما لا يجوز أشياء متعددة (وكذلك) تجد بعضهم يعطي
في صداق المرأة المئين أو الآلاف ولا يعد موضعا للغسل بشئ يسير من ذلك
وكذلك المرأة تساعده على ترك ذلك فكأنهم اصطلحوا على فعل الأسباب التي
تترك الصلاة لاجلها والصلاة لا تسقط بشئ من ذلك لا جرم أن التوفيق بينهما
قل ان يقع وان دامت الالفة بينهما فعلى دخن وان قدر بينهما ولود فالغالب
عليه ان ينشأ العقوق وارتكاب ما لا ينبغي كل ذلك بسبب ترك مراعاة ما يجب
من حق الله تعالى منهما معا (وقد) تقدم ان المرأة لو طلبت من القاضي أن
يجعل لها زوجها موضعا للغسل لحكم لها بذلك عليه (ألا ترى) ان مالكا رحمه
الله لما ان سئل عن الغسل من ماء الحمام فقيل له أيما أحب اليك الغسل من
ماء الحمام أو الغسل بالماء البارد فقال والله ما دخول الحمام بصواب فكيف
يغتسل من مائه (فهذا) دليل واضح على ان غسلهم كان في بيوتهم بل ان أهل
الحجاز ما كانوا يعرفون الحمام (ألا ترى) الى ما رواه أبو داود في سننه عن عبد
الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها
الرجال الا بازار وامنعوها النساء الا مريضة أو نفساء (وروى) أبو داود
والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت ثم رخص للرجال أن يدخلوه
بالمئزر (وقال) دخل على عائشة نسوة من نساء أهل الشام فقالت لعلكن
من الكورة التي يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت أما اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها الا هتكت
ما بينها وبين الله تعالى من حجاب (وروى) أبو داود عن جابر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يدخل الحمام بغير ازار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته
الحمام الا من عذر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار
عليها الخمر اه (وقد) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله كثيرا ما يحافظ على
ما نحن بسبيله وذلك انه كان اذا عزم عليه أحد من المعتقدين له أن يدخل

بيته سأله هل عندك حمام فى بيتك أم لا فان قال نعم مضى اليه وان قال لا امتنع من المضى اليه فكان ذلك سببا الى تيسير الطهارة على كل من عرفه فى الغالب (وقد) قال الامام القرشى رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا يسر عليه أسباب الطهارة ولا شك ان من كان فى بيته موضع للغسل والوضوء فقد تيسرت عليه الطهارة اذ أن ذلك من أعظم أسباب التيسير لها

(فصل فى دخول المرأة الحمام) وينبغى له أن لا يأذن لزوجته فى دخول الحمام لما اشتمل عليه فى هذا الزمان من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة لان علماءنا رحمة الله عليهم اختلفوا فى المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل أو حكم الرجل مع المرأة الاجنبية أو حكم الرجل مع ذوات محارمه وهن قد تركن ذلك كله وخرقن اجماع الامة بدخولهن الحمامات باديات العورات وان قدرنا ان امرأة منهن سترت من سرتها الى ركبتها عبن ذلك عليها وأسمعنها من الكلام ما لا ينبغى حتى تزيل السترة عنها ثم ينضاف الى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن فى الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض فكيف يأذن أحد لأهله فى دخولها فان قال انه يأخذ لاهله الخلوة فما ذكر من المفاسد لا تذهبه الخلوة اذ أنهن حين الدخول فيها والخروج منها والجلوس فى المقطع يكشفن على عورات غيرهن ويكشف عليهن اللهم الا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام فكأنها حمام مستقل بنفسه فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر السترة الشرعية ولا يمكن البلانة من الدخول على أهله وهى منكشفة حتى تستتر السترة الشرعية فهذا للضرورة لا بأس به (وكذلك) لو أخلى لاهله الحمام بليل واستترن فلا بأس اذن على ما تقدم فى الخلوة لكن لا أعدل بالسلامة شيئا اذ أن الغسل فى البيت فيه ستر حصين وسد لباب الذريعة الى المفاسد الا ترى ان الواحدة منهن اذا أرادت الحمام استصحبت معها أنفر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل فى الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة وقل ان تقنع المرأة التى ترى ذلك على غيرها من زوجها

المقطع الحوض الذى ملىء نصفه ثم قطع عنها الماء اه

الا بمثل

الا بمثل ذلك أو ما يقاربه وقد لا يكون لزوجها قدرة على ذلك فتنشأ المفاسد وربما كان ذلك سببا للفراق أو الاقامة على شنآن بينهما طول المدة هذا حال غالبهن وذلك ضد مقصود الشرع الشريف في الالفة والودّ الذى جعله الله تعالى بين الزوجين بقوله عز وجل في كتابه العزيز ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة وفي دخول الحمام مفاسد جملة وقد ذكر غنية عن ذكر باقيها وهي بينة عند المتأمل ان عرض ذلك على لسان العلم فيتبين له ما فيه من القبح (فان) قال مثلا الغسل في البيت يصعب عليه (فقد) تقدم أنه لو انفق في خلوة بعلها في البيت من بعض ما يعطى من الصداق أو من ثمن الملك لانسدت هذه الثلمة (فلو) قال أيضا ان الغسل في البيت لا يكون كالحمام سيما في أيام البرد (فالجواب) ان أيام البرد يمكن المرأة أن تستغنى فيها عن الغسل بالسدر وما اشبهه كلا اذ أن أيام البرد لا يجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيرا فاذا فرغت أيام البرد كان الغسل في البيت في الموضع المهيأ له لا مشقة فيه ويكفيها في تلك المدة انها تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة لكن بشرط أن يعلم زوجته سرعة الغسل فان ذلك آمن مما يتوقع من الضرر بها وذلك من السنة الماضية (ألا ترى) الى ما أخرجه البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم أقيمت الصلاة عليه يوما فسوى الناس صفوفهم ثم ذكر أنه جنب فقال على رسلكم ثم دخل بيته وخرج ورأسه يقطر ماء فصلى بهم فهذا دليل واضح على سرعة غسله صلى الله عليه وسلم اذ أنه عليه الصلاة والسلام ارحم الخلق بامته واشفقهم عليها فلو كان زمان الغسل فيه طول لامرهم بالجلوس حين ذكر سيما وقد يكون فيهم الضعيف والشيخ الكبير ولنا في فعله صلى الله عليه وسلم اسوة (وكذلك) يعلمها اذا اغتسلت في البيت أن تترك رأسها مغطى لا تكشفه حتى اذا جاءت الى غسله كشفته وخللت شعر رأسها وأفاضت الماء عليه ثم نشفته في الوقت وغطته ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها وانما يأمرها بذلك خيفة أن يصيبها في رأسها ألم ان تركته مكشوفا حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ولها أن تترك رأسها مغطى حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ثم تغسل رأسها على ما تقدم ذكره وليس في ذلك الا ترك الترتيب فيه وهو في الغسل ليس بواجب ولو كان

المغتسل به ألم في رأسه لا يقدر على كشفه رجلا كان أو امرأة فإنه يغسل جميع بدنه ويمسح على رأسه من غير حائل فلو كان يضره المسح عليه مسح على العمامة أو الخمار ويجزيه ذلك ما دام به الاذى وكذلك ان كان الالم في غير رأسه وليس عليه تيمم عند مالك رحمه الله ومذهب الشافعي رحمه الله يجمع بين الغسل والتيمم ولو كان لا يقدر على استعمال الماء في شيء من بدنه لمرض به أو جرح أو لما يخشى أن ينزل به من مرض فله أن يتيمم وان طال به ذلك (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم في المرأة اذا طهرت من حيضتها وهي في سفر مع زوجها ولم يكن معهما من الماء ما يكفيهما لغسلهما من الجنابة بعد غسلها من حيضتها فليس لزوجها أن يطأها بعد الغسل من حيضتها حتى يكون معهما من الماء ما يكفيهما اللهم الا أن يطول السفر بهما مع عدم الماء فيجوز لزوجها ان يطأها ويتيمما من جنابتهما (وكذلك) فيما نحن بسبيله ان كانت المدة قصيرة لا يتضرر بها الزوج فلا يجوز له وطؤها لعجزها عن استعمال الماء وان طالت المدة وأضر ذلك بالزوج فذلك جائز (وقد) قال عليه الصلاة والسلام الصعيد وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجده فليمسه بدنه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولا فرق بين ان يعدم الماء أو يتعذر عليه استعماله بوجه من الوجوه الشرعية والله الموفق وهذا كله جار على الامتثال (واذا كان) ذلك كذلك فلا عذر له في دخول الحمام على الصفة المذمومة شرعا (فلو) قال مثلا الغالب على الناس عدم الجدة والسكنى بالكراء فلا يتأتى لاكثرهم عمل موضع في البيت للاغتسال فيه (فالجواب) ان الغالب في البيوت ان يكون فيها الخزانة أو موضع كنين فيتخذه للغسل فيجعل فيه اناء يقعد فيه مثل الماجور وغيره والمقصود أن من كان همه صلاح دينه عمل الحيلة في صلاحه ودرأ المفاسد عنه وهذا متعين عليه والله أعلم

(فصل في تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه) ويتعين على الزوج أو غيره ممن يلي أمر المرأة ان يعلمها أحكام الغسل وما يجب وما فيه من الفرائض والسنن والفضائل وان كان هذا موجودا في كتب الفقه لكن تمس الحاجة الى ذكره هنا كما تقدم في أول الكتاب من ذكر فرائض

الوضوء وسننه وفضائله لتتم الآداب في ذلك كله ان شاء الله تعالى فيعلم ان الغسل يجب من أحد أربعة أشياء من الانزال وان لم يكن جماع ومن التقاء الختانين وان لم يكن انزال ومن دم الحيض ومن دم النفاس وفرائضه المتفق عليها في المذهب وهي النية والماء المطلق وتعميم الجسد بالماء واختلف في ثمان الفور والتدلك والبدن الطاهر ونقل الماء وامرار اليد مع الماء ودوام النية والخشوع والتخليل وسننه خمس غسل اليدين قبل ادخالهما في الاناء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الصماخين وفضائله تسع التسمية والسواك والموضع الطاهر والبداءة بغسل أعضاء الوضوء والبداءة بالأعلى فالأعلى والبداءة بالايمن فالأيمن والصمت الا عن ذكر الله تعالى والتشهد والدعاء بعد الغسل واختلف في الخاتم في الغسل والوضوء هل يحركه ليصل الماء الى ما تحته أم لا على ثلاثة أقوال يفرق في الثالث بين أن يكون ضيقا فيحركه أو واسعا فيتركه وليحذر ان يستنجي وهو في يده ان كان عليه اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان قد روي عن مالك اجازة ذلك لكن هي رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم فينبغي أن لا يعرج عليها ولا يلتفت اليها لان مثل هذا لا ينبغي أن ينسب الى آحاد العلماء فضلا عن الامام مالك رحمه الله تعالى لما كان عنده من التعظيم لجانب الله تعالى وجانب نبيه عليه الصلاة والسلام كما هو مشهور معروف عنه (فان كانت) المرأة في السمن بحيث لا تصل يدها الى موضع النجاسة منها فلا يجوز لها أن تترك غيرها يغسل لها ذلك من جارية أو غيرها ولا يجوز أن يكشف عليها غير زوجها فان أمكن زوجها أن يغسل لها ذلك فيها ونعمت وله الاجر في ذلك والثواب الجزيل وان أبي فليس عليه ذلك واجبا وتصلي هي بالنجاسة ولا يكشف عليها أحد لان ستر العورة واجب وكشفها محرم اتفاقا وازالة النجاسة في الصلاة مختلف فيها على أربعة أقوال أحدها ان ازالتها مستحبة وما اختلف فيه فارتكابه أيسر من الذي لم يختلف فيه (وأما الرجل) فان كان لا يصل الى ذلك بيده فانه يتعين عليه ان قدر أن يشتري جارية تلي ذلك منه وان تطوعت الزوجة بغسله لم يجب عليه شراء الجارية ولا يحل له أن يكشف

عورته على غيره من ذكر فان لم يجد فصلاته بالنجاسة أخف من كشف عورته وهذا كله على مذهب مالك رحمه الله تعالى (وكذلك) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في المرأة المدينة أو الرجل يكون مثلها في الموضع الذي لا يصلان اليه بأيديهما من ظهورهما اذا اغتسلا على أربعة أقوال (أحدها) أن يستنيب من يلي ذلك منه (الثاني) انه يتخذ خرقة أو غيرها يعالج ذلك بها (الثالث) انه يغمره بالماء ولا يجب عليه غير ذلك وهذا هو المشهور (والرابع) الفرق بين القليل والكثير (ثم يعلمها) الشروط التي يسقط بها عنها الوضوء والغسل ويجب عليها التيمم وهي ست أن تعدم الماء أو تعدم بعضه أو يتعذر استعماله مع وجوده ووجود الحدث ووجود الصعيد ودخول الوقت وأن يكون متصلا بالصلاة (ثم) يعلمها فرائض التيمم وهي خمس النية والفور والضربة الاولى بالارض ومسح الوجه ومسح اليدين الى الكوعين وسننه ثلاث الضربة الثانية بالارض والمسح من الكوعين الى المرفقين والترتيب وفضائله أربعة التسمية والسواك والصمت وذكر الله تعالى (ويعلمها) موانع الحيض والنفاس على ما تقدم بيانه وانما وقع التنبيه على التعليم لاهله لما يتعين عليه لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته وأيضا فانه يقبح بالمتعلم أو العالم ان تسئل زوجته عن شئ مما يحتاج اليه النساء في الدين فلا يكون عندها علم بذلك مع كونه متعينا عليها فهذا من أقبح الاشياء وأرذلها اذ أنه قدوة للمقتدين كما تقدم

(فصل في دخول الرجل الحمام) وليحذره وأيضا من دخول الحمام مهما استطاع تركه كان به علة أولا بل أوجب اذ أن العلة التي تقدم ذكرها في حمام النساء موجودة في الغالب في حمام الرجال وان كانوا في السترة أوجد من النساء (ألا ترى) ان بعضهم اذا دخل الحمام استتر بالفوطة فاذا استقر فيه نزعها وبقي مكشوف العورة وكذلك اذا خرج الى المسلخ ألقى ما عليه وبقي مكشوفا حتى يتنشف (وقد قال) علماؤنا رحمة الله عليهم انه لا يجوز أن يجتمع مستور العورة مع مكشوف العورة تحت سقف واحد (وقال) ابن رشد رحمه الله تعالى في معنى كراهة مالك للغسل من ماء الحمام ثلاث معان

(أحدها) ما نحن بسبيله وهو أنه لا يأمن أن تنكشف عورته فيراها غيره أو تنكشف عورة غيره فيراها هو إذ لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس لقلة تحفظهم وهذا إذا دخل مستترا مع مستترين وأما من دخل غير مستتر أو مع من لا يستتر فلا يحل ذلك ومن فعله فذلك جرحة في حقه وقدح في شهادته (المعنى الثاني) أن ماء الحمام غير مصان عن الأيدي والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبي الصغير والكبير الذي لا يعرف ما يلزمه من الأحكام فيصير الماء مضافا فتسلبه الطهورية (الثالث) أن ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والأقذار فقد يصير الماء مضافا من دخانها فتسلبه الطهورية أيضا كما تقدم اهـ وهذا حال أهل وقتنا في الغالب وهو أن يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة كما هو مشاهد معلوم مع أنه قد ذكر بعض الناس أنه يجوز دخول الحمام وإن كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه كما أنه يجوز له الاغتسال في النهر وإن كان يجد ذلك فيه كما يجوز له أن يدخل المساجد وفيها ما فيها (وهذا) الذي ذكره رحمه الله تعالى محمول على زمنه الذي كان فيه وأما زماننا هذا فمعاذ الله أن يجيزه هو أو غيره لما تقدم ذكره من أن النساء باديات العورات كأنهن ليس فيهن من تستتر والسترة الشرعية عيب عندهن كما تقدم وحمام الرجال قريب منه فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده (وما ذكره) من الغسل في النهر والدخول في المساجد وفيها ما فيها فغير وارد لأن المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء إلا أن يضطر إليها على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى مع أن الغالب في هذا الوقت أن شاطئ النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئي من كشف عورات النواتية ومن يفعل كفعلهم سيما إن كان في غير زمن البرد فذلك أكثر وأشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو إلى الكلام على ذلك لمشاهدته عيانا وما أتى على بعض المتأخرين إلا أنهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم في زمانهم وليس الأمر كذلك بل كل زمان يختص بعرفه وعادته والله الموفق (وكذلك) يجري هذا المعنى في الفساقي التي في المدارس والرباطات إذ أنها محل كشف العورات في هذا الزمان ومن ذلك ما تجده

فى الحمام فى الغالب من الصور التى على بابه والتى فى جدرانه وأقل ما يجب
عليه من التغيير ازالة رؤسها فيتعين عليه انكار ذلك والأخذ على يد فاعله
فكيف يدخله العالم أو المتعلم ويسكت الى غير ذلك من المفاسد وهى بينة
(وان) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط
وهى أن لا يدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوى (الثانى) أن يتعمد
أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بازار صفيق (الرابع)
أن يطرح بصره الى الارض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور
(الخامس) أن يغير ما رأى من منكر برفق يقول استتر سترك الله (السادس)
ان دلكه أحد لا يمكنه من عورته من سرته الى ركبتيه الا امرأته أو جاريته
(السابع) أن يدخله بأجرة معلومة (الثامن) أن يصب الماء على قدر الحاجة
(التاسع) ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على
كراهة فى ذلك لما يخشى (العاشر) ان يتذكر به عذاب جهنم (وينبغى) أنه
مهما استطاع أن يعلم أهله بالفعل كان أولى اذ أنه أبلغ فى الثبوت فى نفس
المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من اناء واحد حتى
انها تقول دع لى دع لى فكل شئ يمكن تعليمه بالفعل للمتعلم كان ذلك أولى من
القول كما تقدم من انه أثبت فى النفوس (وينبغى) له أو يتعين عليه أن يعلم
أهله كل ما يحتاجون اليه من الاحكام غير ما تقدم اذ أن ما ذكر انما هو تنبيه
على سائر ما يعتورهم لان النساء فى الغالب يتعلمن منهن الاحكام فيما يقع
لهن فاذا كن جاهلات بما يسألن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) اذا
دخل بيته فهو بين أحد أمرين (اما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسعه غيره
فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكى) عن القاضى
عبد الوهاب رحمه الله انه لما أن دخل مصر وتأهل بها وقعد مع زوجته سنين
ثم مات رحمه الله تعالى أراد أهلها أن يزوجوها فقالت لهم اذا عزمتم
فزوجونى على أنى بكر فقالوا لها كيف وقد أقمت سنين معه فقالت أول ليلة
دخل على صلى ركعتين وجلس ينظر فى كتبه ولم يرفع رأسه ثم كذلك فى سائر
أيامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع رأسه ونظر الىّ
وتبسم وأخذ القلم الذى بيده بحبره على وجهى وأفسد به زينتى ثم أكب رأسه

على كتبه لم يرفعه بعد ذلك حتى انتقل الى ربه عز وجل فمن كانت له همة سنية فلينسج على منواله (وقد) قال العلماء ان طالب العلم يحتاج الى ستة أشياء لا بد له منها فان نقص منها شئ نقص من علمه بقدر ذلك وهي همة باعثة وذهن ثاقب وصبر وجدة وشيخ فتاح وعمر طويل (فان) أراد أن يستريح فكيفية النية في ذلك أن ينوي بتلك الاستراحة امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة (وينوي) بذلك ادخال السرور على أهله بالاقبال عليهن والتحدث معهن (وينبغي) له أن يكون مع أهله وولده كواحد منهم لا مزية له عليهم أعني بذلك في بسطه لهم والتواضع معهم وينوي بذلك كله امتثال السنة (وذلك) كله جائز بشرط أن يكون لا يعارضه مخالفة أمر ولا ارتكاب نهي لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا وقد تقدم ان الفراش والتعري من السنة (وقد) كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بعد صلاة العشاء وفرغ من ركوعه في بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة (ثم) اذا عزم على الدخول في الفراش فالمستحب له أن يتوضأ للنوم وان كان على وضوء ثم يركع في الموضع الذي ينام فيه وهذا ما لم يوتر فان كان قد أوتر فالاولى أن لا يصلي بعد الوتر الا بعد أن يقوم من نومه على المشهور رجاء أن تستغفر له الملائكة ما دام في مصلاه وان كان نائما لقوله عليه الصلاة والسلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وان كان عند ارادته النوم محدثا فلينو بوضوئه رفع الحدث لكي يستبيح به الصلاة اتفاقا (والحكمة) في وضوئه عند ارادته النوم هي ان النوم تارة يكون من باب الاضطرار وتارة يكون من باب الاختيار كالاكل والشرب منه ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار ورأس مال المؤمن انما هو عمره فان عمره بالعمل الصالح ربح عمره وزكا فشرع له الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند ارادة النوم لكي يعتبر به النوم من أي جهة هو فان كان من باب ضرورة البشرية فهو لا يذهب الوضوء وان كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهبه (وفيه) وجه آخر وهو أن النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من الطهارة كالميت (وفيه) وجه آخر وهو أنه قد يموت في

ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكي يكون على أكمل الحالات (وفيه) وجه رابع وهو أن النوم اذا وقع عقب طهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لاجل بركة الاتباع فتوفر عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم (ثم) يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفيه وينفث فيهما ويمسحهما على سائر جسده ثم يتعرى كما سبق ويدخل في فراشه فيضطجع على جنبه الايمن بعد تسمية الله تعالى وليس من شرطه أن يبقى على الايمن بل نفس الدخول هو الذي يطلب فيه التيمن ثم بعد ذلك ينتقل الى ما هو أيسر عليه فان كان به ضعف يتعذر عليه أن يدخل على الايمن فالاولى أن يتحمل المشقة في الدخول على الايمن ثم يرجع من ذلك من حينه وان تعذر عليه ذلك فيدخل على الجنب الآخر للضرورة الداعية الى ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى اشتكى مرة بنزلة نزلت له في الجانب الايمن وحصل له من ذلك شدة فلما ان جاء الى الفراش ليضطجع صعب عليه أن يضطجع على تلك الجهة فأراد أن يضطجع على الايسر لاجل الضرورة ثم وقع له أنه يتحمل المشقة في تلك اللحظة لتحصل له بركة الامتثال ثم ينقلب الى الجانب الايسر في الوقت قال فاضطجعت على الايمن بعزيمة فوالله ما أعلم هل الالم ارتفع قبل وصول رأسى الى الوسادة أو بعد وصوله انتهى وما ذاك الا بركة امتثال السنة اذ أنها لا تدخل في شئ الا وحلت البركة فيه (ثم) يقرأ آية الكرسى ثم يسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ويكبر الله أربعا وثلاثين ويجعل يده اليمنى تحت خده اليمين ويده اليسرى على وركه الايسر ثم يقول باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك ارفعه اللهم ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك ووجهت وجهى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ورسولك الذى أرسلت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك انتهى (ثم) يقول اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك وينوى بنومه العون على طاعة الله تعالى مطلقا من طلب علم أو صلاة

وغيرهما

وغيرهما اذأنه اذالم يعط نفسه حظها من النوم قل أن يتأتى له منها التوفية بالمأمورات على أنواعها سيما وهو مطلوب بالحضور فى الطاعات سيما ان كانت صلاة اذ الحضور مع النوم متعذر (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (ثم) يشعر نفسه حين الدخول فى الفراش بالدخول فى قبره لان النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من حالة الموتى وهو التجرد من ثياب الاحياء والدخول فى ثياب تشبه ثياب الموتى اذ أنها شبيهة بالكفن (فاذا) أشعر المرء نفسه بذلك قل منه الاستغراق فى النوم وخاف الفوات (اذ) أن قيام الليل فيه فوائد منها أنه ينور القبر لان وقت الليل شبيه بظلمة القبر فكان الثواب مناسبا لقيامه فى ظلمة الليل (وفى التعرى) حكم أخرى وهى أنه يريح البدن من حرارة حركة النهار ويسهل عليه التقلب يمينا وشمالا (وفيه) ادخال السرور على أهله (وفيه) زيادة التمتع بالاهل بخلاف ما يفعله أكثر الناس اليوم لانّ التمتع عندهم انما هو فى الهل ليس الا اذ أن الرجل ثيابه عليه والمرأة مثله (وفيه) التواضع (وفيه) امتثال السنة كما تقدّم (وفيه) امتثال الامر لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والنوم فى الثوب هو من ذلك الباب فان الثوب الذى عمره سنة اذا نام فيه نقص عن ذلك (وفيه) قلة الدواب (وفيه) قاعدة من قواعد السنة وهى النظافة اذ أن الثوب الذى ينام فيه يكثر فيه هوام بدنه ويتقذر الى غير ذلك من الفوائد وهى جملة (وينبغى له) أن يعتبر فى النوم وحالته فيه اذ أنه بينما هو حاضر العقل والحس متكلم سميع بصير آمر ناه مدبر الى غير ذلك من الامور ثم تأتى عليه عاهة النوم لا يشعر بها من أين أتته ولا يكيفها فيترك الملك ملكه وتدبيره وسياسته فيه والعالم علمه والمحترف حرفته وكل من كان فى شئ وعزم على فعله تركه قهر الاجل هذه العاهة التى أتت عليه جبرا على ذلك ليس له سبيل الى الامتناع منه ولا دفعه عنه فسبحان من قهر عباده بالموت وهذا متكرر عليه فى كل ليلة وفى بعض الايام وهو المذكر بالموت والدال عليه قال الله تعالى فى كتابه العزيز الله يتوفى الانفس حين موتها

والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون كل ذلك تذكرة وعبرة لمن ينظر ويعتبر قال عز وجل في كتابه العزيز وفي أنفسكم أفلا تبصرون بينما هو مستيقظ مدع للقوة والسطوة اذ أتاه مالم يقدر على دفعه كما تقدم فيسيل لعابه وتنحل أعضاؤه ويحدث وهو لا يشعر بنفسه والغالب على بعضهم انه يبقى مثله اذ ذاك ولاجل هذا المعنى كان من الادب في النوم أن لا ينام بين مستيقظين قال الله تعالى في كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين قال العلماء رحمهم الله سلط عليهم النوم والنسيان (ثم) يتذكر به ما أنعم الله تعالى عليه بسببه اذ أن اليقظة فيها حرارة فلو تمادت على البشرية لأهلكتها سيما وكثير من الناس لهم الرغبة فيما هم بصدده من طلب دنيا والعمل في أسبابها أو علم أو عمل الى غير ذلك فلو وكل الامر اليه فيه لحرم نفسه النوم البتة لقوة الحرص على ما هو بسبيله بجعل الله تعالى النوم يأتيه قهرا رحمة به هذا وجه (الوجه الثاني) أن التصرف فيه حرارة والنوم فيه سكون وبرودة فيعتدل مزاجه بذلك (قال) الله تعالى في كتابه العزيز ومن كل شئ خلقنا زوجين وهذه منه يقظة ونوم حرارة وبرودة ذكر وأنثى صحيح ومريض طائع وعاص مؤمن وكافر شقي وسعيد الى غير ذلك (والمقصود) ان الله تعالى جعل ذلك رحمة للعبد بفضله وحرسه مع ذلك في نومه كما حفظه في حال يقظته (قال) الله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن (وقال) الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فسبحان المنعم المنان

(فصل في آدابه في الاجتماع بأهله) فان كانت له حاجة الى أهله فالسنة الماضية في ذلك أنه لا يكون معه أحد في البيت غير زوجته أو جاريته اذ ذاك (وقد كان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا كانت له حاجة الى أهله أخرج الرضيع من البيت (وقد) قالوا لا ينبغي أن يفعل ذلك وهر في البيت وذكر الهر منهم تنبيه على غيره والمقصود انه يكون سالما من عينين تنظران اليه اذ أن ذلك عورة والعورة يتعين سترها (وهو) مخير في فعل

ذلك أوّل الليل أو آخره لكن أوّل الليل أولى لانّ وقت الغسل يبقى زمنه
متسعا بخلاف آخر الليل فانه قد يضيق عليه وقد يؤول الى تفويت الصبح فى
جماعة أو الى اخراج الصلاة عن وقتها المختار (ووجه آخر) وهو أن آخر الليل
اذا فعل ذلك فيه كان عقيب نوم وقد يتعلق بالفم والانف شئ من بخار المعدة
مما يغير رائحة الفم أو الانف فاذا شمها أحدهما كان ذلك سببا لكراهة
أحدهما فى صاحبه ومراد الشارع صلوات الله عليه وسلامه دوام الالفة
والمحبة وذلك ينافيها (ألاترى) الى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يأتى
الرجل أهله طروقا ليلا لئلا يدخل عليهنّ قبل ان يتأهبن للقائه فنهى عليه
الصلاة والسلام عن ذلك لكى تمتشط الشعثة وتدّهن وتتطيب وتتأهب
فيكون ذلك أدعى الى بقاء الصحبة والالفة والمودّة (ألاترى) الى فعله عليه
الصلاة والسلام انه كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه وذلك
لفوائد (أحدها) ان يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع
والسجود (ومنها) ان يفضل ما هو منسوب الى ربه لينبه أمّته صلى الله عليه
وسلم على تقديم ما هو لله على ما لانفسهم فيه حظ مّا (ومنها) ان أصحابه
ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته والسلام عليه حين قدومه فاذا فرغوا
ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه الى الخروج فى الغالب (ومنها) ما تقدم ذكره
من أن أهله يأخذون الاهبة للقائه (ومنها) ان لقاء الاحبة بغتة قد يؤول
الى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوّة ما يتوالى على النفس اذ ذاك من الفرح
والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس انهم ماتوا بسبب ذلك فاجأهم
السرور فماتوا من شدة الفرح وقوم فجأتهم المصائب فماتوا من شدّة الهم والغم
(ومن) هذا الباب ما فعله يوسف الصدّيق صلى الله عليه وسلم فى التلطف
بالاجتماع بأبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام فى انه أرسل اليه البشير أوّلا
حتى علم أنه موجود فى الاحياء ثم أرسل اليه ثانيا القميص ليجد ريحه كما أخبر
به عز وجل فى كتابه العزيز فزاد أنسه بشم رائحته وأثره ثم بعد ذلك وقع
الاجتماع (وينبغى) له اذا عزم على الاجتماع بأهله ان يتحرز مما يفعله بعض
العوام وهو منهى عنه وهو أن يأتى زوجته وهى على غفلة بل حتى يلاعبها
ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما شاكل ذلك حتى اذا رأى انها قد

انبعثت لما هو مريد منها وانشرحت لذلك وأقبلت عليه فحينئذ يأتيها (وحكمة) الشرع في ذلك بينة وذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها فاذا أتاها على غفلة قد يقضي هو حاجته وتبقى هي فقد يشوش عليها ذلك وقد لا ينصان دينها فاذا فعل ما ذكر تيسر عليها الامر وانصان دينها (ثم) اذا أتاها فيمتثل السنة في ذلك وهو أن يقول ما جاء في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال لو ان أحدكم اذا أتى الى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه اه (ولاشك) ان من امتثل السنة في ذلك خرج ولده كما ذكر عليه الصلاة والسلام (فان) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على صفة من الصفات الذميمة (فالجواب) ان والده لو امتثل السنة فيما تقدم ذكره ما حصل شيء من ذلك والقليل من الناس من يثبت لامتثال السنة في ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها (وينبغي) له ان يراعي حق زوجته في الجماع وان يأتيها ليصون دينها ويكون قضاء حاجته تبعا لغرضها فيحصل اذ ذاك في عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف السنة في ذلك يأتي زوجته على غفلة فيقضي حاجته منها وهي لم تقض منه وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لاحد شيئين اما فساد دينها واما تبقى متشوشة متشوفة لغيره (وينبغي) له ان لا يجامعها وهما مكشوفان بحيث لا يكون عليهما شيء يسترهما (لان) النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق رضي الله عنه يغطي رأسه اذ ذاك حياء من الله تعالى (وان كان) في برية أو على سطح فلا يجامع مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وان كان) في بيت فيختلف فيه بالجواز والكراهة والمشهور الجواز (وينبغي) له اذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام لان ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم انها قد انقضت حاجتها والمقصود مراعاة أمرها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي عليهن ويحض على الاحسان اليهن وهذا موضع لا يمكن الاحسان اليها من غيره فليجتهد في ذلك جهده والله المسؤول في التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغي) له أن

يجتنب ما يفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه الله عنه فأنكره وعابه
وهو النخير والكلام الساقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما أنكر مالك رحمه
الله ذلك لأنه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء أربه فهو مخير بين
أحد أمرين اما أن يغتسل لينام على أكمل الحالات واما أن يتوضأ لينام على
احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل أو الوضوء هل يتيمم أم لا
(قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا ينام
الا بوضوء أو تيمم (وينبغي) له أن ينوي عند الجماع رجاء أن يكون بينهما
ولد يكثر به الاسلام ويكون من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اني لأتزوج النساء ومالي اليهن حاجة وأطأهن ومالي اليهن
شهوة قيل له ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهري من
يكاثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة (وينبغي) له اذا نوى
ما تقدم وفعل ما ذكر أن يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه
فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوته وأن يكون اذ ذاك
متواضعا متذللا لعل أن تقضى حاجته (وقد) جاء في الحديث الصحيح عن
نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة
امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله
فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فالحاصل من هذا
ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى ويكل الامر اليه ويتبرأ من مشيئته كما
تقدم (ثم) ان بدا له أن يعود الى الاجتماع بأهله فان كان بعد الغسل
أو الوضوء فيفعل كما تقدم أولا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل أن
يعود (لأن) النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ذلك غسل ذكره ثم عاد
(قال) القاضي عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر
يقوي العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شأن العرب أن يتمدحوا به
ويفتخروا به لانه دليل على قوة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) المعنى
أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ماء أربعين رجلا حتى خرج عن مألوفهم وعادتهم

(فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبى صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والمرسلين فالجواب عن نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام فى كونه أعطى ماءمائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ومن شأن الملوك الزيادة فى هذا الشأن وكثرة النساء فأعطى ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد فضلا عن ماء مائة رجل والنبى صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فأعطى صلى الله عليه وسلم ما يفضله به وان كان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى ماء أربعين رجلا فحاله فى ذلك كما قالت عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وأيكم أملك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يأتى لأحوال البشرية لأجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تأنيس البشرية لأجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (ألا ترى) الى قول عمر المتقدم ذكره انى لاتزوج النساء ومالى اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل أحببت وقال من دنياكم فأضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا بمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعانى العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكى الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا يأتى الى شئ من أحوال البشرية الا تأنيسا للامة وتشريعا لها الا أنه محتاج الى شئ من ذلك كما تقدم ولجهل بهذه الأوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (ألا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك فقال لكم انى ملك ولم يقل انى ملك

فلم ينف المشكية عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام
لا فى ذاته الكريمة اذ أنه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر
(ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى
صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالا بشار كان الياقوت حجر ليس
كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على
أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك
نفسه (ومن) هاهنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أنوجنى الذى
أنوجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض
العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والاوجاع لرفعة منازل المرسلين
ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث
انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد
المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان
تلك السكرات سكرات الطرب (ألا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال
له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الاحبه
محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو
النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم للمولى
الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة
عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية وما يطرأ عليها
من الامراض والاعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة
والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق
ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) نجده محسوسا فى بعض
الاولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه
(ألا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما
أصابته الاكلة فى رجله فأرادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا
تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم
لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

(فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبى صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والمرسلين فالجواب عن نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام فى كونه أعطى ماء مائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ومن شأن الملوك الزيادة فى هذا الشأن وكثرة النساء فأعطى ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجد والقدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد فضلا عن ماء مائة رجل والنبى صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فأعطى صلى الله عليه وسلم ما يقضاهيه وان كان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى ماء أربعين رجلا فحاله فى ذلك كما قالت عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وأيكم أملك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يأتى لأحوال البشرية لأجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تأنيس البشرية لأجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (ألا ترى) الى قول عمر المتقدم ذكره انى لاتزوّج النساء ومالى اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل أحببت وقال من دنياكم فأضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا بمولاه عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعانى العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكى الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا يأتى الى شئ من أحوال البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا لها لا أنه محتاج الى شئ من ذلك كما تقدم وللجهل بهذه الأوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق (ألا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك فقال لكم انى ملك ولم يقل انى ملك

فلم ينف المسكنة عنه الا بالنسبة اليهم أعنى فى معانيه عليه الصلاة والسلام
لا فى ذاته الكريمة اذ أنه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر
(ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى
صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالأبشار كما ان الياقوت حجر ليس
كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على
أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك
نفسه (ومن) ههنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أخرجنى الذى
أخرجكما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض
العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والأوجاع لرفعة منازل المرسلين
ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث
انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد
المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان
تلك السكرات سكرات الطرب (ألا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال
له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الاحبه
محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو
النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم للمولى
الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة
عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية وما يطرأ عليها
من الامراض والأعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة
والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق
ومن كان كذلك فهو غائب عن ألم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا فى بعض
الأولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه
(ألا ترى) الى ما حكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما
أصابته الاكلة فى رجله فأرادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا
تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم
لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما ان كان فى الصلاة حضروا

فقطعوها له فلما فرغ من صلاته وآهم محدقين به فقال لهم أتريدون أن تقطعوا الى غير هذه المرة ان شاء الله تعالى فقالوا له هاهو ذا فقال والله ماشعرت بكم (وكذلك) ما حكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه كان في المسجد يصلي وانهدمت اسطوانة فيه فهرع الناس من أسواقهم ينظرون الخبر لشدة انزعاجهم عند وقوعها وتأثيرهم وهو في الصلاة لم يشعر بشئ من ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتأخرين انه اذا كان في بيته لا يتكلم أحد في حضرته فاذا دخل في الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا انه اذا كان في الصلاة لا يشعر بشئ (وظاهر) ما حكي عنهم في ذلك مشكل وبيان اشكاله انه اذا لم يشعر بشئ مما ذكر فكيف يتأتى منه التوفية بأركان الصلاة (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يزيل هذا الاشكال فيفرق بين الفرض والنفل ويقول ان كان فرضا فلابد من ابقاء بعض حال البشرية عليه لتوفية أركان الفرض وان كان في النفل فحقيقة الحضور فيه أن يفنى الذاكر في المذكور

(فصل) وقد تقدم في الحديث الوارد في ان المؤمن يأكل بشهوة عياله فاذا كان في الاكل بهذه المثابة فما بالك به في الجماع اذ أنه من أكبر الملذوذات والشهوات فيعمل على أن يوفي لها ذلك اذا أرادته وهو لا يطلع على ارادتها لانها لا تطلب ذلك في الغالب وان كان قد ركب فيها من الشهوة أضعاف ما في الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء ما يغمر ذلك كله فاذا رأى منها أمارات الطلب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين وتتعطر وتلبس الى غير ذلك (فالحاصل) انه يكون غرضه تابعا لغرضها فيتصف اذ ذاك بما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه الى غير ذلك وهو كثير (وهذا) اذا لم تكن ثم ضرورة آكدة للجماع في وقته ذلك مثل ان يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يمتثل السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان الذي عندها عندهذه فان كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها (لكن) ينبغي له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها

(وقد ورد) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم أبدل لي عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية أو كما قال عليه الصلاة والسلام

(فصل) وليحذر أن يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذي أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة في دبرها وهي مسئلة معضلة في الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى الجواز ويقولون انه مروى عن مالك رحمه الله وهي رواية منكرة عنه لا أصل لها الا ان من نسبها الى مالك انما نسبها لكتاب السر وان وجد ذلك في غيره فهو مقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أن مالكا لم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن اباحتها فكيف بنصبه وما عرف مالك الا بنقيض مانقلوا عنه من أن بعض الخليفة يرخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى ينزلهم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ماجرى له مع الخليفة في اقراء الموطا عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله في الكتب المشهورة المروية عنه عن جواز وطء المرأة في دبرها فقال أما أنتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أيكون الزرع حيث لانبات (وقوله) تعالى انى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة في موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روى عن ابن عباس وروى عنه أيضا أنه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روى عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة في دبرها (ومن) البيان والتحصيل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في محاشهن ملعون من أتى النساء في غير مخرج الاولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله في الكتب المروية عنه أنت تبيح ذلك فقال كذب من قاله

قوله في محاشهن أي أدبارهن كما في رواية اهـ

وقال مرة أخرى كذبوا على وقال فى أخرى كذبوا على عافاك الله أما تسمع الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ولا يكون الوطء الا فى موضع الولد (ومن) كتاب التفسير لابن عطية رحمه الله وفى مصنف النسائى قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتيان النساء فى أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما انزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج فى هذه النازلة على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبى رحمه الله وقد روى عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذى فى مسنده عن سعيد بن يسار بن الحباب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) أبو داود الطيالسى فى مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى أعنى اتيان المرأة فى دبرها (وروى) عن طاوس انه قال كان بدء عمل قوم لوط اتيان النساء فى أدبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشئ عن النبى صلى الله عليه وسلم استغنى به عما سواه (ومن) كتاب الشيخ الامام الجليل أبى عبد الله محمد المعروف بابن ظفر روى أن عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال أما علمتم أنها اللوطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم أن شرطى المدينة دخل على مالك بن أنس رحمه الله فسأله عن رجل رفع اليه أنه قد أتى امرأته فى دبرها فقال له مالك بن أنس أرى أن توجعه ضربا فان عاد الى ذلك ففرق بينهما (وأمّا) ما حكى ان قوما من السلف أجازوا ذلك فلا يصلح مع ماذكر من اضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم فان الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره أى ظهره والمرأة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعنى انها تؤتى من جهة ظهرها فى قبلها (وسبب) نزول الآية أن رجلا من المهاجرين تزوج امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من انهم كانوا يتلذذون من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فانكرته عليه وقالت كا نؤتى

على

على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك فى موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله فى فرجها من ورائها كان ولده أحول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اه من السنن لابى داود وقد أخرجه البخارى أيضا (هذا) ما هو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء فى الفرج فى حال الحيض من اجل الاذى لقوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهى أيام يسيرة من الشهر غالبا فما بالك بموضع لا تفارقه النجاسة التى هى أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء فى الدبر فهو محرم مطلقا وفيما تحت الازار فى أيام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغى أن تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤها فى الدبر لا منفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثانى ان الوطء فى ذلك المحل يضرها

(فصل) ويتعين عليه أن يتحفظ فى نفسه بالفعل وفى غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التى عمت بها البلوى فى الغالب وهى ان الرجل اذا رأى امرأة أعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التى رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لى من أثق به انه استفتى فى ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بأن قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هى أشد لان الغالب عليها فى هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التى رأتها بين عينيها فيكون كل

واحد منهما فى معنى الزانى نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على اجتناب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويخبرهم بان ذلك حرام لا يجوز (وقد) ذكر الطرطوشى رحمه الله فى ذلك حديثا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما

(فصل) وينبغى له أنه اذا اجتمع باهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيئا من ذلك لغيرها وكثيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فيذكر بين أصحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم فى المصادر والموارد كما تقدم. وكما لا يحدّث أحدا من الناس بما ذكر فكذلك لا يحدث أهله بشئ جرى بينه وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما يتساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتى الرجل الى أهله فيثنى لهم على من يخطر بباله ويسلم عليهنّ من جهته والسلام يحدث المودّة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم ليس للنساء فى السلام نصيب (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن أن يبلغ الانسان لهن السلام فانه يحدث لهن المودة فى القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان ونزغاته فليحذر من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة فى الابتداء به اللهم الا أن يحدّث المرء بما يجرى له مع شيخه أو من يعتقده فى مسائل العلم أو ما يحتاج اليه المكلف فى دينه من الاداب فهذا مندوب اليه وقد يجب فى بعض المواطن (وقد) تقدّم الكلام على آدابه فى تصرفه فى بيته لكن بقى من ذلك أوّل ليلة تدخل عليه الزوجة أو الجارية فالتصرف فى ذلك كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها والناصية مقدم الرأس زوجة كانت أو جارية بكرا كانت أو ثيبا فيثنى على الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضى لسبيله

(فصل) فاذا استيقظ من نومه فليمر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن عليه ثم يسمى الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى فى الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على غير جنابة قرأ ان فى خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران ويداه تعرك النوم عن عينيه كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمى الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضى الله عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحى القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرأ شيئا من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم ما يفعل فى ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم بأى نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية فى أول الكتاب فاغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس فى الغالب انما هو لاجل العقد الثلاث فان هو ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيطا طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع أنه اذا فعل المرء ما ذكر يصلى ركعتين خفيفتين ثم

بعد ذلك يصلي ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى اقل من ذلك على ما جاء في الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقد الشيطان كلها ويذهب اثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذي يحصل له ما يقدر به على طول القيام الذي شرعه عليه الصلاة والسلام في قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل يده اليمنى في كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله فعمت الافعال كلها بقولها في شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة الشرعية لان المكلف لا يخلو فعله من احدى ثلاث اما واجب أو مندوب أو مباح فذكرت الطهور للتشبيه به الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك في اللبس فينبغي أن يكون عكسه في النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ما تقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

(فصل) وينبغي أن يكون الطالب مع شيخه أعني في الاجتماع به مختارا للاوقات التي يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزا من أن يجد للاجتماع به كلفة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده في ذلك الوقت ما هو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصيرهو وهم بالسواء أعني في بطالة تلك الاوقات الشريفة ولا شك ان الشيطان ألقى اليهم ذلك فتجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (ألا ترى) الى ما كان عليه حالهم في شهر رمضان اذ أنه اذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض وتفركل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم فانه اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس

الامور وارتكاب ما لا ينبغي مع رؤية النفس انها على الخير والذين فيرون أن اجتماعهم في هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

(فصل في نبذ بقيت لم تذكر بعد) فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا في المدرسة أو الرباط فينبغي له أن يتحفظ من أمور منها أن لا يدع الوضوء من ماء الفسقية أو البئر ولا يتوضأ من ماء الصهريج أو الزير المعدين للشرب لان ذلك انما عمل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم انه قدوة لغيره فقد يقتدى به فيكون ذلك ذريعة الى فعل ما لا يجوز وبعض الناس يفعل ما ذكر وهو لا يجوز لما تقدم (وينبغي) له أن لا يتوضأ على البلاط الذى على السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغي) له أن لا يستجمر بالحجارة ويدعها في الموضع لان القيم اذا وجدها هناك رماها في السرب فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط الوقف أو بأصبعه ويمسح ما أصابه في الحائط وهذا النوع قد كثر وهو محرم (وينبغي) له اذا لم يتوضأ في الفسقية أن يكون له وعاء يتوضأ فيه وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما تقدم (وينبغي) له اذا صعد اونزل أن يمشي برفق اذ أن المشي بقوة يضر بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم ليتنبه بما ذكر على ما لم يذكر والله الموفق

(فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما) والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم في العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ما ذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما قارئا للقرآن أولا أم القرآن فقيها بأحكام الصلاة (والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن في الاذان (وينبغي) للامام أن ينوى الامامة في خمسة مواضع وهي كل صلاة لا تصح الا في جماعة حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه ان ينوى الامامة في غيرها وهي صلاة

الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان مأموما
واستخلف هذا الذي يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم
ينو الامامة لا تحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغي له أن يستصحب
مع ذلك نية الايمان والاحتساب كما تقدم في حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه
أن ينوي أنه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على
الكفاية فاذا عزم عليها فلينو بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط
ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغي) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة
عنها (وقد ورد) أن جماعة ترادّوا الامامة بينهم فخسف بهم وكثير من الناس
من يتورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من يبادر اليها وهو خطأ أيضا
(وأما) في زماننا هذا أعني في الديار المصرية وما أشبهها فينبغي لمن فيه أهلية
أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على ما يعلم
من ذلك (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اذا أخذك وقت الصلاة
بمسجد من المساجد فان كنت في بلاد المغرب فصل حيث كنت وليس عليك
اعادة وان كنت في الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل بين أن تعلم حال
الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية مضت صلاتك
والا فتعيدها (وكان) رحمه الله تعالى ذلك فيقول ان بلاد المغرب لا يتولى
الامامة في المسجد الاعظم الا من أجمع أهل تلك البلد على فضيلته وتقدمته في
العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة فيها الا من أجمع أهل
تلك الناحية على فضيلته عليهم وأما الديار المصرية وما أشبهها فان الامامة فيها
بالدراهم غالبا وهي اذا كانت كذلك لا يتولاها الا صاحب جاه أو شوكة
ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى خلفه وهو لا يعرف حاله
أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن
تستشفعون (وينبغي) له اذا تولى الامامة أن يكون ذلك منه بنية صالحة
صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة
مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة من أكبر مهمات
الدين (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من عمل من
هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وعرفها يوجد

من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركه اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ دنيوي أو نفساني أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حي على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم في أمر العالم ولو تكلم في ذلك بنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد المسلمين لمصالح دينهم فذلك سائغ ما لم يصحبه حظ مّا فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (وينبغي) له أن يتحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن في بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة في غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يتحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطؤهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا في الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض في حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بالك بمن له الامامة اذ به الحل والربط في الصلاة (وينبغي) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التي تزري بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سيما مع الاجانب والمشي في الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التي تزري بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة في شئ (وقد) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (وبعضهم) يقعد على دكان البياع لا لحاجة وذلك جلوس على الطرقات وهو

موضع النهي كما تقدم (وينبغي) له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا وأكثرهم علما وخشية ورقة (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة فينبغي أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل بجميع من خلفه في صحيفته وفي خفارته (وينبغي) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويتخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وينبغي) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر مهماته التحفظ من العوائد المتخذة والبدع المحدثة التي أحدثها كثير من الناس حتى صارت كأنها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطر جهده اذ أنه علم للعامة في المسجد في الاقتداء به في الغالب

(فصل في ذكر بعض البدع التي أحدثت في المسجد والامر بتغييرها) قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا شك ان المسجد وما يفعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلي فانما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا فنظره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد ان المسجد من جملة رعيته . وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك في مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذي هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذي ذكر عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق في طرف ردائه ويحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير ويرد الحصير عليها وذلك نوع من الدفن لها كما هو المذهب (فالجواب) أن ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد

واحترامها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطى القليل منه يؤدّى الى الكثير (وذلك) لا ينبغى لوجوه (الاوّل) ان فيه استقذار المسجد (الثانى) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوّش على من فى المسجد فان لم يكن فى المسجد أحد فيمنع لان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (الثالث) أن الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) ان هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد أخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف فى الوقف فى غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة فى المسجد وقد أمرنا بتطييبه وهذا ضدّه (التاسع) أنه يخاف أن يخرج مع البصاق شئ من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقى بين أسنانه شئ من أثر ما أكل اذ أنه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته لشئ من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاك به قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شئ من النجاسة (الثانى) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يردّ بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضدّه (هذا) اذا كان فى المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شئ فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ودفنها لا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك ازاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام فى النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (ألا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف فى المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق فى الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته
ويبسطه بالنهار الحديث هذا وهو لضرورة الاعتكاف فما بالك به لغير
ضرورة شرعية (فعلى هذا) ففعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثة
وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد (أولها) ان الموضع وقف للصلاة وما فعل
فيه لغيرها فهو غصب لمواضع صلاة المسلمين (الثاني) ان فيه تقطيع الصفوف
وذلك خلاف السنة (الثالث) انه لا يمكن استقبال الخطيب في حال خطبته
ولا رؤيته بسببها اذ أنها تحول بين المأموم والامام (وقد ورد) اذا قام الامام
يخطب فاستقبلوه بوجوهكم وارمقوه بأعينكم ومع وجود هذه المقاصير
والدرابزين لا يمكن ذلك فكانت سببا لمخالفة السنة (الرابع) ان فعلها
في المسجد أفضى الى أمر مستهجن وهو أن من لا خير فيه يجد السبيل الى
الوصول الى أغراضه الخسيسة بارتكاب محرم أو مكروه لكونه يتوارى
فيها عن أعين الناظرين (الخامس) انه قد ينام فيها بعض الغرباء للضرورة
فيجد اللص السبيل الى أخذ متاعه اذ أنه ليس ثم من ينظر اليه بسببها وقد وقع
ذلك في المسجد كثيرا (السادس) انه قد يجد بعض الناس السبيل الى أن
يبول في المسجد بسببها اذ أنه يستتر بها فلا يرى اذ ذاك سيما الصبيان الصغار
الذين لا ينضبط حالهم في الغالب (السابع) ما في ذلك من مخالفة السنة
(الثامن) ان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من أشراط الساعة
(التاسع) قد يجيء أعمى لا يهتدي بتلك الابواب الضيقة التي في الدرابزين
فكانت سببا لادخال الضرر على كثير من المسلمين من أصحاب الاعذار
(وكان) سبب اتخاذها ان الخلافة لما رجعت ملكا وتخوف الملوك على
أنفسهم من القتل عملوا هذه المقاصير ليتحصنوا بها ممن يثب الى قتلهم فلا
يدخلها الا خاصة الملك وحجابه على بابها (ومن العتبية) قال مالك أول من
جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني فجعل مقصورة من طين
وجعل فيها تشبيكا (قال) ابن رشد رحمه الله والمقصورة محدثة لم تكن على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخلفاء بعده وانما أحدثها الامراء
للخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه فان كانت ممنوعة تفتح
أحيانا وتمنع أحيانا فالصف الاول هو الخارج عنها اللاصق بها وان كانت

مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة في داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تحريم ما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زي المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيديرها بالدرابزين ويجعلها لاخذ الدرس فيها فسرى الامر الى أنه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التي تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد في وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف في الوقف لا شك فيه

(فصل) ومن هذا الباب الكرسي الكبير الذي يعملونه في الجامع ويؤبدونه وعليه المصحف لكي يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين للصلاة (الثاني) انهم يقرؤون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلي ومنهم التالي ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القاري اذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة في المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص في عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان شوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواهما الترمذي (وأول) من أحدث هذه البدعة في المسجد الحجاج أعني القراءة في المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف الى الامصار توضع في الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت في المصحف الذي أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع في القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف في شيء من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد لله

فلا يكتب مصحف ويجعل فى المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى المسجد من الصناديق المؤبدة التى يجعل فيها بعض الناس أقدامهم وغيرها من أثاثهم وذلك غصب لموضع مصلى المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشى وقد كره مالك رحمه الله التابوت الذى جعل فى المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اه (ومن) التصرفات فى الوقف والتغيير لما سلف لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من حفر جدار المسجد حتى يعمل فيه موضعا كالخزانة الصغيرة يعمل فيها ما يختار من شمعة أو كتاب أو غيرهما فعلى ما ذكر فقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه فى المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التى يصعد عليها المؤذنون للاذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الاذان عليها بل هى أشد من الصناديق اذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها اذ أن السنة فى أذان الجمعة اذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان رضى الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحد بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضى الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما أن كثر الناس وأبقى الاذان الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر اذ ذاك (ثم انه) لما أن تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الاذان الذى كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويسترجعون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم أولى أن تتبع (فقد بان) ان فعل ذلك فى المسجد بين يدى الخطيب بدعة وان أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما مما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الامر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها فزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التى يصعدون عليها ويؤذنون فهذه بدعة رابعة وكل ذلك

ليس له أصل فى الشرع (هذا) ماهو من طريق النقل (وأما) ماهو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو فى المسجد لامعنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لايسمع النداء اذا كان النداء فى المسجد (هذا) وجه (الثانى) ان الدكة التى أحدثوها ضيقة من غير سطح فقد تلتوى رجل أحدهم أو يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسئولا عن نفسه مع وجود آلمه (الثالث) انه لامعنى لها اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو أذنوا فى الارض لأسمعوا من فى المسجد وانما هى عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتى ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ماهم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم انه بدعة لكان أخف أن يرجى لاحدهم أن يتوب

(فصل) ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل فى الصلاة (ألا ترى) انهم لما ان فعلوا الاذان فى جماعة مضوا على ذلك فى التبليغ فى الصلاة والجماعة اذا بالغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير فى الصلاة على ما يعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع أو بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لاتصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أولا يأذن فلا تصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلا تصح أولا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا فى تبليغ الواحد فما بالك فى تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق فأولى بجريان الخلاف فى صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا أتوا كلهم بالتكبير كاملا فى جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا فى جميع الصلاة جرى فى صلاته والصلاة به الخلاف السابق فى المسمع الواحد الذى ليس معه غيره (هذا) مالم يتعمد أن يمشى على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهى المسئلة الاولى (وأما) على ما يفعلونه اليوم من كونهم يتوا كلون فى التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدى التكبير فيقول

الله ويمد صوته ثم يبتدى الآخر من أثناء الكلمة نفسها واصلا صوته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغا فى رفع صوته على سبيل العمد وفاعل هذا لم يأت بالتكبير على وجهه (واذا) كان ذلك كذلك فهو شغل فى الصلاة بزيادة غير شرعية ولا لضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط سيما وهم لو أتوا به من غير تواكل أو توصيل وترديد لأبطل صلاتهم أيضا من غير خلاف وذلك أنهم يغيرون وضع التكبير لانهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة مدة وكذلك يصنعون فى أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر ألفا الى غير ذلك من صنيعهم (وان) أتى بعضهم بالتكبير كاملا فانه لا يفعل ذلك فى جميع تكبيرات الصلاة (واذا) كان ذلك كذلك فحكمه حكم المسئلة المذكورة آنفا وهو البطلان (واذا) علم ذلك فيسرى الخلل الى صلاة من صلى بتبليغهم لان من يريد أن يصلى خلف الامام لا يجوز له أن يقتدى الا بأحد أربعة أشياء أولها وهو أعلاها أن يرى أفعال الامام فان تعذر ذلك فسماع أقواله فان تعذر ذلك فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر ذلك فسماع أقوالهم فان تعذر فلا امامة (وفى هذا) نكتة أخرى وهى ان الامام اذا دخل فى الصلاة بتكبيرة الاحرام كبروا خلفه اذ ذاك قبل أن يدخلوا فى الصلاة ليسمعوا الناس بذلك فيعلموا بتكبيرهم ان الامام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ سرى الخلل الى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم ان الاقتداء لا يجوز الا بأحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) ان تبليغهم فى الصلاة جماعة أدى الى مخالفة السنة لان السنة فى الصلاة أن يكون المأموم تبعا للامام وفى حكمه وفى هذا الفعل يصير الامام فى حكم المأموم لان المكبرين يطولون فى التكبير ويمططونه والامام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل الى الركن الذى يليه (وأفضى) تسميعهم جماعات أيضا الى مفسدة أخرى وهى ان الامام يكبر للركوع فى بعض الاحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضى تكبيرهم ويأتى المسبوق فيكبر تكبيرة الاحرام ويركع ظنا منه ان الامام فى الركوع بعد لكونه يسمع صوت المكبرين فى الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر اذ

لو علم ذلك لتداركه ما وقع لان تلك الركعة لم تصح له

(فصل) ومن هذا الباب أيضا الدكة التي تحت هذه الدكة التي يؤذنون عليها للجمعة والتعاليل فيهما ما تقدم في المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التي يسمعون عليها في الصلوات الخمس والتعاليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذ أن الصلاة صلة بين العبد وربه واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو أفضل وأعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ماهو أرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر وذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافي ذلك كله لان المصلي عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلي على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم في الغالب ومن كان في المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لافرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد في الاسماع أبلغ لكونه يصوت أكثر ما يقدر عليه بخلاف ما اذا كان في جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج أن يوافقهم على أصواتهم (ولاجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد في الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك في الغالب (وفي) جوامع المغرب تجد في الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثاني حيث ينتهي اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهي اليه صوت الثاني ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذي وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه وصحة صلاته والله

تعالى أعلم

(فصل) ومن هذا الباب أيضا أعنى في امساك مواضع في المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالى فانه أخذ من المسجد جزءا جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين كفى به انه لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده واذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما أحدث في المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد في هذه البلاد (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله في كتابه كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة (وكان) الثورى رحمه الله يقول ان الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ما هو هنا والثانية انهم يدخلون المنبر في بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة الحجاج (ومنبر السنة) غيرهذا كله كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فان) قال قائل بل تشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) ان هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لانه لا ضرورة تدعو اليه (فان) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم في الغالب (فالجواب) ان من كان على منبر عال هو الذى لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه في سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (ألا ترى) ان الخطيب يخطب على هذا المنبر العالى وكثير من الناس لا يسمعونه واذا دخل في الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك الا لكونه في الصلاة واقفا معهم على الارض وفي حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للاذان وسيأتى بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) ومن هذا الباب أيضا البئر التى في المسجد لانه سبب لان يجعل المسجد طريقا بسببها حتى يدخل النساء اليها وقد يكون فيهن الحيض والمرأة الشابة وان كانت طاهرة والصغار ومن ينزه المسجد عن أمثالهم ممن لم يتحفظ وقد امتنع بسببها مواضع في المسجد للمصلين فيه كما تقدم في غيره ولا ضرورة دعت الى البئر هناك لانها ليست بحلوة فينتفع بالشرب منها ولو كانت كذلك

لانتفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان كذلك فلم يبق النفع بها الا للطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه فى المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى فى بعض الطرق فى غير المسجد فاما الآبار التى فى المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها لان ذلك ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم اللهم الا أن تكون البئر قديمة وجاء من بنى المسجد هنالك وترك البئر فى وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

(فصل) ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذى عليها وما عليها من الطبقة (وهى) لا تخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة عند الفسقية فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول هنالك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم يتوضئون هنالك فتبتلى أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد بيقين وذلك يمنع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع الفسقية مفسدة أخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من لا خير فيه يصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ أنها أكثر سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف الاول وما قاربه فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان ليلا وهم لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

(فصل) وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ أن من شرطه المسجد كما تقدم

(فصل) وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم

وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق في قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعله لانه يشغلهم بالنظر اليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال أكره أن يكتب في قبلة المسجد شيء من القرآن والتزويق وقال ان ذلك يشغل المصلي انتهى (وكذلك) ينبغي له أن يغير ما أحدثوه من الصاق العمد في جدار القبلة وفي الاعمدة أو ما يلصقونه أو يكتبونه في الجدران والاعمدة (وكذلك) يغير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة في المحراب وغيره فان ذلك كله من البدع لانه لم يكن من فعل من مضى (وأما التخليق) بالزعفران في المسجد فهو جائز اذ أنه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ويجوز تخليقه بشرط أن لا يفعل ذلك الا من يجوز له دخول المسجد حذرا من أن تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة تخالط الناس في موضع صلاهم وهي ممنوعة من ذلك

(فصل) وينبغي له أن يغير ما أحدثوه من التازير في جدران المسجد لانه من باب الزخرفة أيضا ولانه لا يمكن ذلك الا بمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز في الوقف الا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شيء يلوث ثياب المصلين فيغتفر ذلك لاجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع في كل وقف (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء اذا دخلت لاحدهم بيته في المدرسة تجد كل ماله من كتب وأثاث بالارض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيئا من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا في موضع وقف بكراء أو غيره فلا يجوز له شيء من ذلك فيه ولو أذن له الناظر في ذلك فلو كان البيت ملكا لغيره جاز له ذلك بعد الاذن فيه من المالك فان لم يأذن له لم يجز

(فصل) فانظر رحمنا الله واياك الى مقتضى ما تقدم ذكره فكيف يمكن أن يسمر في المسجد المسامير الكبار والاوتاد ويقتطعون من المسجد مواضع يمنعونها من غيرهم ويسكنون فيها دائما وينامون فيها ويقومون وقد يجنب

أحدهم له الا فلا يمكنه الخروج من المسجد فيجلس فى المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير فى ذلك ولا من يغيره بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ما ذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين فى كل وقت ما دام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كأنها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المبيت فى المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى ان ذلك يجوز فى البادية ولا يجوز فى الحاضرة وأعنى بالبادية التى ليس فيها بناء يأوى اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت فى المسجد

(فصل) فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا لتلك المواضع التى أحدثوا فيها ما أحدثوا (فالجواب) ان ما أجمع عليه المسلمون من المساجد المعمورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فما نحن بسبيله من باب أولى والله الموفق

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين فى المسجد واحتكارها واحداث فى الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين فى المسجد وغصبهم لتلك المواضع التى سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التى فى السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ما ذكر من المفاسد الاقامة فى المسجد وقد يكون جنبا كما سبق فى حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله اعلم المعروف بابن بنت الاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر فى جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل ان هذا البيت ولا ان هذه الثياب بل أخذ ما وجد من ذلك وغيره ورماه فى صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا المسالم بعد وامن ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفى غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن

يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على بعض الناس ولا تصح الجمعة فيها وكذلك كما لا تصح في بيت القناديل لا شتراكهما في التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا أن السطوح ليست بمحجورة على أحد فالحكم في مذهب مالك رحمه الله للغالب والغالب أنها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء في المسجد ومن كان ساكنا في سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه وذلك ممنوع لا شك فيه كما لا يتوضأ في داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته (وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم في الخطيب اذا أحدث في أثناء خطبته أو بعد فراغه منها هل يجوز له أن يتوضأ في المسجد فروى عن ابن القاسم أنه لا بأس أن يتوضأ في صحنه وضوءا طاهرا وكره مالك رحمه الله ذلك وان كان في طشت ومن يتوضأ في السطوح أو في البيوت التي فيها فانما يتوضأ فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتبت) على بناء البيوت في سطوح المسجد مفاسد جملة (فنها) ان بعض الناس ممن يعتكف في البيوت التي فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو في آخر شعبان يتقدمه الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه في بيته مما يمنع فعله في المسجد (وقد) منع مالك رحمه الله أن يأتي الرجل بوسادة في المسجد يتكي عليها أو بفروة يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

(فصل) وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذ أن اتخاذها في المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب عليهم اليوم زيارة المعتكف في معتكفه وكثرة الكلام في المسجد واللغط فيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا لا يأتيهم أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذ أن حال المعتكف يدور بين صلاة وتلاوة وفكر وذكر وغير ذلك فليس بمشروع له كالصلاة على الجنازة ومدارسة العلم ان كان يمشي اليه وأما ان غشيه في مجلسه وهو يسمعه فلا بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى لضرورة البشرية (وكذلك) ينبغي أن يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم

فتجد الروائح التي لا تطعمونها يشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند الغروب والناس اذ ذاك في المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم اذ ذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح الذي في القبلة فانه أكثر في هذا الباب من غيره ثم مع ذلك في سطوح المسجد من الفقراء المحتاجين كثير ويتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والمتكلف لا شاد مثل لاعتكافه از يادة الفضل وهذا ضده فليحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على بعض المواضع التي وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع الآن الى بقية ما أحدثوه في بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التي أحدثوها وعملوا لها صندوقا تكون فيه وجامكية لقيمها وحاملها والذاكرين عليها وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضي الله عنهم وقد تقدم ذكر حالهم في الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بمن أحدثها زاد فيها حدثا آخر وهو أن جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف بخادم السبحة الى غير ذلك وهي بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغي لامام المسجد أن يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا متعين على سائر المسلمين لكن في حق الامام آكد لان المسجد من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والله الموفق

مطلب السبحة

(فصل) وقد تقدم في آداب المتعلم انه لا يجلس لقاص ولا لاستماع قراءة الكتب التي تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين عليه بيان ذلك وان لم يسئل عنه وهذا في حق امام المسجد آكد اذ أنه راع عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض الناس في هذا الوقت وهو أن يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم تأتي النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء بقبالتهم سيما وقد حدث في هذا الوقت ان بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندي وتظهر منها عورات لو كانت في بيتها لمنعت فكيف بها في الجامع بحضرة الرجال فنشأ من هذا مفاسد جملة وتشويشات لقلوب بعض الحاضرين بفجاه والبر بحوافه ادعليهم بالنقص أسأل الله

السلامة عنه

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة في الشرع انما هو عند لقاء المسلم لاخيه لا في ادبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة

(فصل) وينبغي له أن يمنع ما يدخل به بعض الناس الى المسجد حين اتيانهم بالميت الى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين اذ أن ذلك كله من البدع في غير المسجد فكيف به في المسجد ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالي والذاكر والمتفكر والمسجد انما بني لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتي) الامام النووي رحمه الله فقيل له هذه القراءة التي يقرأها بعض الجهال على الجنائز بدمشق بالتمطيط الفاحش والتغني الزائد وادخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فأجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام باجماع العلماء وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الامر وفقه الله زجرهم عنه وتعزيرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن من انكاره انتهى (واذا) كان كذلك فيتعين منع ذلك كله مع ان الصلاة على الميت في المسجد تمتنع في مذهب الامام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود يقويه عمل السلف المتصل بل لو انفرد العمل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم انهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الامام من خطبته وصلاته ان كان في الجمعة وان كان في غيرها فينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان محافظا على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه

فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة . فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيئا سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ما ذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاتري) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على ما يعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على ذلك الحال من غير أن يمسحوا أقدامهم أو يحكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك انه مؤذ (قال) عليه الصلاة والسلام للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يلون قدمه في حزبته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته ويخلط بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلى الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك مواضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لا حاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغصب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شيء من الفضلات والميت لا يمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على ما يعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهك بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لا تأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وأفتوا في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد يصاح قال لا خير فيه

وكرهه وقال لا أرى بأسا أن يدار في الحلق ويؤذن الناس بها ولا يرفع بذلك صوته (قال القاضي) أبو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل أما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع الصوت في المسجد فقد كره ذلك حتى في العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك ورآه من النعي المنهي عنه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية والنعي عندهم أن ينادى في الناس الآن فلانا قد مات فاشهدوا جنازته وأما الاذن بها والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة التي توفيت ليلا أفلا آذنتموني بها وقد روى عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا اني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي وبالله التوفيق اه (فان) قال قائل ان النجاسة لا تخرج من الميت في المسجد لما يفعلونه من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) ان في فعل هذا محرمات أخر منها هتك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق في ذلك بين حياته وموته لانهم يرسلون معه القطن في فمه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه بعود أو غيره حتى يملؤوا حلقه بالقطن وينزل ذقنه الى أسفل ويطلع أنفه الى فوق ويملؤون فمه ويشدقونه بالقطن فيبقى مثلة للناظر وكذلك يفعلون في أنفه فيرسلون فيه القطن حتى يتعاظم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون القطن في دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام في حياته فكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه أمرنا بغسل الميت اكراما للقاء الملائكة في القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا جاؤوا به الى القبر أخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات في الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه في الغالب له رائحة كريهة والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك معه في قبره في الغالب فذهب بذلك المعنى الذي لاجله أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بغسله وهو الاكرام بغسله للقاء الملائكة (ثم العجب) في كونهم يأتون بماء الورد فيسكبون ذلك عليه في القبر وهذه أيضا بدعة أخرى

لان الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

(فصل) وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (لما ورد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع ما يقول لكثرة غوغائهم اذذاك (وكذلك) ينبغى له أن ينكر عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ أن ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما أحدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها باللغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها يجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذها منهم (وهذا) فيه محذورات جملة منها ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ أنه لم يرد عن أحد منهم انه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم النهى عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ فى النار (الوجه الثالث) انه قد يعطى الختمة لمن لا يحسن أن يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يده لمسلم كان عنها فى غنى (الوجه الرابع) انه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) انه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه لتساهلهم فى الوقف فقد

مطلب التصفيق

مطلب تفريق الربعة

يخفى ويختار أن يختص هو بمنفعته في بيته اما لنفسه أو لولده أو غير ذلك فيذهب على الوقف (الوجه السادس) انه قد يأتي عليه في بعض الاحيان انه يكون مشغولا في جمع تلك الاجزاء والخطيب اذ ذاك يخطب فيقع الكلام والمراجعة بسبب جمعها في حال الخطبة (وينبغي له) أن ينهى الناس أن يقفوا تحت اللوح الاخضر للدعاء وكذلك عند اركان المسجد اذ أن ذلك بدعة ممن فعله (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من ارسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتي أصحابها (وقد تقدم) ما في ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن اعادته والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى من يقرأ الاعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أو غيرها من الفرائض لانه موضع النهي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا) يظن ظان ان هذا انكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب اليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان في عبادة (والحاصل) ان ذلك يمنع في المسجد المطروق مطلقا وان لم يكن فيه أحد لانه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصود بها واما ان كان في مسجد مهجور وليس فيه غير السامعين أو في مدرسة أو رباط أو بيت فذلك مندوب اليه بحسب الحال بشرط أن لا يكون ثم غير السامعين كما تقدم فان كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال أن يكون ثم من يدرس أو يطالع أو يصلي أو يأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ما هو بصدده وقد تقدم ما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار اه (هذا) اذا سلم من الزيادة أو النقصان مثل أن يمد المقصور أو يقصر الممدود أو يشدد موضع التخفيف أو عكسه أو يظهر موضع الادغام أو عكسه أو يظهر موضع الاخفاء الى غير ذلك وأن لا يصل بالعشر آية أخرى غير متصلة به لان ذلك تغيير للقرآن في الظاهر عن نظامه الذي أجمعت عليه الامة (وينبغي له) أن ينهى عن قراءة الاسباع سيما التي في المسجد لما تقدم من ان المسجد انما بني للمصلين والذاكرين وقراءة الاسباع في المسجد مما يشوشون بها لما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار فأي شئ كان فيه تشويش منع والله

مطلب
ارسال البسط والسجادات

مطلب
قراءة الاعشار

مطلب
قراءة الاسباع

مطلب
الذاكرين جماعة

الموفق (وينبغي له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة في المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو في غيرهما من الاوقات لما تقدم من منع ذلك في أول الكتاب (وينبغي له) أن يمنع من يسأل في المسجد لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من سأل في المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بني لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغي له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله في المسجد (وينبغي له) أن يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء السبيل وما أشبه ذلك من ألفاظهم ويضربون مع ذلك بشئ في أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفي) فعل ذلك في المسجد مفاسد جملة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس (ومنها) رفع الصوت في المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء في المسجد لان بعضهم يفعل ما ذكر وبعضهم يمشي يخترق الصفوف في المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطي رقاب الناس في حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لابد أن يقع من الماء شئ فيه وان كان طاهرا الا أنه يمنع في المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشي بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة وما في ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا ما يفعلونه في المسجد في ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان ووقود القناديل وغيرها وما في ذلك مما لا ينبغي وكذلك ما يفعل في ليلة الختم في أواخر شهر رمضان مبسوطا في مواضعه فليلتمس هنالك (وأما) البيع والشراء في المسجد فقد عمت به البلوى بجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحكمت العوائد حتى ان أم القرى مكة التي لها من الشرف ما لها

مطلب
السؤال

مطلب
السقائين

يبيعون ويشترون في مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على
رؤس الاشهاد ويسمع لهم هنالك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون
شيئا الا يبيعونه فيه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز واكر وعود
أراك وغير ذلك وعلى هذا الاسترسال من له ورع يعود الأراك وان كان من
السنة لانهم انما يبيعونه في المسجد اللهم الا أن يعلم من يأتيه به انه اشتراه
خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى عن تعليق

مطلب تعليق القناديل

القناديل المذهبة ووقودها والتزيين بها الان ذلك من باب زخرفة المساجد
وذلك من اشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم اذ ان الذهب
لا يستعمل الا في تحلية النساء وفي تحلية المصحف والسيف واختلف
في المنطقة وغير ذلك ممنوع (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من

مطلب جعل المسجد طريقا

مشيهم في المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أبعد منه
واتخاذ المسجد طريقا من اشراط الساعة وها هو ذا قد شاع وكثر وقل ان تجد
جامعا الا وقد اتخذوه طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا ان أحدا
نهى عنه لاستحمقوه وقد يتأذى بسبب ذلك فانا لله وانا اليه راجعون
(وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع

مطلب بيع الغزل

غزلهن ويدخل المنادي اليهن ومعه الغزل فيكلمهن في الجامع ويشاورهن
على ثمن ذلك فمن رضيت منهن تقول قد بعت وذلك بيع في المسجد لان
المنادي صار اذ ذاك كالوكيل ويقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان في
المسجد ويجتمع بسبب ذلك في المسجد من في قلبه مرض ويجد السبيل الى ما
سولت له نفسه من الاغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الاولاد الصغار

مطلب المحاكمات

وقد يبولون في المسجد وقد رؤي ذلك عيانا (وينبغي له) أن يمنع النساء اللاتي
يأتين للمحاكمات في المسجد ويدخلن اليه لانتظار ما يريدونه ويدخل اليهن
الوكلاء والرجال والازواج وتكثر الخصومات وترتفع الاصوات كما هو
مشاهد مرئي والقاضي بمعزل عنهم خارج المسجد وقد تقدم ما في ذلك من
المفاسد فيمنع من هذا كله وفي الاشارة ما يغني عن العبارة والله المستعان

مطلب الحديث في أمر [الدنيا]

(وينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة في المسجد للحديث
في أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان وقد تقدم ما ورد في الحديث

من ان الكلام في المسجد بغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم و يفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام انه قال اذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت يا ولي الله فان زاد تقول اسكت يا بغيض الله فان زاد تقول اسكت عليك لعنة الله (وانما) يجلس في المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) في غير المسجد فيمنع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى في المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما في أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المنتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) في قضاء المناسك في الحج تجد لهم غوغا حتى كأنهم قط ما هم في عبادة (وكذلك) تجدهم في المسجد الاقصى على ما علم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبي عليه الصلاة والسلام الا البيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن في المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهي القبلة التي كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لو حج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما أنه لا تجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مشابه لا أنه يجزى عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم بيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه ما يفعلونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيقع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ما حدث هذه البدع

في المسجد الاقصى ومنه شاعت في الاقاليم على ما نقله الامام الطرطوشي رحمه الله في كتاب الحوادث والبدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك أو يتكلم فيه كما تقدم ذكره لانحسمت المادة أو بعضها والله الموفق (وينهى) من يقعد في المسجد لتفلية ثيابه سيما في أيام البرد يقعدون في الشمس و يفلون ثيابهم وهذا الاصل اجمالا لان جلدة البرغوث الذي خالط الانسان نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك في المسجد بعد قتله ولو فرضنا أن أحدا منهم يجمعه و يلقيه خارج المسجد فذلك لا يجوز لان قتلها في المسجد يمنع وان لم يلقها فيه اذ أنه حامل للنجاسة في المسجد من حين قتلها الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشي) وكره مالك قتل القملة ورميها في المسجد ولا يطرحها من ثوبه في المسجد ولا يقتلها بين النعلين في المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم في المصلي اذا أخذ قملة وهو في الصلاة فلا يجوز له أن يلقيها في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (واذا) رماها في المسجد وهي بالحياة فاما أن تموت جوعا أو تضعف وكلاهما عذاب لها وليس ذلك من حسن القتلة وشأن من وقع له ذلك أن ينقلها لمكان آخر من بدنه أو ثوبه أو يربطها في طرفه حتى يخرج من المسجد (وأما) البرغوث اذا أخذه وهو في الصلاة فانه يلقيه في المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل ينتقل في الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثاني) انه لو بقي في المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق و يعيش فيه بخلاف القملة فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكي) عن سيدي حسن الزبيدي رحمه الله انه خرج يوما مع أصحابه الى بستانه فلما ان كان في أثناء الطريق رجع الى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال كان على قميص نسيته في البيت وفيه دواب فخفت أن يموتوا جوعا فرجعت اما ان أقتلهم واما ان ألبسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما في المسجد الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق تغلي قملا فيجردونها عنهم ويلقونها في المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم ينفض أحدهم دلقه و يلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة في المسجد فاذا كان

مطلب
تفلية الثياب

امام

مطلب الاكل

امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل في المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهي سواء بسواء والاكل في المسجد في مذهب مالك رحمه الله لا يسامح فيه الا الشئ الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشي) سئل مالك رحمه الله عن الاكل في المسجد فقال اما الشئ الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فأرجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الى وأما الكثير فلا يعجبني ولا في رحابه (وقال) في الذي يأكل اللحم في المسجد أليس يخرج اغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ماهو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب في المسجد فقال وأكره أن يتكلم بألسنة العجم في المسجد قال وانما ذلك لما قيل في ألسنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل في المسجد شئ من الخب قال وهو لمن يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة ليخرجون من المسجد في كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة ما يؤكل في المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط في المسجد فاذا أكل أحد في المسجد اجتمعت عليه القطاط في المسجد بسبب ذلك فيبلن فيه وبولهن نجس وقد رأيت ذلك عيانا في الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر في ذلك الى ان من كان عنده هر مؤذ ارسله الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها وينزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد في الحديث المسجد بيت كل تقي (فانعكس) الامر الى ان صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل بسبب ذلك سيما في المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام في المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات المأكول وقل من تجده يلقي ذلك في خارج المسجد بل يدخلون فيه بالجير بسبب ما يحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحمير فيه

وتروث كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مأمورون بتنظيف الطرق فكيف الحال في المساجد فكيف الحال في المسجد الاقصى الذى فيه من الفضل ما فيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء وينبه عليها انحسمت المادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) في هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمتنع من الكلام في هذه الاشياء ويحتج على ذلك بان يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون ومن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ما تقدم في الحديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا (ألا ترى) الى ما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتي النبي ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ أن الخير فيها كامن فمن تنبه منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكنت أنت السبب في ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما أحدثوه من النوم في المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك في أثناء النهار سيما في شهر رمضان فتجد المسجد قد ارتص بالناس في الغالب (وقد) ورد في الحديث ان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتأذى الملائكة به (وقد) نهينا عن دخول المسجد برائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا في حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا في المسجد وفيه مفسدة أخرى وهو أن ذلك ذريعة لان تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها أن كل ما كرهه الشرع تجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهى الامام ارتدعوا عنه وبالله التوفيق (وينهى) عما أحدثوه من خياطة قلوع المراكب في المسجد لانا قد نهينا عن الكلام في المسجد في غير عبادة فكيف بالصنعة تعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد)

مطلب النوم

مطلب قلوع المراكب

منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم في المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فبالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذي يدخل بالجمل في المسجد لان بوله على مذهب الشافعي رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا في نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو أقل من هذا (وينهى) عما أحدثوه من المشي في المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل في المسجد (وكذلك) ينبغي أن ينهى عن دخول الشواء في المسجد لان في ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) أنه يدخل بالذفر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) ان رائحته قوية فقد يكون في المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شئ معه ليشتري به فيتشوش في عبادته (الرابعة) ان حامله الغالب عليه انه كان في موضع المذبح وهو محل النجاسات وهاماها حاف هناك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغي في غير المسجد فكيف به في المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر وأما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة الى المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان الى المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التي يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم الى المسجد ولا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم في فرشها وبالله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (ألا ترى) ان الناس يكونون في صلاتهم ويبكي الصبي فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبي مع أبيه أو غيره من الرجال (فأما) ان كان مع أمه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) ان الغالب في موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثاني) ان الغالب في الاولاد اذا كانوا مع امهاتهم قل أن يكون

مطلب دخول الجمال والغنم

مطلب الشواء

مطلب دخول الرهبان

مطلب دخول الناس باولادهم

بخلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة في جماعة في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ويصلين معه جماعة (وقد) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبي مخافة أن تفتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضي الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني اسرائيل (الثاني) ان الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وسلم لا يوازيها شيء وكلا الامرين قد فقد فاذا لم تخرج الام للصلاة فالاتيان بالاولاد للمسجد دون أمهاتهم يمنع (وقد تقدّم) النهي عن الذكر والقراءة جهرا في المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويزجر فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ في آخر جمعة

مطلب فى الحفائظ

من شهر رمضان في حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمي (وقد) قال مالك رحمه الله لما ان سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثاني) ان فيه اللغو في حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) انه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الاصغاء في حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدثوه من بيعها وشرائها في المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله وبعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ أنه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها وأسقط منها اللفظ الاعجمي ولم يتخذ كتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسكت لهن عنه من دخولهن الى

مطلب دخول النساء لصلاة الجمعة

صلاة الجمعة في مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء بسواء اذ أنها لا تسترهن والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلي واللباس كما تقدّم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن في الزيارة قد استغنين به عن دخول المسجد والقرب من الرجال فهو أليق بهن ما لم يخالطن الرجال ولا فرق في ذلك بين صلاة الجمعة والخميس والجنائز وغير ذلك وكان الأليق بهن بل الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكنّ من

ذلك

ذلك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة في بيتها وحدها أفضل من صلاتها في المسجد في جماعة وصلاتها في مخدع في بيتها أفضل من صلاتها في بيتها فكيفما ازداد سترها واحتجابها كان أفضل لصلاتها (اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها أن تصلي في بيتها مع جماعة في المسجد الذي يجاورها وهي لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يصلين في بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد (وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن في المسجد ويسمع لهم ضجيج قوي ينزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك في السوق أو الطريق لكان جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما في المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على ما تقدم ذكره في المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال المرآة في المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد من فعلهم وهذا يمنع منه في المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور على الباب ممنوعا فكيف يدخل بالفضلات في المسجد ويعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع نسخ الختمة أو العلم في المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا في نفسه فهو غش ينزه المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى ولا يقلم أظفاره في المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه في ثوبه وأكره ان يتسوك في المسجد لاجل ان ما يخرج من السواك يلقيه في المسجد (قال) ولا أحب أن يتمضمض في المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره الطرطوشي (واما) اذا كان الشعر باصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع القمل في المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت به البلوى في أكثر المواضع سيما في المسجد الاقصى الذي ترد اليه الخلق

مطلب قص الشارب ونتف الشيب الخ

كثيرا (وقد رأيت) بعض من ينتسب الى المشيخة والنسك وقد سبل نفسه على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضأة وهو فى المسجد فأى غريب جاء قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويأتى كل ذلك فى المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك فى المسجد وان كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه فى المسجد ثم انه مع هذا الحدث زرع دالية عنب فى المسجد فاطعمت وأثمرت وبقى اذا ورد أحد من أبناء الدنيا أخذ من عنبها أو حصرمها وأهداه اليه على سبيل البركة وحصل به ما هو معلوم من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثيرا فى المسجد الاقصى واتخذوا فيه دوالى عنب وخزائن للسكنى وهو مسجد ولا يجوز شئ من ذلك فيه (وقد تقدم) ان المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا أن يحدث فيها حدث غير ما بنيت له (وينهى البياعين) للقضامة وغيرها فى طريق المسجد وعلى أبوابه وفى الزيادة اذ أن من كان منهم مصليا امسك بها أكثر من موضعين فيكون غاصبا الثلاث المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلى منهم يتعين اديبه وزجره لامرين أحدهما انه يضيق على المسلمين طريقهم والثانى انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه أن يمنع غير ما ذكر ممن يبيع الحلاوة أو الفحم أو المشموم أو غير ذلك مما يضيق به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغى الانسان أن يشترى من دكان لها مسطبة خارجة فى شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع ويتعين عليه أيضا أن يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ أن ذلك طريق للمصلين والناس أجمعين

مطلب القضامة وهى الحمص

(فصل) وينهى الزبالين أن يعملوا فى أوقات الصلاة سيما وقت اتيان الناس لصلاة الجمعة لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وخرج ليصلى الجمعة لقى الزبالين فى طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فينهى عن

ذلك

ذلك ويزجر فاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والاعمى وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما أذوا بالرفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لاجل الغلمان المسكين لتلك الدواب (فالجواب) انه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى المسجد يرسلها الى موضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما أحدثوه من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق المتصلة به ان تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة فيقعد فى الدكان ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لا يجوز على كل حال (وينهى) الناس عما أحدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد أحدهم أن يؤكد الامر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك فى موطائه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى

مطلب وقوف الدواب

الكدم العض وزنا ومعنى اه

مطلب البيع والشراء وقت الصلاة وعند سماع الخطبة

مطلب صلاة الجمعة فى الدكاكين

مطلب الغسل ولبس الثياب الحسنة

الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلف) العلماء في ذلك
هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (واذا)
كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر انه يفسق بذلك لكونه سنة
والاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن
المؤكدة وما يوجب فسق تاركه يجدر أن يحافظ على فعله ولا يترك الا من
ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كأنه لا يعرف بينهم
أعني عند أكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكاية تحكى حتى كأنهم ليسوا
من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينهاهم عما تركوه من لبس
الحسن من الثياب لها واستعمال الطيب فان ذلك من سننها المؤكدة أيضا
(قال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر
ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه
اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم
أجمعين (حتى) انك تجد بعض الفقهاء في الدرس أو في دكانه أو حين اجتماعه
بأحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب
وغيرهما وتجده في صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا
في القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن
ظان ان ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس في هذا
الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما نقله
الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من
الخمسة الى العشرة فما بينهما من الأثمان وكان جمهور العلماء وخيار
التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره
أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما وبعضهم يقول
الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فما زاد على ذلك فهو من
البدع الحادثة بعدهم (اللهم) الا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع
حر أو برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب الى باب الجائز أو المندوب أو
الواجب بحسب الحال (فاذا نبه) الامام على هذا وحض على فعله وقبح تركه
تنبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم أن يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى)

الناس عما احدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما
كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فمنهم) من
كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر
فاذا جلس عليه قطعوا تنفلهم (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلي
الجمعة ولم يعد لواركوعا بعد الاذان الاول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على
الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه
فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا
وقت يجوز فيه الركوع (وقد) روى البخاري عن عبد الله بن مغفل رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة قالها
ثلاثا وقال في الثالثة لمن شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه
بالحال وأعرف بالمقال فما يسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على
قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان) قال قائل
الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة في هذا ما كان السلف يفعلونه
من ركوعهم المتقدم (الا ترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل
هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد في
جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف في وقتها على ما وصفنا
تأكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه
لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا
جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع لمن
اراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق
(على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أولا لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم ولا زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وانما فعله عثمان رضي الله عنه على
ما تقدم بيانه فالاذان الذي فعل في السوق والركوع للجمعة لا يكون
في السوق ومن كان في المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان
هشاما لما ان نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة
فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون
اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون

حتى تزال بهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه ألا ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال مثلا ان الناس لا يرجعون بذلك (فالجواب) انهم ان لم يرجعوا بما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك للمحتسب فيمنع من كل ماذكر باليد القوية فان فعل فبها ونعمت وقد برئت ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا فقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك فان الذمة لا تبرأ لاجل ان كل ماذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقد تقدم ان المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا) كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم (وكذلك) ينظر في أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ماذكر فهو من رعيتهما معا فيتعين على الامام أن يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها فأكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فاغنى ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها فيه وهي أن يكون صيتا حسن الصوت ويكره له التطريب في الاذان وكذلك التحزين وكذلك يكره له امالة حروفه وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

(فصل في موضع الاذان) ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان) المنار عند السلف رضوان الله عليهم بناء يبنونه على سطح المسجد كهيئته اليوم لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم عملوه مربعا على أركان أربعة (وكان) في عهد السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف رضي الله عنهم (الثاني) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته يبعد عن أهل الارض ونداؤه انما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك في المغرب منارا زاد في علوه فبقي المؤذن اذا أذن لا يسمع احد من تحته صوته (وهذا) اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (وأما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء

بعض

بعض الناس يريد أن يعمل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لا يميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذ أنه يعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة في الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد في الصلوات التي أوقاتها ممتدة فيؤذنون في الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفي العصر من الثلاثة الى الخمسة وفي العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الآخر الى طلوع الفجر في كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لا يؤذن لها الا واحد ليس الا

(فصل في الاذان جماعة) فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ما ذكروا وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشي على صوت غيره (وكذلك) الحكم في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النواوي رحمه الله في كتاب الروضة له في بابه الاذان من كلام الرافعي رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لا يتراسلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا في الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين في أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤد اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع في الاذان وغيره متعين وفي الاذان آكد لانه من أكبر اعلام الدين (ألا ترى) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولأن) في الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثاني) ان من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب في الاذان

تخفى أمره فلا يسمع (الثالث) ان الغالب فى الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لا يفهم السامع ما يقولون والمراد بالاذان انما هو نداء الناس الى الصلاة فذهبت فائدة معنى قوله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يمشى على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما أمكنه وذلك لا يمكنه فى الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم انه لا يأتى بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس فى أثنائه فيجد غيره قد سبقه بشئ منه فيحتاج أن يمشى على صوت من تقدمه فيترك ما فاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة انه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من تنحنح أو كلام ما من حيث انه يشعر به أنه يريد أن يؤذن ثم بعد ذلك يشرع فى الاذان هذا وهو مؤذن واحد فكيف بالجماعة وما ذاك الا خيفة أن يؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا فى حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط وترجف بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشويشهم كثير قل ان ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فجعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنار فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر وأخذ الاذان الذى زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه لما ان كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذى أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على الثلاثة الذين كانوا فيمن قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيئا (ثم أحدثوا) فى هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب فالثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لاجل الجامكية فالجامكية لا تصرف فى بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع ففاسده لا تنحصر فى الغالب والله سبحانه الموفق

فصل

(فصل في النهي عن الاذان بالالحان) وليحذر في نفسه أن يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا مالم يكن في جماعة يطربون تطريبا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الاصوات ترتفع وتنخفض وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به في الشام في هذا الزمان وهي بدعة قبيحة اذ أن الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلابد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغني (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطني في سننه (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومما أحدثوه التلحين في الاذان وهو من البغي فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر اني لاحبك في الله فقال له لكني أبغضك في الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغي في اذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجري رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شئ حتى في قراءة القرآن وفي الاذان يعني الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردون على مالك رحمه الله تعالى في كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بانه مما مضى عليه عمل أهل الشام على ان القاعدة تقتضي أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار الى المشرق وما حدث بالشام الا من تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله واياك الى البدعة اذا احدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (ألا ترى) انهم لما أن أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون المأمومين وهم في الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام في الصلاة على سبيل

المجد لا لعذر شرعي فتبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا باحد أربعة أشياء فان عدمت فلا ائتمام في تلك الصلاة وهي أن يرى أفعال الامام فان تعذر فسماع أقواله فان تعذر فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر فسماع أقوالهم وهؤلاء ليسوا في صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ما تقدم من التسميع جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف في صحة صلاة من صلى بتسميعهم بناء على الاختلاف في صلاتهم هل هي صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

(فصل في النهي عن الاذان في المسجد) وقد تقدم ان للاذان ثلاثة مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من الاذان في جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى اللهم الا أن يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز في جوفه وأما الاقامة فلا تكون الا في المسجد (الثاني) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان في بيته فانه لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان في المسجد على هذه الصفة فلا فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان في المسجد فيه تشويش على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التي بني المسجد لاجلها وما كان بهذه المثابة فيمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا الى بدع أخر (ألا ترى) انهم لما ان أحدثوا الاذان في المسجد اقتدى العوام بهم فصار كل من خطر له أن يؤذن قام وأذن في موضعه والغالب على بعض العوام انهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون ويكثر التخليط حتى ان بعض الصبيان الصغار ليؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان وبين التشويش على من في المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشئ يجمع هذه المفاسد فيتعين أن يجنب بيت الله منه

(فصل في الطواف بالمؤذن في أركان المسجد اذا مات) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من الطواف بأحدهم في أركان المسجد اذا مات (وكذلك) ينهاهم عما أحدثوه من التكبير والتهليل بتلك الاصوات المزعجة حين

يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الاول) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فابالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدم ان بعض الائمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لاهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله أمرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو أنهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

(فصل فى أذان الشاب على المنار) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يصحب امام المسجد الاعظم الذى هنالك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار ليؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال أتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد تراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر) رحمنا

الله تعالى واياك كيف كان تحرزهم فى هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤذنون الاذان الشرعى من غير تمطيط ولا تمييل ولا تصنع الى غير ذلك مما أحدثوه فى هذا الزمان فيمنع من ذلك جهده اذا كان على المنار وأما على باب المسجد فيجوز ذلك وكذلك على سطحه ان أمن ان يكشف على أحد والله الموفق

(فصل فى النهى عما أحدثوه بالليل من غير السنة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وان كان ذكر الله تعالى حسنا سرا وعلنا لكن فى المواضع التى تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئا معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا عند طلوعه وان كان المؤذنون فى هذا الزمان يؤذنون قبل طلوع الفجر لكنهم يفعلون ذلك على سبيل الاخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ماشرع الاذان له لان الاذان انما شرع لاعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك ان من كان أحيا الليل كله فاذا سمع أذان بلال نام حتى تحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح فى جماعة وان كان نائما فاذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك ورده من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله فى الاذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الاول وقيل من أول الثلث الاخير وقيل السدس الاخير وهو المشهور أعنى انه يكون الوقت كله الى طلوع الفجر محلا للاذان فيه (واذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا ان المؤذنين يرتبون فى آذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذى هم فيه حتى يتهيئوا للعبادة فيرتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل انسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الاول والثانى والثالث وهكذا الى المؤذن الاخر الذى يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل انسان منهم كم بقى من الوقت مما يسع الغسل أو الوضوء أو الورد أو الاستبراء وغير

ذلك

ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو أضبط حالا وأكثر ثوابا لاجل الاتباع
بخلاف ما أحدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم لينـدب
الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح فى كثير من الاحيان ثم مع ذلك
لا يعرف الناس فى الغالب أى وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر
سيما وهم قد أحدثوا زيادة على ما ذكر أنه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا
سكتة طويلة ثم يؤذنون فمن افاق فى حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه
فى أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون
بالاذان الاول للصبح الذى قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه
رفعوا أصواتهم بما أحدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى
وغير ما شرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن
يصلى الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول
الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا
بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثانى الى المؤذن الذى يؤذن
على الفجر كما تقدم لما انبهم الوقت على أحد من سمعهم وكانوا متبعين لسنة
نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغى ان ينهاهم عما أحدثوه من صفة
الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت
الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم من أكبر العبادات وأجلها
فينبغى أن يسلك بها مسالكها فلا توضع الا فى مواضعها التى جعلت لها (ألا
ترى) أن قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز لاحد أن يقرأه
فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس أعنى الجلوس فى الصلاة لان
ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبى صلى الله عليه وسلم
أحدثوها فى أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها فى عهد من مضى والخير كله فى
الاتباع لهم رضى الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا أقرب مما
تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغنى بالاذان كما تقدم (وهى) عند
طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام فى
المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يصلون عند
كل درجة يصعدها والكل فى الاحداث قريب من قريب أعنى فى زماننا هذا

وأصل احداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من هاهنا وأشار الى المشرق (وقد تقدم) فى أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضى الله عنهم من الحدث فى الدين وما جرى لهم من جمع القرآن وما جرى لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما ان رأى الطير الذى هناك وقع على القدر ثم ارتفع عنه ووقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على انه اذا خرج يغسله فلما ان جاء الى غسله قال والله ما أكون بأول من أحدث بدعة فى الاسلام والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنها من أكبر العبادات وأجلها وان كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حسنا سرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا فى مواضعها التى وضعها الشارع فيها ومضى عليها سلف الامة ألا ترى الى قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله قد بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الامام أبى الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل الى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول اذا عطسنا وانما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فهو جواب لقول من يقول ان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف عنع وقد تقدم جواب من اتصف بالانصاف وهو معدوم فى الغالب ألا ترى الى قول مالك رحمه الله ليس فى زماننا هذا أقل من الانصاف فاذا كان الحال فى زمان مالك على ما ذكر فما بالك به اليوم فى هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الاكابر من العلماء انه لما ان سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا أعمل من كل واحدة مائة فبقى على ذلك زمانا فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وحشر الناس الى المحشر والناس فى أمر مهول واذا بمناد ينادى أين الذاكرون دبر كل

صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فجئنا الى موضع فيه ملائكة يعطون
الناس ثواب ذلك وكنت أزاحم معهم ويعطونهم ولا يعطوني شيئا فما زلت
كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا لي مالك عندنا شئ
فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا لي هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة
فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين
الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ما هكذا أمر صاحب
الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال
فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ما قرره صاحب الشرع
صلى الله عليه وسلم شيئا فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة
في جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر
وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين
رضي الله عنهم فتحرى ذلك في هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما
تقدم (ومع) ما ذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه
الصلاة والسلام بقوله لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه
الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وما ذاك
الا لما يدخل من التشويش على من في المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك
بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التي يعملونها في التسبيح وما يفعلونه فيه مما
يشبه الغناء في وقت والنوح في وقت وندب الاطلال في وقت وينشدون
فيه القصائد وفي المسجد من المتعبدين ما هو معلوم فلا يبقى أحد منهم الا وقد
وصل له من التشويش ما لا خفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم
(ولو قدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه بصدد أن يأتي الناس
اليه (فأين هذا) مما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان في المسجد
في آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذ ذاك خليفة
وكان حسن الصوت يجهر بالقراءة فلما أن سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله
قال لخادمه اذهب الى هذا المصلي فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن
تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلي عمر بن عبد
العزيز فرجع ولم يقل له شيئا فلما أن سلم سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه

ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عما هو يفعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أخبرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف فى صلاته فلما ان سلم منها أخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من تواضعه فى خلافته هذا وجه (الوجه الثانى) ان بعض العوام يأتون المسجد لاجل سماع التسبيح بتلك الالحان والنغمات فيقع منهم أشياء من الزعقات وما يشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما أحدثوه فيه من صعود الشبان اذ ذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم بذلك فكل من له غرض خسيس يصدر منه فى وقت سماعه ما لا ينبغى كما تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لا خير فيه بالشاب الذى يسمعونه ويترتب على ذلك من الفتن أشياء لا تنحصر (ومن) ذلك أيضا ما يفعله بعض أهل المغرب من انه اذا أذن المؤذن الذى يؤذن عند طلوع الفجر على ما تقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار وما يفعلونه من ذلك لا ضرورة ولا حاجة تدعو اليه لما تقدم من أن المؤذن الذى يؤذن على الفجر يكون وقته معلوما عند السامعين فمن سمعه منهم علم ان الفجر قد طلع فالحاصل ان كل ما جاء على خلاف ما أحكمته الشريعة المطهرة فمفاسده عديدة لا تنحصر

(فصل فى التسحير فى شهر رمضان) وينهى المؤذنين عما أحدثوه فى شهر رمضان من التسحير لانه لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم يقومون الى التسحير بعد نصف الليل لان السحور لا فائدة فيه الا أن يقوى به الانسان على صوم النهار وذلك لا يحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر بقليل كما ورد فى الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية فاذا تسحر الانسان فى هذا الوقت فالغالب عليه أنه لا يجوع الا بعد الظهر واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك

سموا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء
ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير عمره لقيام ليله لانه اذا
تسحر في الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذي يصعد الى
دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر
فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة الفرض ثم دخل بعد أداء الفرض
في أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك في مهماته فيحصل له التعبد في
ليله وخفة الصوم عليه في نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتسحرون
بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذي يجوز لهم الاكل
فيه (فالجواب) ما تقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور
علم الناس بسبب ذلك في أي جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما
كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل باذان بلال ومنعه
بأذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه
من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ما تقدم ذكره من التشويش على من
في المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذي ذكرتموه انما ينضبط به
حال المسجد الجامع وما حوله اما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون
في أي جزء هم من الليل (فالجواب) ان المساجد قد كثرت فما من موضع الا
وبجانبه مسجد ومساجد فيعمل في كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت
الاول والثاني على ما تقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على
جواز الاكل والثاني يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين في آذانهم
للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة
والمسجد الجامع هو الذي يكون فيه مؤذنون جملة على ما تقدم بيانه
(فصل في اختلاف العوائد في التسحير) اعلم أن التسحير لا أصل له في
الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من
الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (ألا ترى) ان التسحير في الديار المصرية
بالجامع يقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ما هو
معلوم من أقوالهم ويقرؤون الآية الكريمة التي في سورة البقرة وهي قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك

مراراعديدة ثم يسقون الى زعمهم ويقرءون الآية الكريمة التى فى سورة هل
أتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من
كاس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغى
أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون فى أثناء ذلك ما تقدمت
الاشارة اليه من انشاد القصائد وما ترتب على ذلك ويسحرون أيضا
بالطبلة يطوف بها أصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا
الذى مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الاسكندرية
وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على أصحاب البيوت
وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما)
أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك
والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذى
جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام
قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل
المغرب فانهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه اذا كان وقت
السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده
يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم)
العجب منهم فيما يفعلونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق فى الافراح
التى تكون عندهم ويمشون بذلك فى الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا
وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون
حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذى
هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة
يأخذون فيه النفير والابواق ويصعدون بها على المنار فى هذا الشهر الكريم
ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على ان فعل التسحير بدعة بلا
شك ولا ريب اذ انها لو كانت مأثورة لكانت على شكل معلوم لا يختلف
حالها فى بلد دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما
التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا كل منهم يغير ما فى اقليمه
ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فان لم يستطع ففى بلده فان لم يستطع

في مسجده (تنبيه) وليحذر أن يفتر أو يميل الى شيء من البدع بسبب ما يعرض له من العوائد وتربى عليها فان ذلك سم وقل من يسلم من آفاتها (وقد رأيت) بعض المغاربة وكان من البلد الذي يسحرون فيه بالنفير والابواق لما ان سمع المسحرين في هذه البلاد يقولون تسحروا كلوا واشربوا قال ما هذه البدعة وأنكرها لاستئناسه بما تربى عليه وما تربى عليه هو أكثر شناعة وقبحا وأقرب الى المنع مما أنكره هنا فالعوائد قل أن يظهر الحق معها الا بتأييد وتوفيق من المولى سبحانه وتعالى (ولاجل العوائد) وما ألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم ان هذا الا سحر مبين سحر مستمر سحر يؤثر أن امشوا واصبروا على آلهتكم أجعل الآلهة الها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هي الا حياتنا الدنيا الى غير ذلك من الالفاظ التي كفروا بها بسبب ما تربوا عليه ونشأوا فيه (فالحذر) الحذر من هذا السم فانه قاتل وميل مع الحق حيث كان وكن متبعا للخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة أخ مشفق فان الاتباع أفضل عمل يعمله المرء في هذا الزمان والله يوفقنا واياك لما يرضاه عنه فانه القادر عليه (سؤال وارد) فان قال قائل ان التسحير من البدع المستحبات (فالجواب) ان البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام (بدعة واجبة) وهي مثل كتب العلم فانه لم يكن من فعل من مضى لان العلم كان في صدورهم وكشكل المصحف ونقطه (البدعة الثانية) بدعة مستحبة قالوا مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق لسلوكها وتهيئ الجسور وبناء المدارس والربط وما أشبه ذلك (البدعة الثالثة) وهي المباحة كالمنخل والاشنان وما شاكلهما (البدعة الرابعة) وهي المكروهة مثل الاكل على الخوان وما أشبهه (البدعة الخامسة) وهي المحرمة وهي أكثر من أن تحصر (منها) ما أحدثه النساء اللاتي وصفهن عليه الصلاة والسلام في الحديث بقوله نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها انتهى (ومما) يقرب منه اتخاذ المساجد طرقا (ومنها) اتخاذها للديون وكل ذلك من اشراط الساعة كما تقدم (ومسئلة التسحير) لم تدع

ضرورة الى فعلها اذ أن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع
الاذان الاوّل للصبح دالا على جواز الاكل والشرب والثانى دالا على تحريمهما
فلم يبق أن يكون ما يعمل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا
أذنوا مرتين على ما تقدّم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك
فينبغى أن ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التى جعلوها علما
على جواز الاكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك
اذا أنزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ما ورد من ان الصحابة رضى الله
عنهم لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن
يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفى رواية وقال بعضهم اتخذوا
قرنا مثل قرن اليهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان بدلا عن
ذلك ولم يفعلوا واحدا منها اذ أنها من خصال أهل الكتاب والنار
يعبدها المجوس (الوجه الثانى) ان فى ذلك تغريرا بالصوم اذ أنه قد تنطفى
فى أثناء الليل فيظن من لا يراها موقودة ان الفجر قد طلع فيترك الاكل
والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيتضرر فى صومه (الوجه
الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها
كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا مما تقدّم ذكره فيفسد به صومه
(الوجه الرابع) انه قد تشتبك ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها
فحكمه كالوجه الذى قبله وفيه مفسدة أخرى هى أكبر مما قبلها وهى
مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا اشتبكت وكانت موقودة وحاول خلاصها
فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

(فصل فى التذكار يوم الجمعة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التذكار
يوم الجمعة لما تقدم من ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله
أحد بعده من السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين بل هو قريب العهد
بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو الذى أحدث التغنى بالاذان فى المدرسة
التى بناها كما تقدّم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد)
فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار لكى يقوموا من أسواقهم
ويخرجوا من بيوتهم فيأتوا الى المسجد (فالجواب) أنه لا يخلو حال من يأتى

الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألاترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ماذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير ألا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا انهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

(فصل) قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع

جماعة المؤذنين فينادون على صوت واحد حضرت الصلاة رحمكم الله
ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون في العصر وكذلك يفعلون في
صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا بجمعهم ونادوا أصبح ولله الحمد
ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت في الشرع ولم تدع
اليه ضرورة على ما تقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة في العصر
على ما تقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد ووقتها ضيق لا يسع
المؤذنين جماعة واحدا بعد واحد فيؤذن لها واحد ليس الا وقد تقدم ان
المؤذنين اذا تزاحموا وكان ذلك منهم ابتغاء الثواب ولم يسبق أحدهم الآخر
أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يمشي على صوت رفيقه ويترتب المؤذنون
في العشاء كما في الظهر والعصر

(فصل في حكمة ترتيب الاذان) انظر رحمنا الله واياك الى حكمة
الشرع في الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وأخبر عليه الصلاة والسلام ان من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن
واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون
المكلف قاعدا لقضاء حاجته أو في سوقه مشغولا لا يسمعه أو في أكله أو
شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون
في فور واحد لفاتتهم حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد
واحد فمن كان له عذر في ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثاني وكذلك
قد يتنبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم في أي وقت هو من ايقاع الصلاة فتتم
المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف
الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند
نزول المطر (فاذا) حكى المكلف المؤذن ودعا بما يختاره استجيب له ان شاء
الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة العظيمة المباركة ما نقل عنه
عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه صم يوما وافطر يوما فقال اني أطيق أفضل من ذلك
فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام

لم يفعل ذلك في حق نفسه الكريمة بل قال الواصف له وهو عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر قط الا رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى الا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما لفاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من صلاة نبي الله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام في حق نفسه المكرمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه في جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه في جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وما ذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بامته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم في جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بامته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى في صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لا رب سواك

(فصل) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثاني) انه اذا فعل ذلك بقي الاذان الشرعي كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهدوا ذلك يتكلون على وقوف المؤذن على أبواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعي لم يسرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث في الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مارا في طريق بالبصرة فسمع المؤذن فدخل الى المسجد يصلي فيه الفرض فركع فبينما هو في أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة

رحمكم الله ففرغ من ركوعه وأشد نعليه وخرج وقال والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة

(فصل) وكذلك ينهاهم عما أحدثوه من قراءة ان الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن عند ارادتهم الاذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخيرا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

(فصل في النهي عن النداء على الغائب بما لا ينبغي) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا في منامات رؤيت لهم في هذا المعنى (ألا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم في هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعي رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) اننا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله النازل بفنائه المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعي وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أن يكون ذلك نعيا القول بعض الصحابة رضي الله عنهم اذا أنا مت فلا تؤذنوا بي أحدا فاني أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعي

(فصل في النهي عن مشي المؤذنين أمام الجنازة) وينهى المؤذنين عما أحدثوه من مشيهم أمام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعل ذلك أمام الجنائز بدعة قريبة العهد بالحدوث كان أول من

أحدثها والٍ من الولاة قريب العهد جداً أحدثها على جنازة كانت
له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك
وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ماقام بحق ميته وياليته لو وقف
الامر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة
وهم فى الحقيقة على ضد ما يظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا
بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

(فصل فى عقد النكاح فى المسجد) وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم
الى نهى الناس عما أحدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم
بالمباخر المفضضة وذلك لايجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس
البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن
ذلك أفضل ولكن يمنع لاجل ظرفه لانه مفضض (وأما) فرش البسط فى
المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد
بفرشها المباهاة وماشاكلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان
الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم
وأما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن أحكام الله تعالى وعما
يجب على المرء فى دينه من الامر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل
الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ما ذكر فى المسجد ما ينزه عنه من الالفاظ
التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن
فيه وكلاهما لايجوز وكذلك ما يقع منهم من الطلاق والايمان والغالب
ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شئ من
هذا جهده والله المستعان

(فصل فى تهيئ الامام للجمعة) ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل
للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الاول) أن الغسل للجمعة مختلف فى
وجوبه وقد تقدم (الثانى) انه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة
الجمعة بالوضوء وحده أو يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة
المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى
الجمعة بغير غسل فهو أنقص حالا ممن اغتسل

(فصل في ذكر الاشياء التي ينبغي للامام أن يجتنبها في نفسه) قد تقرر في الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض انتهى فينبغي للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومن أفضل ما يلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بان يسمي الله تعالى ثم يقول ما ورد في السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم اني أسألك خير هذا الثوب وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لي عونا على طاعتك (ويستحب) لمن رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلي ويخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلي وتخلق (وقد) خرج أبو داود في سننه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذي أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (قال) أبو بصرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلي ويخلف الله تعالى (ومنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لا بد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغي) أن يكون غالب لباسه البياض سيما للخطبة وان كان لبس السواد جائزا لان النبي صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب فيه لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغي أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة ما لم يؤد لبس البياض الى توقع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يجتنب ما يجتنبه الامام (وكذلك) يتحفظ من غرز الابر فيما يتطيلس به أو يتعمم على ما تقدم في باب اللباس (وكذلك) لا يلبس الخفين وان كان

لبسهما جائز اسفرا وحضرا لكن لبسهما لاجل الخطابة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بتركها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

(فصل في خروج الامام على الناس يوم الجمعة) وينبغى له أن يتحفظ من هذه البدعة التى يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لا يسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لاخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة فى أول دخوله لبيت ربه وهذا لا يليق به ولا بمنصبه وينبغى له أن يتحفظ فى نفسه حين دخول المسجد فيفعل الاداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

(فصل) وينبغى له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس فى المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم يكررون ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

(فصل فى صعود الامام على المنبر) وينبغى له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولأن تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه فى مناولته اذا أراد أحد اغتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون فى هذا الزمان فى الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة فى الغالب حتى يغتاله أحد

(فصل فى كيفية صعوده على المنبر) وينبغى له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمى الله تعالى ويقدم اليمين كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بما فى يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم (الثانى) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضر به ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك) ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة

يضربها عليه فان ذلك من البدع أيضا ولا يطول على الناس في رقيه المنبر الا لضرورة من كبر سن أو ضعف بدن فاذا وصل الى الموضع الذى يخطب عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وان كان قد ورد فيه حديث لكن الذى استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم تركه اذ ذاك وبعضهم يسلم ويزيد فيه بدعة وهو أن يشير بيده الى الناس ولا يقف مستقبل القبلة ويبسط يديه ليدعو اذ ذاك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد عدوا ذلك من البدع

(فصل في فرش السجادة على المنبر) وليحذر أن يفرش السجادة على المنبر لان ذلك بدعة اذ انه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضي الله عنهم أجمعين فلم يبق الا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو اليها لانه ليس بموضع صلاة (وكذلك) ينبغي أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فانه من باب الترفه ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من ندائه عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس انهم ينكرون على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون على صحته بانه من عمل أهل الشام وعادتهم المستقرة وقد تقدم (وكذلك) ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الامام وان كان يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف السنة في استقباله للخطيب في حال الخطبة ورمقه بعينيه لانه مستدبر له اذ ذاك (والثاني) انه لم يرد أن أحدا ممن مضى جلس مع الخطيب على المنبر (والعجب) منه انه يأتي بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالانصات بعده بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم يفعل ضد ذلك ويأمرهم بالكلام فيتكلم ويستدعي الكلام بقوله آمين اللهم امين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضي الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول ان مذهب الشافعي رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

فلا بأس أن يصلى عليه السامع برفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن
يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما عهد من عمل السلف فى جهرهم فى مواضع
الجهر لا على ما عهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت
وحال الخطبة حال خشوع وحضور واذ أنها بدل عن الركعتين فى الظهر على
قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز فى الصلاة أعنى الانصات عند قراءة
الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر
النبى صلى الله عليه وسلم ان السامع يسأل ويستعيذ ويصلى على النبى صلى
الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا فى نفسه (زاد) أشهب ان الانصات
أفضل له فان فعل فسرا فى نفسه ولو عطس فيحمد الله سرا فى نفسه ومن سمعه
فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله
واجب على الصفة التى ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى
من كان فى المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعى
رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات
مندوب فى حقهم ولا شك ان ترك المندوب فى هذا الوقت الفاضل يقبح سيما
على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين فى الظهر وبالجملة ففعل
السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا أو مندوبا وقد كانوا جميعا منصتين
(وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضى الله
عنهما حين سمع رجلين يتكلمان فى حال الخطبة فحصبهما ان اصمتا قال لان
حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذى ذكره
فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغى
له) أن يجتنب التقعير فى خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل
الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك فى موطئه عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال أنتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن
وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطيلون فيه الصلاة ويقصرون
الخطبة يبدؤن فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتى على الناس زمان كثير قراؤه
قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل
من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه الصلاة يبدؤن فيه أهواءهم

قبل أعمالهم انتهى (فهذا) دليل واضح لما ورد أنّ طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل فليحفظ على هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة في الخطبة والصلاة (وأما) ترضى الخطيب في خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقي الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضى الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بني أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين على المنابر في خطبتهم فلما أن ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أبدل مكان ذلك الترضى عنهم وقد قال مالك رضى الله عنه في حقه هو امام هدى وانا اقتدى به (وينبغي) له أن يكون في خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف عما أوعد به وقوّة الرجاء فيما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب متصفا في نفسه بما ذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما اتصف به هو في نفسه كما مر في المؤذن اذا أذن ينبغي له أن يكون على طهارة ليبادر لفعل ما نادى اليه أوّلا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدّم انه يجتنب في خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذي ليس له دواء في الغالب اذ أنه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ أن معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس في قلبه أسأل الله السلامة عنه

(فصل في اسلام الكافر في حال الخطبة) وينبغي له أن يتجنب هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أن الكافر يأتي الى الخطيب فيسلم على يديه في غير الجمعة ثم يعود ويأتي ثانيا والخطيب على المنبر حتى يتلفظ بالاسلام على رؤس الناس ويقطع الخطيب الخطبة بسببه وتقع ضجة في المسجد ينزه المسجد عنها وهو قد كان أسلم قبل ذلك كما تقدّم ولا يجوز له أن يقطع ترتيب

الخطبة

قوله مئنة بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون أي علامة اهـ

الخطبة لاجل هذا الانه كان مسلما قبل ولا عذر له فى أنه جدد الاسلام اذ ذاك ليشتهر اسلامه بين المسلمين ويعرفوه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من من الكفر المتقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا أنه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد ويأمر من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولو لم تتقدم له جنابة فى حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء لا بد منه ليصلى به الجمعة

(فصل) فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم أو ما فى معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغى له ان يصلى على ما هنالك من الحصير ويترك السجادة اذ أن اتخاذها للصلاة بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها فى هذا الموضع اذ أن المحراب له هيبة ولا يدخله أحد فى الغالب سيما الصبيان الصغار ومن لا يؤبه له فان الغالب من أحوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله من الطهارة (والامام) ينبغى له أن يكون أفضل القوم فى كل الاحوال ومن ذلك ان لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة الى الحصر المفروشة هنالك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضى الله الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه فى سجوده لا يحول بينه وبين الارض شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضى الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو الأولى والأفضل فى حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فان باب الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما فى المحراب فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف رضى الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد ذكروها (منها) انه قد يطرأ عليه فى صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى كثير عمل فى الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) انه قد يسهو

في صلاته فيسبحون له فلا يسمعهم فاذا كان قريبا منهم سمعهم في الغالب
وتداركوا ملاقاة ذلك بسمعهم له وتنبيههم له عليه فيتدارك اصلاح ما أخل به
(ومنها) أنه قد يكون في ثوبه نجاسة لم يشعر بها فاذا كان قريبا منهم أدركوها
فنبهوه عليها الى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو من
البدع التي أحدثت لكنها بدعة مستحبة لان أكثر الناس اذا دخلوا
المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب
على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الائمة
انهم يصلون داخل المحراب حتى يصيروا بسبب ذلك على بعد من المأمومين
وذلك خلاف السنة (ثم) انه يخرج نفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لان باقي
المسجد أفضل منه (ألا ترى) ان علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر الى
النوم في المسجد انه ينام في محرابه لانه أخف من باقي المسجد بل ينبغي له أنه
اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم
فليدخل على الصفة المتقدمة لانه اذا لم يدخل يمسك بوقوفه خارجا عنه
موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة
الاخرى التي يفعلها بعض الائمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم ان
الامام يلتفت عن يمينه ويقول استووا رحمكم الله ثم يلتفت عن شماله
ويقول مثل ذلك ويقول له الرئيس أو أحد المأمومين كبر رضي الله عنا
وعنك هذا فعلهم سواء كان في الصف خلل أو لم يكن ولو كان ثم خلل لم يسده
أحد بقوله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد)
كان الائمة من السلف رضي الله عنهم يوكلون الرجال بتسويتها منهم عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ثم لا يكبرون حتى يأتي من وكلوهم بذلك فيخبروهم
انها قد استوت فيكبرون اذ ذاك (وقد) جاء في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل عن
السلف رضي الله عنهم ان ثيابهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا
لشدة تراصهم في صلاتهم وهذه السجادات تمنع من ذلك ضرورة لانها
تبسط على موضع في المسجد يزيد على قدر ما يحتاج اليه صاحبها في قيامه

وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من بجانبه حتى يصلى معه عليها فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلى الى جانبه متورعا أو فى كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تحرجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتى الى فعل مندوب وهو التراص فى الصف فيقع فى محرم أو مكروه

«(فصل فى دخوله فى الصلاة)» فاذا استوت الصفوف فلينو اذ ذاك الدخول فى الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) فى النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية فى محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا ما لم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت فى كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى انه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية فى غير محلها (ألا ترى) ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوى بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوى على خمس نيات وهى نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الايمان والاحتساب وهو شرط فى صحة ذلك كله واختلف فى تعيين الايام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوى الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوى أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوى الامامة الا فى كل صلاة لا تصح الا فى جماعة وهى خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ممن لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم

القرآن في الركعة الاولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات
فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الاعلى وقيل هل أتاك
حديث الغاشية وهو الاكثر ولم يختلف المذهب في الاولى انه لا يقرأ فيها
الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة
في الجمعة فقال يقرأ مثل ماقرأ امامه بسورة الجمعة فقيل له اقراءة
سورة الجمعة في صلاة الجمعة سنة قال لا أدري ماهي سنة ولكن من
أدركنا كان يقرأ بها في الركعة الاولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعة الاولى من صلاة الجمعة بسبح اسم ربك
الاعلى وفي الثانية بهل أتاك حديث الغاشية لكن الذي واظب عليه عليه
الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين
ماتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة
في الركعة الاولى منها ما لا ينبغي فليحذر من هذا جهده وبعض الائمة في هذا
الزمان يقرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفي الثانية بآخر
سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا
أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ماتقدم من قصر الصلاة
واطالة الخطبة وما كان السلف رضي الله عنهم يقرؤن الا سورة كاملة
بعد أم القرآن وان كان الشافعي رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض
السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والافضل والاتباع قراءة سورة كاملة
*(فصل) وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام في الامام والمأموم والفذ
فالجهر بها بدعة على كل حال اذ أنه لم يروا أن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون
الجهر بها بدعة (وينبغي له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم
بالجهر بإياك نعبد وإياك نستعين حين قراءة الامام اياها فيحذر من هذا
جهده فانه بدعة (وينبغي له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة في صلاة
السر لان ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه
(وقد) ورد النهي عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم

على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلى لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهى عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام انى أقول مالى أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان فى الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار فى الصلاة (ولا حجة) لمن يحتج بالحديث الوارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكى يعلم الناس الحكم فى صلاة السر أنه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحد السبيل الى أن يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغى) للامام أن لا يجهر بالتسبيح فى ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء فى موضع الدعاء فى الصلاة أو عقبها وما يفعله فى حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ أنه لم يروأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضى الله عنهم أجمعين وكذلك باقى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وشئ لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك فى ان تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يسمع صدره عند قراءة القنوت فى الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ أنه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع الرأس من الركوع اذ أنه بدعة (وكذلك) لا يجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذى يبنى عليه صلاته ويعتمد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه انه واقف بين يدى الملك الجليل يخاطبه ويناجيه فان كان فى القراءة فهو يسمع كلام ربه عز وجل وان كان فى غيرها من دعاء أو ذكر فهو يناجى مولاه بدعائه ويذكره سبحانه وتعالى المولى العليم

بسمعه اذ أنه أقرب اليه من حبل الوريد أعني بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه
كلها انقيادا منها لما حصل في قلبه من الخشوع والحذر الحذر من خشوع
جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى في الخطبة
وهو في الصلاة أولى وقد ورد أن الصلاة في الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل
منهم فينبغي أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذ أنه يعتبر في حقه أن يكون
أفضلهم و بحصول هذه الصفة تزكو صلاته و يعود من بركاتها على الحاضرين
معه فيعمل على تحصيل هذه المزية بجهده والله الموفق (والسنة المتقدمة)
أن يلي الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام
ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) انه لوطرأ على الامام ما يوجب
الاستخلاف لوجد من فيه أهلية لذلك يقرب منه من غير كلفة تتكلفها وهذه
سنة معمول بها في بلاد المغرب على ما كنت أعهد أنه لا يستر الامام الا من فيه
أهلية التقدم للامامة في الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة دائرة في
هذه البلاد في الغالب فتجد من لا علم عنده يستر الامام وتجد أهل الفضل
في المواضع البعيدة منه وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه
الصلاة والسلام بقوله ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى ولفعله عليه الصلاة
والسلام وفعل أصحابه رضي الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي
للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه
السنة و يخمد هذه البدعة و يقتدى الناس به وما زال الفضلاء والاكابر
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الاعصار هم الذين يبادرون الى
المساجد في أوائل الاوقات أو قبلها (حتى) انه قد حكي عن بعضهم انه جاء
الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه و يقول أثالث
ثلاثة أثالث ثلاثة فلو جاء الامام او غيره من الفضلاء الى المسجد فوجدوا
غيرهم ممن ليس في منزلتهم قد سبقهم لتلك المواضع التي يعهدون الصلاة فيها
أعني من كان يستر الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها
منه وأولى ولا يقام منها اتفاقا واقامته ظلم له وبدعة (اللهم) الا أن يؤثر
السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب
اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام

ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى وللعمل الماضى المتقدم ذكره (والثانى) من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لأحد هذين الوجهين كان مندوبا اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذى كان يأتى الى المسجد أول الوقت ليدرك فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثانى وآثر بمكانه غيره وهكذا الى أن يصلى فى آخر صف من المسجد فسئل عن موجب ذلك فقال أبكر لأحوز فضيلة الصف الاول ثم أتأخر رجاء ان أكون قد صليت خلف مغفور له فيغفر لى وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف انما هو فيمن ترك قربة لابدل منها أما من تركها لما هو أعلى منها وأولى فليس من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة لما هو أعلى منها كما تقدم وقد عدّ بعض العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف المذهبين فمذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان التبكير من غدوة النهار اليها أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله على صحة مذهبه من أن التبكير اليها أفضل من التهجير بأن قال أول بدعة حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتونها بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم يبيت فى المسجد ليلة الجمعة ليصلى الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير اليها وعلله بأنه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكرون واهذا التبكير وأخاف على فاعله أن يدخله شئ ولا يختلف أحد فى صحة نقل مالك عن السلف رضى الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ما جرى لعثمان بن عفان رضى الله عنه حين دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير أفضل لما تأخر عثمان رضى الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذى أتى فيه الى الجمعة (وينبغى له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه أنه يغير هيئته فى جلوسه فى الصلاة ليقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة له ما دام فى المسجد بخلاف ما لو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه استغفار الملائكة له هذا اذا كان فى المسجد فان كان فى بيته أو فى رحله فى السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغييره الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله

عليهم وبعض الائمة يقعد فى مصلاه على هيئته التى كان عليها فى صلاته وذلك
بدعة لانه عليه السلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضى
الله عنهم أجمعين لانه قد يخلط على الداخل الى المسجد فيظن انه فى الصلاة
وقد ذكر الفقهاء فى ذلك تفاصيل أخر موجودة فى كتبهم (وهذا) بخلاف
المأموم فان له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه
من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك ما أحب لكن المستحب فى
حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة ان كانت الصلاة مما يتنفل بعدها فى موضعه
الذى صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه الى جهة أخرى فيصلى فيها فان لم يفعل
فلا حرج ويصليها فى موضعه والتنفل فى المساجد بتوابع الفرائض أفضل
من فعلها فى البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها
فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب
وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يركع
بعدها فى بيته وحكمة ذلك على ما قاله بعض العلماء انه فعل ذلك عليه الصلاة
والسلام على ما علم من عادته الجميلة فى رحمته بامته اذ أن من كان منهم صائما
وركع عقب المغرب فى المسجد لا ينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه
فقد يكون عند بعضهم الاولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة
فأزالها عليه السلام عنهم بركوعه فى بيته انتهى على انه لو ركع فى المسجد
لم يكره لان ذلك انما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فاذا أمن
منها جاز (وأما فى الجمعة) فلا يتنفل عقبها امام ولا غيره الا فى بيته بذلك
ورد الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى قبل الظهر ركعتين
وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وكان
لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين فى بيته (وقد ورد) أن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجذبه
واقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر والنبى
صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة فى المسجد
بدعة لما ذكر حتى ينصرف الى بيته فيصلى فيه فان كان غريبا أو ممن لا بيت
له أو ممن يريد انتظار صلاة العصر فى المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم

فيه فمنهم من يقول يخرج من باب ويدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل
من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه
أو حدث يحدث بشئ مما يسوغ الكلام به فى المسجد كما تقدم فيجوز له أن
يركع فى موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك
الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثنى على الله تعالى بما
هو أهله بما تيسر له ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه
أوّلا وان حضره من اخوانه المسلمين سرا فى نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه
بالدعاء دونهم اذا كان اماما فى الصلاة وبعدها فان فعل فقد خانهم هكذا
ورد فى الحديث على ما رواه أبو داود والترمذى (وكذلك) يستحب لكل
واحد من المصلين أن يدعو لنفسه ولمن حضره من اخوانه المسلمين من امام
ومأموم (وليحذروا جميعا) من الجهر بالذكر والدعاء وبسط الايدى عنده
أعنى عند الفراغ من الصلاة ان كان فى جماعة فان ذلك من البدع لما تقدّم
ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بان الدعاء مشروع
بعد الصلاة فيجهر بذلك ويبسط يديه على ما قاله الشافعى رحمه الله تعالى
حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا أمسك (وبعض الأئمة) اذا سلم من صلاته أقبل
على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة ويتمادى على ذلك
كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الافضل
الذى هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس مما يفعله من الذكر المأثور
عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدّم النهى عن القراءة جماعة
والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن ينهى الناس عما
أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة فى المسجد أو غيره وان
كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة فى يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول
على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا فى
نفسه فى المسجد أو جهرا فى غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه
من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم
والله تعالى أعلم

(فصل فى الصلاة على الميت فى المسجد) الصلاة على الميت فى المسجد جائزة

على مذهب الشافعي رحمه الله لكن بشرط ان لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (وأما) مذهب مالك رحمه الله فيكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود رحمه الله وللعمل المتصل وهو أنهم كانوا لا يصلون على ميت في المسجد وما ورد من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فلم يصحبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله أقوى لان الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتباع أولى ما يبادر اليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط أن لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقد ارتكب ثلاث مكروهات أحدها الصلاة على الميت في المسجد الثاني التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وسد المكروه ما تركه أفضل من فعله (تنبيه) ويتعين عليه أن ينظر فيما بنى أو يبنى الى جانب المسجد من ميضأة أو سراب فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى ارض المسجد أو جدرانه فيمنع من ذلك ويبطله على من فعله لان دخول النجاسة في المسجد محرم وان كان عليها حصير لان الارض هي المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الارض تنجس بها وكذلك الجدران لان المصلين يستندون في غالب أحوالهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك في مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما وبعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما في حق من كان منقطعا في المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع في محرمات جملة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لان الحسنة التي توصل الى السيئة ما هي بحسنة بل هي السيئة نفسها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكائد ابليس اللعين

(فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين) والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال

صلاة

صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه
فهذا دليل واضح على تأكد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهي
السنة وصلاتهما في المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن
تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر
النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج
اليها فقالت احداهن يارسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه
الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها لتشهد الخير ودعوة المسلمين
فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام لهن الخروج شرع الصلاة في البراح
لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ماقد أمر به
في الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة والسلام باعدوا بين أنفاس النساء
وأنفاس الرجال فلما أمر في هذا الحديث وجعله في صلاة العيد فكان النساء
بعيدا من الرجال ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته
وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة ولما
احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن المسجد
ولو كبر فهم محصورون في الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع
الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتقع الفتن في موضع
العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يحصل فيها أحد لاحد
في الغالب وهذا بعكس مايفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم
كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة
فبنوا في ذلك البراح موضعا يكون في الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر
وجعلوا له بابين ليس الا بابا للجهة القبلية والآخر في مقابلته فيجتمع النساء
والرجال في أحد البابين في الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليها
فاذا انصرفوا خرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب ان النساء اذا خرجن
لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك
مما تقدم من زينتهن فكيف بهن في العيدين والرجال أيضا يتجملون بما لا يجوز

لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا القربة فآل الامر الى ضدها وفى هذا البناء أمور أخر منها ان البابين المفتوحين لا باب عليهما فيبقى ذلك المكان مأوى لما لا ينبغى من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل القبائح المتوقعة فيها وقد قيل من العصمة أن لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصية ولا يجد من يوقعها معه ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجد الموضع متيسرا كان ذلك تيسيرا للمعصية لمن أرادها والموضع موضع عبادة فينبغى أن ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بناء فيه فان كان لا يقدر على ازالة ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلى خارجا عنه فى البراح فهو الأولى والأفضل فى حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته وان كان لا يسمعها كما تقدم فى الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله من مكائد ابليس يأتى الى مواضع القرب فيدس فيها دسائس حتى ترجع الى الضد من ذلك نسأل الله العافية بمنه

«(فصل فى التكبير عند الخروج الى المصلى)» والسنة الماضية أن يكبر عند خروجه الى المصلى ان كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فان كان قبل ذلك وأتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج فى وقته ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ أنه لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم الاماذكر ورفع الصوت بذلك يخرج عن حد السمت والوقار ولا فرق فى ذلك أعنى فى التكبير بين أن يكون اماما أو مؤذنا أو غيرهما فان التكبير مشروع فى حقهم أجمعين على ما تقدم وصفه الا النساء فان المرأة تسمع نفسها ليس الا بخلاف ما يفعله بعض الناس اليوم فكأن التكبير انما شرع فى حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يستمعون لهم ولا يكبرون وينظرون اليهم كأن التكبير ما شرع الا لهم وهذه بدعة محدثة ثم انهم يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لان المشروع انما هو أن يكبر كل

انسان لنفسه ولا يمشى على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا
وقودهم القناديل فى طريق الامام عند خروجه الى صلاة الصبح يوم العيد
ومما أحدثوه أيضا انهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد
فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا فى التكبير على ما وصفنا من رفع
الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا
الى قرب المحراب فيتشوّش من فى المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير
ويأخذون فى الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير
على ما تقدّم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة
ففعلهم ذلك محرم على ما يعلم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم
على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل استماعهم وتركهم التكبير
لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ما مضى من أنه يكبر
كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا أو غيرهما
يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه
لان ذلك محدث وقد تقدّم انّ أحسن اللباس وأفضله البياض فينبغى
للامام أن يكون أفضل القوم حتى فى ملبسه وزيه على ما تقدّم فى اللباس
فى الجمعة بشرطه (وينبغى) أن لا يقدّم الصلاة فيوقعها فى الوقت المنهى عن
ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهى عنه لان النبى صلى
الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب
حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهى فيخرج
الى فعل بر فيقع فى ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضدّ هذا
فيؤخرون صلاة العيد حتى تبيض الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة
وردت فى الخارج الى المصلى أن يعجل الأوبة الى أهله لانه ان كان فى عيد
الاضحى فيضحى لهم ان كان ممن يضحى حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان
فى عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد أفطروا قبل خروجهم الى المصلى
على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال
والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدّم هذا المعنى واذا كان
ذلك كذلك فالافضل ما بين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلى عند طلوع

الشمس لما تقدّم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتاب القوت له روينا ان مروان لما أحدث المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى فقال يا مروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هى خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (فان) فعل وخطب على المنبر فقد مضت السنة فى خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا فى منبر العيد اليوم بدعة أكثر من جلوس الرئيس مع الامام على المنبر فى الجمعة لانهم زادوا أن الخطيب اذا خطب فى صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم يرتصون عليه وكذلك فيما فوق المنبر (وينبغى) له اذا خطب أن يوجز فى خطبته ولا يطيلها فان التطويل ههنا أشد كراهة منه فى الجمعة لما تقدّم ذكره من انتظار الاهل لهم فى العيدين والله أعلم

(فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى) ويتعين على الامام وغيره ممن يصلى فى المصلى التحفظ من الصلاة على موضع فيه نجاسة غير معفو عنها سيما ان كان الموضع مما تطؤه الخيل والدواب فلا شك فى نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون فى أوّل النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض فتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيئا يصلى عليه تنجس فلا يصلى عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تنبش بعد وقيل هى مكروهة مطلقا فى الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

(فصل فى سلام العيد) قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى قول الرجل لاخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء

ودعاء

ودعاء المؤمن لأخيه مستحب الرابع لا يبتدي به فان قاله له أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم في هذا الدعاء الحسن مع تقدم حدوثه فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع انه متأخر الحدوث فمن باب أولى أن يكره وهو ومثل قولهم يوم مبارك وليلة مباركة وصبحك الله بالخير ومساك بالخير وقد كره علماؤنا رحمة الله عليهم كل ذلك وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد كرهها مالك وأجازها ابن عيينة أعني عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) في العيد لمن هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت في الشرع عند لقاء المؤمن لأخيه (وأما) في العيد على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان يساعده النقل عن السلف فيا حبذا وان لم ينقل عنهم فتركه أولى

(فصل في خروج النساء الى صلاة العيد) قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد في المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان عليه في وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مروطهن تجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضي الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بني اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن في هذا الزمان على كل حال لما في خروجهن من الفتن التي لا تكاد تخفى وما يتوقع من ضد العبادة المأمور بها

(فصل في انصراف الناس من صلاة العيد) قد تقدم ان السنة في الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الأهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضي لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم

اذ أن الغالب من اخوانه انهم يضحون والسنة فيهما أن يتولى المكلف ذلك بنفسه فاذا خرج الوقت الذى هو ممتد للذبح غالبا فليمش عليهم كما تقدم ذكره . وان علم ان فيهم من لم يذبح فله أن يأتى اليه فى أى وقت شاء لعدم المانع

(فصل فى صلاة العيد فى المسجد) فان صليت صلاة العيد فى المسجد لاجل ضرورة المطر أو غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيهما كما تقدم فى المصلى لكن فى المسجد يخفضون أصواتهم أكثر مما ذكر فى البرية تنزيها للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولابد من الخطبة بعد الصلاة وينبغى أن يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هنّ اليوم يفعلنه لانهن يخالطن الرجال فى الغالب فتجد المسجد غالبه مملوء يوم العيد بالنساء وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعن الخروج لكان أحسن بل هو المتعين فى هذا الزمان ويتعين عليه أن يتقدم الى الوعاظ الذين يعملون فى المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه فى حق الرجال ففى حق النساء من باب أولى اذ أن مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم منع الوعاظ من المسجد مطلقا

(فصل فى التكبير اثر الصلوات الخمس فى أيام العيد) وقد مضت السنة ان أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فى أيام اقامة الحج بمنى فاذا سلم الامام من صلاة الفرض فى تلك الايام كبر تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه وكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشى على صوت غيره على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هى السنة (وأما) ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه اذا سلم الامام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم فى المآذن ويطيلون فيه والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون فى الغالب وان كبر أحد منهم فهو يمشى على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ أنه لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والتالين والذاكرين

(فصل فى صلاة التراويح فى المسجد) قد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى

صلى الله عليه وسلم صلى فى رمضان فى المسجد ثلاث ليالى فلما ان اجتمعوا
جاس فى الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد
عرفت الذى رأيت من صنيعكم وما منعنى من الخروج اليكم الا خشية أن
تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما ذكره
من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة
وتفرغ للنظر فى مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون
فى ليالى رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو
جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبى بن كعب
رضى الله عنه فخرج عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة أخرى وهم
يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل
وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما)
عنى بذلك والله أعلم أحد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثانى أن
يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل فى نفسه فهو سنة
لا يختلف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانما هو محمول على
غيرهم لا عليهم اذ أنهم رضى الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل
وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله فى موطئه انهم كانوا اذا انصرفوا
من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتمدون على
العصى من طول القيام فقد حازوا رضى الله عنهم الفضيلتين معا قيام أول
الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا ان المحب لمن يحب مطيع
وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغى لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم
المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر فى هذا
الزمان فى الغالب أعنى قيام الليل كله فى المسجد لما يختلط به مما لا ينبغى واذا
كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلى نفسه من هذه السنة
البتة بل يفعلها فى المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف
فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغى له أن يغتنم بركة اتباعهم فى قيام الليل
الى آخره ان أمكنه ذلك فيصلى فى بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده
فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وتره آخر تنفله اقتداء

بهم (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلي مع الناس في المسجد وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهما بسلام اما انا فاذا أوتر وانصرفت وتركتهم فللانسان بمالك رحمه الله اسوة في ترك الوتر معهم حتى يوتر في بيته بعد تنفله آخر الليل الا أن يكون ممن يحتاج الى النوم اذا أتى الى بيته ويخاف أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يغر ويترك الوتر بعد نومه وليوقعه قبله فان أدرك من آخر الليل شيئا قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب مالك رحمه الله وان لم يدرك شيئا فقد حصل له الوتر في وقته ولا حرج عليه (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يصلي في المسجد مع الناس صلاة القيام ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله يقول ان شيخه سيدى الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمكلف انه اذا صلى المغرب يفطر ثم يقوم فيصلي بحزبين ونصف أو أكثر قبل العشاء ثم يخرج فيصلي مع الناس القيام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى لنفسه بحزبين ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه في الغالب ثم ينام ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلي ما تيسر له مما بقي عليه من الليل (فان) قال قائل قد قررتم ان قيام رمضان في المسجد سنة فما وجه ترك أبي بكر لها (فالجواب) ان أبا بكر رضي الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم في الدين وهو قتال أهل الردة ومانعي الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند انتقال النبي صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضي الله عنه فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبان ماذكروا تضح والله الموفق

(فصل في صفة الامام في قيام رمضان) وينبغي أن يكون من أهل العلم والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله في القوم يقدمون الرجل ليصلي بهم لحسن صوته انما يقدموه ليغني لهم وهذا اذا كان على ما يعلم من التطريب في القراءة ووضعها على الطرائق التي

اصطلحوا عليها التي تشبه الهنوك وأما لو قدموه لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك ان هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الا من تطوّع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدّم غير مرة ان يكون افضل القوم ومن جملة فضيلته ان يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شئ وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه وأخذه وتصدق به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من المغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع اكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما يمنعه من الصلاة خلفه فاخبره انه يأخذ على صلاته اجرة فقال له والله ما اكلت منها شيئا قط ولكني اتصدق بها فقال له الآن اصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) اخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى وانما الكلام وان يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح انه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر او ترك الامامة فلا شك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما اخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا ما تقدّم في حال العالم في اخذه الجامكية على التدريس وقد تقدّم ذلك بما فيه كفاية فاغنى عن اعادته

(فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح) وينبغي له ان يتجنب ما احدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع أصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك) ينهى عن

قول المؤذن بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والحدث فى الدين ممنوع وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

(فصل فيما يفعل فى ليلة الختم) وينبغى له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم فى الختم من أنهم يقومون فى ليالى رمضان كلها فى الغالب بحزبين فما فوقهما فاذا كانت ليلة الختم التى ينبغى أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلى بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون ثلث الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك كما تقدم

(فصل فى صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان) وينبغى للمكلف أن يمتثل السنة فى قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت فى الغالب فى هذا الزمان فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه لانهم يختمون فى أوله أو فى أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهى مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فيها الشئ القليل مع انه قد أحيا بعضهم هذا العشر فى المسجد الجامع وهى سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد فمنها ان الائمة يأخذون عليها عوضا مما ... والثانى ان المسجد يبقى فى ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه منها من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يسترهم فلو كان من وقف على الائمة وقف على زيت يعم المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول ليلهم فمن رأوه فيه فى غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا واما مع عدم هذا فمفاسده كثيرة وفى التلويح ما يغنى عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

(فصل فى الخطبة عقب الختم) والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن فى رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهى بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع

أو يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك ممنوعا فى حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع فى حق من يقتدى به (وينبغى له) أن يجتنب ما أحدثوه بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفية وبعض هؤلاء يعوضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة (وقد) سئل بعض السلف رضى الله عنهم عن الدعاء الذى يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر الله من تلاوتى اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا يمقتنى على تلاوتى (وقد قالت) عائشة رضى الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان أن الظلم انما هو فى الدماء أو الأعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال البشرية فينبغى أن يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام قوله اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ٣ (ومن ذلك) الدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على النعمة حتى تهنئنى المعيشة وحسن لى العاقبة حتى لا تضرنى ذنوبى وخاصنى من شبهات الدنيا وكل هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة بسلام (ومن ذلك) ما رواه مالك رحمه الله فى موطائه عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد

٣ وتمامه كما فى الجامع الصغير واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر اه

على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف ببركة دعائه (وقال) بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (وقيل) ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب في الجماعات أو من كان في موضع من مواضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو في جماعة يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب أن يمضي فيه لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين في الدعاء اه (وهذا) في غير المسجد ويجوز في المسجد بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا أن يمضي فيما فتح له فيه في أي وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى انهم قد قالوا لو أخذه الخشوع في صلاة النافلة فليمض في ذلك ولو ختم الختمة في ركعة واحدة وكذلك لو وجد الخشوع في آية واحدة فانه يكررها ما دام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح له في الدعاء فالمستحب في حقه أن لا يقطعه أيضا فمن له عقل فليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم ويترك الحدث في الدين والله المستعان (قال) الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال والنساء منفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء فهذه البدعة التي كره مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذي يجري في هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء ومصادمة أجسادهم ومزاحمة من في قلبه مرض من أهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكى لنا أن رجلا وجد رجلا يطأ امرأة وهم وقوف في زحام الناس وحكت لنا امرأة أن رجلا واقعها فما حال بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق فيفسق الذي كان سببا في اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق في التفسير أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا)

فهذا هو الحجة عليكم بأنه كان يصلي في بيته ويجمع أهله فأين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتختلط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وأيضا) فانه ماروى انه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا يقول يا حبذا صفرة ماء ذواعها لما كان قد توضأت به امرأة فبقي فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) انه نهى أن يجلس الرجل في مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى أصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اهـ

(فصل في القيام عند الختم بسجدات القرآن) وينبغي له ان يتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو أنهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية في ركعة واحدة او ركعات فلا يفعل ذلك في نفسه وينهى عنه غيره اذ أنه من البدع التي احدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالي فكل آية فيها ذكر لا اله الا الله او لا اله الا هو قرأها الى آخر الختمة وذلك من البدع ايضا

(فصل في قيام السنة كلها) قال الباجي رحمه الله في شرح الموطأ ان هذا القيام الذي يقوم الناس به في رمضان في المساجد هو مشروع في السنة كلها اوقعونه في بيوتهم وهو اقل ما يمكن في حق القارئ وانما جعل ذلك في المساجد في رمضان لكي يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم في أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبي صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه وماشابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام في السنة كلها مشروعا لمن حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به في بيته جهرا ولا يقوم به في المسجد أعني في جماعة كما في رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلي عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور في بيته ايضا هذه هي السنة الماضية في الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل

القيام المعهود في رمضان دائما في زاويته في جميع السنة ثم نقلت عنه واشتهرت فصارت تعمل في بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك في المساجد وفي كل موضع مشهور وكذلك لو تواعدوا على انهم يجتمعون في موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان فعلوا فهي بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما تقدم نعمت البدعة هذه يعني في جمعهم على قارئ واحد في رمضان على ما تقدم بيانه فذكره رضي الله عنه ذلك للتنبيه على أن من فعله على تلك الصفة في غير شهر رمضان فانه بدعة

(فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغي) قد تقدم ان الدعاء بعد الصلاة يعقب على الصفة المذكورة قبل وعند الختم مثله (قال مالك) في المدونة الامر في رمضان الصلاة وليس بالقصص في الدعاء (قال الطرطوشي) رحمه الله فقد نهى مالك أن يقص احد بالدعاء في رمضان وحكى ان الامر المعمول به في المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن القاسم قال سئل مالك عن الذي يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو قال ما سمعت انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس في المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم في القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن القاسم أيضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو رافعا يديه فأنكر ذلك وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع الصوت بالدعاء ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم أيضا قال سئل مالك عما يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك فقال هذا من البدع وأنكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا انما عني بهذا الوقوف للدعاء فأما الدعاء عند دخوله وخروجه ماشيا فانه جائز وقد وردت فيه آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن الرجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لاحد أن يفعله (وذكر) ابن شعبان في كتابه عقب ذكره جملا من هذه الامور المحدثة قال انما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى

يتخذ أمراماضيا وما أنبا نقدر ذلك بل قد وجدنا ما تكا اتخذوا أكثر
المسلمين اليوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على
هذا الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يجمع فى رمضان الا ليالتين اه فاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله
تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة
وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج
السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله اذا ختم
عنده فى شهر رمضان فى المسجد فى جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف
المكتوبة شيئا وكنا لا نعرف دعاءه بعد الصلاة الا حين يرمق السماء بعينيه
وهذا ضد ما يفعلونه فى هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد
والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والهنوك وخلوه
من الخشوع والتضرع والابتهال للولى الكريم سبحانه وتعالى قال عز
وجل فى كتابه العزيز أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمّن يجيب
القوّال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل
السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى
عليه سلف الامة الماضين رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك
فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما
لا ينبغى (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة فى موضع الختم فيكبرون
جماعة فى حال كونهم فى الصلاة لغير ضرورة داعية الى التسميع الواحد فضلا
عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا فى صلاة وهذا فيه ما فيه من القبح
والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم)
انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارى من الموضع الذى صلى فيه أتوه ببغلة أو
فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم فى صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ
القرآن بين يديه كما هم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدير على عادتهم
الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضى أبو الوليد
ابن رشد رحمه الله كره مالك قراءة القرآن فى الاسواق والطرق لوجوه
ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأه وهو ماش فى الطرق

والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثانى) انه اذا قرأ
القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) انما يخشى أن
يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالفقراء
الذاكرين بين يديه (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالاغانى وهو أشدها وان
كانت كلها ممنوعة (وبعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق
والدف (وبعضهم) الطار والشبابة فى بيته (وبعضهم) يجمع ذلك كله أو
أكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من
الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله
ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما
أكثر شؤمها (حتى) لقد رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختمة ببعض ما ذكر
فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده فى أى موضع صلى القيام فقال لى
أنا منعته من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف
طالبونى بالختم فأحتاج الى كلفة كثيرة (فانظر) الى شؤم البدع كيف جرت
الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبى اذا كان
يصلى بالقرآن فى كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها فى الغالب (ألا
ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب
الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب
فى الصبيان انهم لا يقومون فى الليل فاذا لم يصلوا به فى الليل ولم يقوموا به
فى رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بامر الدنيا والاسباب التى تعوقهم
عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا لنسيانها لاكثرهم

(فصل فى وقود القناديل ليلة الختم) وينبغى فى ليالى رمضان كلها أن
يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه
دون غيره فيرون المواضع التى يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا
والمواضع التى يضعون فيها أقدامهم والمواضع التى يمشون فيها الى غير ذلك
من منافعهم (ولا يزاد) فى ليلة الختم شئ زائد على ما فعل فى أول الشهر لانه لم
يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة
وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع لما فيها من اضاعة

المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شئ من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلاء (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يعلقون ختمة عند الموضع الذى يختمون فيه (وتختلف) أحوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة (وبعضهم) من غيرها لكنها تكون ملونة أيضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (وبعضهم) يجعل الماء الذى فى القناديل ملونا (وبعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة أو الملونة أو هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيف فما زادت فضيلة الليالى والايام قابلوها بضدها أسأل الله تعالى العافية منه (وبعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها فى غيره (ومنهم) من يفعل ما هو أشد مما ذكر وهو أن من كان عنده فرح فى طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها فى بيته للسماع والرقص وما شاكل ذلك ثم أفضى ما ذكر من الوقود الى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء فى موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه أيضا كثرة اللغط فى المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذ أنه يكون الامام فى الصلاة وكثير من الناس يتحدثون ويخوضون فى الاشياء التى ينزه المسجد عن بعضها فى غير رمضان فكيف بها فى شهر رمضان العظيم فكيف بها فى ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله وما شاكله جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (وأما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف أحد فى منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس فى كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم

وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقت سيما فى المسجد الجامع سيما
فى مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء
عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق اذ انهم لو فعلوا ذلك
وهم يعتقدون انه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن
زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام واذا تقرر
هذا عندهم فلا يتوب أحد من اظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة
من هذا الامر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع بجهده فان عدم الاستطاعة
فلا يصلى فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون
حجة ان كان قدوة للقوم بان ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول قد كان
سيدى فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضى به وهذا
والحالة هذه زيادة فى الدين وهى مسئلة معضلة اذ ان اثم ذلك كله على من
فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضى به أو أعان عليه بشئ ما أو قدر على تغييره
بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم فى كل شئ أحدث فى الدين فليجتنب هذا
بجهده والله الموفق (ولا حجة) لمن يقول انه مضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة
الجماعة اذ أن الفضيلة موجودة فى غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر
ويتأكد الترك فى حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت أمرا
ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فتنح عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة
والسلام لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق اذا شهده أو علمه نقله
ابن يونس فى كتابه (فان فرض) انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره
فليصل فى بيته فهو أفضل له وأقرب الى رضى ربه سيما فى هذا الزمان اذ
أن أقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع
ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة أهلها والاتباع لهم اذ أن هذا الفن قد
اندرس الا عند من وفقه الله وقليل ما هم (وينبغى له) أن يتجنب فى نفسه
وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من احضارهم الكيزان وغيرها من أوانى
الماء فى المسجد حين الختم فاذا ختم القارى شربوا من ذلك الماء ويرجعون به
الى بيوتهم فيسقونه لاهليهم ومن شاءوا على سبيل التبرك وهذه بدعة
لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم (وهذا) الذى ذكر لا يختص بليلة

الختم بل هو عام في كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه في ليالي الاعياد والتهاليل والمآتم وليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب وآخر أربعاء من السنة التي اتخذوها لزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كأنه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيئا مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته فذا في بيته أفضل له من الصلاة في المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغي له) أن يجتنب ما أحدثوه من البدع في تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم في ليلة كذا وفلان في ليلة كذا ويبعث ذلك بعضهم الى بعض ويقولون [illegible] حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك في نفسه وينهى غيره عنه اذ أنه لم يكن من فعل من مضى أعني في مواعدتهم في الختم في شهر رمضان (وأما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه في أي وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز لفعل أنس رضي الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك في شهر رمضان لوجهين (أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثاني) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك في بيوتهم في طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية في هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيك مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

(فصل في ذكر آداب المؤدب) اعلم رحمنا الله واياك ان ما تقدم ذكره من الآداب في حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون حامله من أكثر الناس في التعظيم لشعائره والمشي على سنن من تقدمه في تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به

عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اهـ ومعلوم على ما تقدم ان أصل الخير
انما هو القرآن فهو أعلى أعمال الآخرة فيحفظ نفسه من أن يجلس لسبب
الاستجلاب للرزق لأنه ان فعل ذلك فقد أراد به عرضا من الدنيا فيدخل
تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك عنه اذ أن استجلاب
الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو
تحصيل حاصل اذ أن الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا
عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان ان الترك انما يكون بالانتقال عما هو فيه
بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن ببذل النية يستقيم الحال ان
شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) بتوفيق الله تعالى أن ينوى بجلوسه من خلفه
الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة
والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اهـ والمراد بالخير هنا خير الآخرة أى ان
اعمال الآخرة كلها هذا هو مقدمها اذ أن منه انفتح سلوك طريق الآخرة وهو
الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ
والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من أبواب
التوفيق يدخله المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف
لا وهو حامل كلام الله الذى ليس كمثله شئ (وقد) قال على بن أبي طالب
رضى الله عنه لو شئت ان أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت اهـ
(وهذا منه) رضى الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) الأن يكون تلفظه
بالسبعين كناية منه عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين
على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ
فقال عليه الصلاة والسلام والله لأزيدن على السبعين مالم أنه فنزلت سواء
عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (والوجه الثانى) أن
يكون ذلك منه على وجه التقريب والا فالامر يجل عن أن يأخذه حصر
أوحد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أنّ ما فى الارض من شجرة
أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت
الى هذا وجدته مشاهدا مرئيا بالعلم القطعي اذ أن البحار كلها على عظمها

وكثرتها ومددهــا الدائم مفتقرة الى من عــدّها الان كل نقطة منها محتاجة
لكتب ما يجري عليها من الاحكام من حين بروزهـا من العدم الى الوجود
ومن أي موضع برزت ومن أي شيء أصلها وعلى أي موضع تسلك ومن ينتفع
بها وما يطرأ عليهـا من الأعراض وفي اي موضع تستقر فهي لا تقوم بنفسها
لما تحتـاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شيء تكتب به وهذا معنى كلام
سيدي أبي محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فيعتبر ويعتبر
(وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد في الاثر اخبارا
عن رب العزة عزوجل حيث يقول يادنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من
خدمك [illegible] له (فلذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية يحتاج اهل بها
ولكي يصح صلاة المسلمين بتعليمه أم القرآن الى غير ذلك من نفعه العام
للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة
والسلام من بدأ بحظه من دنياه فاته حظه من آخرته ولم ينل من دنياه
الا ما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من
دنياه ما قسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجيء
راغمة لطلاب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق في
تنزهه وتوجهه وعالم صادق في علمه وطالب علم صادق في تعلمه وعارف
ومبتدي ومنتهي أتتهم الدنيا وهي راغمة مع فرارهم لما هم بصدده (كل
ذلك) أصله ما جلس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغي له) أن
يعظم ما أكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وان لا يشينه بشين
المخالفة والاعتقاد الردي والدسائس والنزغات التي تطرأ على بعض الناس
في ذلك وهي كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة
الثقة بمعونته والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين
الذين لا أرب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذي عليه
يعولون واليه يلجؤن وعليه يتوكلون اذ أنه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده
ولا يخيب من سأله وهو أكرم وأجل من أن لا يعطي حتى يسئل فكيف بمن
نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل ما ذكر عادت بركة
ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى أو كلاهما (وقد) ذكر الشيخ أبو محمد

الله القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب التفسير له حديثا قال روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض
المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم
فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن
الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اهـ
(واذا) كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم
وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطالبا بذلك كله لانه الاصل
كما تقدم وغيره فرع عنه (وانما) وقع تأخير ذكره الى هنا وان كان هو الاصل
كما تقدم لما مضى أول الكتاب ان العالم نفعه عام لاجل ما احتوى عليه من
مصلحة الدين واقامة منار الاسلام وفتاويه التي يعبد الله تعالى بها ولا يعصي
وقد تقدم في العالم ان نيته تكون لانهار دين الله تعالى ومعرفة أحكامه
اللازمة له ولغيره ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاءه شيء من ذلك
أخذه على سبيل انه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده
وكذلك ما هنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية
ويكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فابن الفقير
وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه
ومن منعه اذ بهذا يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من أعطاه
أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر
عليه المعلوم فتسخط وتضجر دل ذلك على فساد نيته فكذلك ما هنا بل
يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله
تعالى بخلاف من أعطاه فانه قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه
معها والسلامة أولى ما يغتنم المرء فيغتنمها العاقل (فاذا) جلس لما ذكر فلا
ينبغي له أن يبوح بنيته لاحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يفعل ذلك
سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم
ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية لا يجهر بها في الصلاة فان جهر بها فقولان
هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم
لا يسألون أين يضعونه فكيف بقارئ القرآن فكيف بمن انقطع لتعليمه

الله

لله سبحانه وتعالى وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدّم
(فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم في الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله لله
عز وجل فقل من يعطيه شيئا فيجيء من ذلك ما كان سيدي أبو محمد رحمه الله
تعالى يقوله اذا وجد الفقير في هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد
فهو من أكبر الكرامات وكان يعلل ذلك و يقول ان الناس قد انقسموا
في هذا الزمان على قسمين في الغالب فمنهم معتقد ومنهم مسيء الظن فالمسيء
الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيعدّ
من الملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فما هنالك منه نفع أصلا فاذا وجد
الفقير القوت في زمان من هذا حاله كان ذلك كرامة في حقه اذ أن الكرامة
انما هي خرق العادة وما جرى لهذا فهو خرق عادة والمؤدّب مثله سواء بسواء
فاذا اشعروا منه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيئا لعدم
مطالبته اياهم هذا حالهم في أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس
ما تقدّم من أحوال السلف رضي الله عنهم (ألا ترى) الى ما حكي عن الشيخ أبي
محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد لله
رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فأعطاه مائة دينار يعطيها للفقيه
فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له ياسيدي وأي شيء عملته
حتى تقابلني بهذا العطاء فقال له والله لا اقرأ عليك ابني شيئا بعد اليوم فقال
له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا واستصغرت
ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا الحال وهو
استعظام الدنيا في قلوبهم واستصغار ما كان من أمر الآخرة فاذا تقرر ذلك فلا
يظهر المؤدّب في هذا الزمان انه جالس يقرئ لله عز وجل بل يظهر أنه جالس
للعلوم ونيته لله تعالى كما تقدّم

(فصل في ذكر أسباب أولياء الصبيان) وينبغي له انه اذا كان عنده
أحد من أولاد من يتسبب بسبب حرام على أنواعه من مكس أو ظلم أو
غيرهما فلا يأخذ مما أتى به الصبي من تلك الجهة شيئا اللهم الا أن يكون
يأتيه من غير تلك الجهات المحذرة منها من جانب الشرع فلا بأس به مثل أن
يأتيه بشيء من جهة أمه أو جدّته أو غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن

يشتهر ما في اقرانه للولد الذي يكون متصفا وليه بما ذكر أن لا يوالي والد الصبي باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا جواب اذ أنه يجب عليه التغيير عليه وعلى أمثاله بشروطه فاذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق في حقه من التغيير الا الهجران له واذا سلم عليه فقد خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت) بعض من له تحرز عنده ولد له والد وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ من الصبي شيئا الا من جهة أمه أو جدته أو غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا وليحذر من هذا جهده فانه من باب أكل أموال الناس بالباطل اذ أنهم يأخذونه من أربابه بالظلم والمصادرة والقهر وهو يأخذه على ظاهر انه حلال في زعمه وهذا أعظم في التحريم من الاول وان كان كله حراما وهذا الذي ذكر في نيته على سبيل الأولى والأرجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله أخرجه البخاري فهذا نص صريح على انه أحل شئ يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل) سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك يعلم الناس الخير فيعطى قيل له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به مازال المعلمون عندنا بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه أولى لمن أمكنه ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد في الدنيا خلو القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه حال حامل القرآن اذ أنه أكمل الاحوال فينبغي أن يكون حاله أكمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوف الى المعلوم فالاقتداء بالكرام في الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذي أنعم عليه بذلك أن يتمم نعمته بالاتباع في الباطن ومن نزل ساحة الكرام فهو محمول نسأل الله تعالى الكريم أن يعاملنا بفضله ويحمل عنا عنه لا رب سواه

(فصل في صفة توفيته بما نواه) وينبغي له انه اذا نوى ما ذكر فليجتهد في التعليم أكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقرئ بغير

عوض

عوض تمحض لله تعالى فكان أرجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل ضد هذا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والاتركه محتجا بأن ذمته برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر أنه قد أوقع نفسه فى أمر خطر لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك كذلك فيكون حرصه على العمل الذى نواه لله تعالى أن يوفى به أكثر مما يأخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل من يصلى بالناس بغير عوض وآخر يصلى بعوض فيكون الذى يصلى بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة من الذى يصلى بالعوض بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفية بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت تعليمه لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الآية الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام فى جميع أفعال البر التى يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك جهده والله المسئول فى التجاوز عن التقصير عنه (وقد) يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون بأجرة معلومة وهو أحل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وقد تقدم اهـ واذا أخذ العوض فليحترز فى نفسه أن يزيد على ذلك شيئا من جهة الصبى من غير أن يأذن وليه فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه وأكله لذلك سحت لان الصبى محجور عليه وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال

(فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الاداب) وينبغى له بل يتعين عليه أن لا يترك أحدا من الصبيان يأتى الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس ليشترى شيئا فى المكتب لان من هذا الباب تتلف أحوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام من ضار بمسلم أضر الله تعالى به انتهى لان ولد الفقير يرجع الى بيته منكسرا خاطره متشوشا فى نفسه غير راض بنفقة والديه عليه لما يرى من نفقة من له اتساع فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة فى

أن تحصر وفيما أشرنا اليه كفاية (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من الباعة يقف على المكتب ليبيع للصبيان اذ فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اشترى منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه اذ ما هو فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل بأكبر الطاعات لله تعالى اللهم الا أن يتعين عليه فرض أو أمر هو أهم في الوقت مما هو فيه فنعم وكثير من المؤدبين تجدهم بضد هذا الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون ما هم فيه ويلهون عنه ويلعبون فليحذر من هذا أن يقع منه (وينبغي له) ان يكون موضع الكتاب بالسوق ان امكن ذلك فان تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين او في الدكاكين ويكره ان يكون بموضع ليس بمسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق او على الطريق أو في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة وهي اظهار الشعائر لانه أجلها (وكذلك) يحذر أن يتخذ الكتاب في المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا) ينبغي أن يكون المكتب في موضع يخفى عن أعين المارين في الطريق اذ في ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) ان الصبيان يكونون عنده على حد واحد فابن الفقير وابن الغني سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك دكة تدخل له الكتاب لان في ذلك ترفيها لابن الغني على غيره وانكسارا لخاطر الفقير واليتيم والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون بموضع من العدل والتواضع والخيرة تكون بداية أمر الصبيان على المنهج الأقوم والطريق الأرشد (وينبغي) أن يكون الموضع الذي يتصرف فيه الصبيان فيه لضرورة البشرية معلوما اما أن يكون وقفا واما أن يكون ملكا أباحه صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا أو عدم الأمن فكل واحد يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتي الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع وقد يبطئون في الرجوع الى المكتب وهو الغالب على حالهم (وينبغي له) اذا احتاج الصبي الى غذائه أن يتركه يمضي الى بيته لغذائه ثم يعود لانه ستر على الفقير وفيه أيضا تعليم الأدب

للصبيان فى حال صغرهم لان الاكل ينبغى أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا انشأ الصبى على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس فى هذا الزمان من الاكل على الطريق وفى الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم او لئيم وقد وقع النهى عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغى أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا أكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع مالا ينبغى منهم (وينبغى له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخلى نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له فى بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله فى الغالب سيما فى هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغى) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء مرة يعطى صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو فى نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا بأجرة أو بغيرها (وينبغى له) أن يمتثل السنة فى الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم فى سبع سنين لانه زمن يؤمر الولى أن يكلف الصبى بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبى فى ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتى به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فليرسل معه وليه من يثق به فى ذهابه الى بيته لضرورته وغدائه ومن يأتى به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذى يتولى ذلك من المكتب والغالب فى هذا الزمان انهم يدخلون أولادهم المكتب فى حال الصغر بحيث انهم يحتاجون الى من يربيهم

ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون سنه بحيث
لا يقدر أن يمسك ضرورة نفسه بل يفعل ذلك فى المكتب ويلوث به ثيابه
ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل هؤلاء اذ لا فائدة فى اقرائه لهم الا وجود
التعب غالبا وتلويث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعنى
بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة فى ذلك السن غالبا الا ترى أن
الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب فى حال صغرهم لكى
يستريحوا من تعبهم لا لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن
قربة من هذا حاله وفى اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغى) أن يعلمهم
آداب الدين كما يعلمهم القرآن فمن ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا كل
ماهم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية المؤذن
والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما فى هذا
الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا وكذلك الوضوء والركوع
بعده والصلاة وتوابعها ويأخذ لهم فى ذلك قليلا قليلا ولو مسئلة واحدة فى كل
يوم أو يومين (وليحذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان بغير أسباب الصلاة
بل يتركون كل ماهم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى جماعة وقد تقدم انهم
فى قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع ملك أبيح لهم أو الى بيوتهم
فكذلك ههنا سواء بسواء ويصلون جميعا فى المسجد الذى يصلى فيه مؤدبهم
فان خاف عليهم من اللعب أو العبث فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون
أكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة (وينبغى له) أن يعودهم الصلاة فى المسجد
مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة افذاذا لان
المسئلة مختلف فيها أعنى شهود الجماعة هل هى فرض أو سنة فذهب جماعة
من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا فى جماعة (فاذا) فرغوا من الصلاة
وتوابعها رجعوا لما بقى عليهم من الوظائف فى المكتب (وينبغى) أن يكون
وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبها معلوما ووقت عرضها معلوما
وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام ومن تخلف عن
ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به فرب صبى يكفيه عبوسة
وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد وآخر لا ينزجر

الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) ان الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فما سواها أحرى فينبغى له أن يأخذهم بالرفق مهما أمكنه اذ انه لا يجب ضربهم فى هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبى فى سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيئا بذلك مضت عادة السلف رضى الله عنهم فان اضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لابد أن تكون الآلة التى يضرب بها دون الآلة الشرعية التى تقام بها الحدود وهى ما ذكره مالك رحمه الله تعالى فى موطائه عن زيد بن أسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتى بسوط مكسور فقال فوق هذا فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فأتى بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما يطرأ على الصبى ان زاد على ذلك (وليحذر) الحذر الكلى من فعل بعض المؤدبين فى هذا الزمان وهو أنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى حمل الكتاب العزيز اذ أن حاله كما ورد فى الحديث من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغى له) أن يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتسلطون على الحفظ والفهم فهو أكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغى له) بل يجب عليه أن يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشى فيه بالاقدام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذى يجتمع من المسح فيحفر له فى مكان طاهر مصان عن أن يطأه قدم ويجعل فيه أو يلقى فى البحر أو البئر أو يجعل فى اناء طاهر لكى يستشفى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذى يغسل به الخرق بعد المسح يجعل فى موضع بحيث لا يمتهن ويشترط فى الخرق التى يمسح بها الالواح أن تكون طاهرة وأن يكون الماء الذى تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل أن يكون الماء غير مستعمل وان أمكنه أن يكون حلوا فهو أولى

لان من الناس من يشربه للاستشفاء به فان كان أجاجا امتنع عليه ذلك أو
تنقص بشربه كما مر في الآنية اذا غسلت فيها الايدي بعد الاكل انه لا يبصق
فيها ولا يغسل فيها بأشنان ولا غيره خيفة أن يشربه من يتبرك به كما تقدم ففي
الماء الذي تمسح به الالواح من باب أولى وأحرى (ويتعين عليه) أن يمنع
الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمحون الالواح أو بعضها ببصاقهم
وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان والموضع موضع ترفيع
وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينزه (وينبغي له) أن لا يسامح الصبيان في دق
المسامير في المكتب ان كان وقفا وان كان ملكا فلا يجوز الا باذن صاحبه
ولا ضرورة تدعو الى ذلك اذ انهم مأمورون أن يأكلوا في بيوتهم لا في المكتب
كما تقدم فان كان بعضهم بيته بعيدا بحيث يشق عليه الذهاب والرجوع
فيكلفه المؤدب أن يمضي الى بيت أحد أقاربه من والديه أو معارفهما فان
لم يكن له ذلك فليجعل وقت غذائه حين ينصرف الصبيان الى غذائهم وقبل
أن يرجعوا (وقد تقدم) أن المؤدب يحملهم على اتباع السنة ويعلمهم أحكام
دينهم عليهم كما يعلمهم القرآن (ومن ذلك) أن لا يعودهم القراءة في جماعة لان
ذلك ليس من فعل السلف رضي الله عنهم كما تقدم لانهم اذا تعودوا ذلك في
صغرهم يخاف عليهم أن يفعلوه في كبرهم وأيضا فان حفظهم لا يتأتى بذلك
اذ أن من لم يحفظ منهم لا يعلم حاله اذا كانوا على صوت واحد في الغالب واتباع
السلف رضي الله عنهم أولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فيتعين تركه
(وينبغي له) أن لا يستقضي أحدا من الصبيان فيما يحتاج اليه الا أن
يستأذن أباه في ذلك ويأذن له عن طيب نفس منه ولا يستقضي اليتيم منهم
في حاجة بكل حال (وليحذر) أن يرسل الى بيته أحدا من الصبيان البالغين
أو المراهقين فان ذلك ذريعة الى وقوع ما لا ينبغي أو الى سوء الظن بأهله
(وبالجملة) فان ذلك لا يجوز لان فيه خلوة الاجنبي بالمرأة الاجنبية وهو محرم
فان سلموا منه فلا يخلو من الوقيعة في أعراضهم في هذا الزمان غالبا وما ذكر
من استقضاء حوائجه لبعض الصبيان فهو من باب الجواز والا فالذي ينبغي
أن لا يستقضي أحدا منهم في حاجة أصلا لانه قد دخل على تعليمهم لله تعالى
كما تقدم (لكن) قد تقدم أيضا انه اذا فعل ذلك وجاءه شئ أخذه على

سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن بشرط أن تكون نفسه غير متشوفة لشيء من ذلك لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد تقدم) ذكر المكان الذي يقضي الصبيان فيه ضرورة البشرية فليحذر أن يتركهم يفعلون ذلك في غيرها مثل ما يفعل بعضهم في هذا الزمان من أنهم يقضون حاجتهم في جدران بيوت الناس وطرقاتهم فينجسون ذلك عليهم فمن جلس الى تلك الجدران تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك الماشي قد يصيبه منها الأذى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن الثلاث فهذا من آكدها فتلحق الصبيان اللعنة وهذا كله في ذمة من سكت لهم ممن له عليهم أمر ونهي فينهاهم عن ذلك جهده (وينبغي له) أن يكون على أكمل الحالات ومن ذلك أنه يكون متزوجا لانه وان كان صالحا في نفسه فالغالب اسراع سوء الظن في هذا الزمان بمن كان غير متأهل اذ لا فرق بين الصبيان والبنات في الظاهر الا عند من يتقي الله تعالى فيسري اليه القيل والقال فاذا كان متأهلا انسد باب الكلام والوقيعة فيه (وينبغي له) أن لا يضحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضي ذلك الى الوقوع في عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ أن من شأن المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدى بهم فليهتد بهديهم (وقد تقدم) ان الصبيان يمضون الى بيوتهم لقضاء ضرورة البشرية ولغذائهم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر مما يفعله بعض عوام المؤدبين في هذا الزمان وهو أن الصبيان الذين عنده اذا أتى كل واحد منهم بغذائه أو بعضهم فيتسلم ذلك منهم وبعضهم يخلط جميع ذلك ثم يعطي منه من يخطر له فتجد بعض الصبيان يطلب منه شيئا من غذائه فيحرمه ويوفر ذلك لنفسه وان يختار وهذا حرام سحت وذلك جرحة في حقه ويتعين اقامته من المكتب الا أن يتوب بشرط أن تعلم حقيقة أمره في ذلك (وفيه) من المحذورات عدة (منها) انه يأخذ غذاء هذا فيعطيه لغيره فيدخل الحلال في غذاء الناس لانه قد يكون والد بعضهم صالحا متورعا في كسبه وآخر مكاسا ظالما وقد يكون غذاء بعضهم أحسن من غذاء

الآخر في الطعام والصبي محجور عليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما ان كان ليتيم فلا يجوز ابداله ولا يجوز لوليه أن يأذن في مثل ذلك (وبعض) المؤدبين يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو أنه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم ويطعم من يختاره ومن يجتمع به ويرسل منها الى بيته ما يختار وهذا نوع من الخلسة (ولو) فرضنا ان الصبيان بقي لهم غذاؤهم ولم يسعه غيرهم فأكلوا منه ما شاءوا وبقيت منه بقية وتركوها في المكتب رغبة عنها لجاز للمؤدب أن يأخذها وينتفع بها وينبغي له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك ان كانوا جماعة أو واحدا ان انفرد هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا أن يكون الصبي لم يأكل شيئا من غذائه وتركه كله في المكتب فلا يجوز للمؤدب أن يقدم على أخذه الا باعلام والد الصبي والا فلا بخلاف ما تقدم لانها فضلات عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل واحد منهم شيئا بقدر الحاجة ويكون ذلك بينهم بالسوية فيشتري به ماعون الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا لان ذلك مما يتكرر في الغالب (واذا) كان الامر كذلك فينبغي بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم الا أن يأذن في ذلك آباؤهم فان كان فيهم يتيم فلا يأخذ منه شيئا لثمن الماء ولا غيره والحالة هذه ويصير من جملة من أذن له في الشرب ويتحقق ذلك في حق مؤدبهم (وقد تقدم) ان سكنى دور القرآن تمنع واذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم ان وفق له

(فصل في انصراف الصبيان من المكتب) وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين في الجمعة لا بأس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فاذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا لباقيها (وينبغي له) أن لا يدع أحدا عنده من الصبيان ممن فيه رائحة ما من الخصال الذميمة اذ أن ذلك سبيل للوقيعة في حق بعض من في المكتب عنده وقد يفضي ذلك الى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغي فقد ينسب الى المؤدب ما لا يليق بمنصبه وفيه مفسدة أخرى وهو أنه قد يكون سببا الى

عدم مجيء الصبيان اليه أو قلتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (وينبغي له) أن يتجنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا وأشباهه (وينبغي) أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيئا مما يأتي به اليه من الأطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين واتاوبه بل يرده عليه ويزجر فاعله ويبين له ولغيره ان ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) في هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطلب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفهم في مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التي يعملونها في أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغي له) أن يصرف الصبيان لغدائهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه في بيوتهم وليحذر أن يبيح لهم فعل ذلك في المكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بني المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بني المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن في بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقتا ما في الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون في المكتب (وينبغي له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو في المكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه وعلم صدقه في ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره في الغالب (وينبغي له) ان كان له ولد صغير أن لا يترك أحدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان أو أنثى والمنع في الانثى أشد

ولا يستأذن في مثل هذا الآباء بخلاف ما تقدم في استقضائهم حوائجه فانه يستأذن الآباء (وينبغي له) أن لا يغيب عن المكتب أصلا ما دام الصبيان فيه اذ أنهم لا عقل لهم يمنعهم عما يخطر لهم فعله فلا بد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (ألا ترى) ان الراعي اذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها في الغالب وربما تلف بعضها وما ذاك الا لعدم العقل عندها (ولاجل ذلك) ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد تقدم (ولا بأس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا أن لا يجد من يقوم بها عنه مثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يأمره أن لا يضرب أحدا منهم في غيبته ولا ينهره الا أنه من فعل منهم شيئا كتب اسمه حتى يأتي المؤدب فيعلمه به فيرى فيه رأيه (وينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق الاستئذانات للافراح فيكتب فيها بخطه وقوله الى الجناب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من التزكية وما شاكلها والشعر الذي ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب الحروز لاطفال المسلمين ولكبارهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل والرقى بالكلام الطيب (وليحذر) أن يكتب شيئا بالعبرانية فان ذلك لا يجوز ولو قيل ان فيه من المنافع ما لا يحصى فانه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال وما يدريك لعله كفر (وينبغي) لآباء الصبيان أن يتخيروا لاولادهم أفضل ما يمكنهم في وقتهم ذلك من المؤدبين وان كان موضعا بعيدا فيختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى فان كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فان زاد عليه بكبر السن فهو أجل فان زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب الى غير ذلك اذ أنه كلما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تجملا ورفعة واذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكر والله تعالى أعلم (وينبغي للمؤدب) أن يجتنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم في الاسواق والطرق لانه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد جملة

منها

(منها) وطء الاعقاب وهو منهى عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضى الله
عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان
السوق موضع اللغط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواضع
(ومنها) ان القرآن اذا تلى تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن
في الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغي والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه
(ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارى غالبا من أن يقرأ وهو
في موضع النجاسة والاماكن التى تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ
القارى ينبغى لقارئه ولسامعه أن يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر في
الاسواق والطرق غالبا وله أن يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفي
الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة أيضا ولا فرق فيما ذكر بين
أن يكون راكبا أو ماشيا اذ المعنى فيهما واحد (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثه
بعض العوام من المؤذنين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب
المكتب أو فوق سطحه أو فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان
انما شرع في الاماكن التى يهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهى المساجد
والمكتب ليس بمسجد حتى يأتى الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن في
بيته أو بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادى الناس بلسانه
حى على الصلاة حى على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح
ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه
من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتى الى موضع الاذان فلا يجد
السبيل الى دخول المكان الذى سمع فيه الاذان (ومنها) انه كلفهم المشى
بأذانه الى أن أتوا اسمعا القريب الذى هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف
لو أذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه في برية فمن أتى اليه صلى معه (وهذا)
القسم الاخير من باب المندوب (الماورد) في الحديث عن أبى سعيد الخدرى
انه قال لبعض من اعتنى به يا بنى انى أراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في
غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى
صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة قال أبو سعيد سمعته

من رسول الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب البدعة والوقوع فى النهى للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) أن لا يشتم من استحق الادب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك أنه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبى شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما حصل لبعضهم فى ذلك الوقت قذف يجب عليه فيه الحد سيما من كان منهم فى خلقه حدة أو فيه غلظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شئ مما ذكر أن لا يؤدب الصبى فى وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعى على ما تقدم ذكره لانه ان أدبه فى حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان وعدا علماؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحقنة ببول أو غيره ولا فرق بين القاضى والمؤدب الا أن القاضى يحكم بين الكبار وهذا يحكم بين الصغار وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على الصبى من غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه فى كل أحواله وقد تقدم انه ينبغى للآباء أن ينظروا لاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه رضاع ثان للصبى بعد رضاع الام (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر أن يفعل ما أحدثه بعض عوام المسلمين باولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب الذى يقرءون فيه كتاب ربهم عز وجل ويتعلمون فيه شريعة نبيهم عليه الصلاة والسلام ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب وهذا رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع يغير الطباع فهذا أمر شنيع قبيح من الفعل لان الولد لم يحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم يعرف أقوال العلماء وقد تسبق اليه الدسائس من النصرانى الذى يقرأ عليه الحساب أو من الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصرانى مع ذلك يؤدبه على ما يخطر له ويحبب اليه من كفره وطغيانه ويظهر أن ذلك من قبل تعليمه الحساب وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين والصبى فى هذا السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع أى شئ جعلته عليه طبع فيه فيخاف على

الولد

الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وبهتانا وموضع النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصراني او الى شيء ما من اعتقاده او استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لا تمكن زائغ القلب من أذنيك لاتدري مايعلقك من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتي اخوانه الذين استنصحهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبي لو علمت ان الله راض ان ألقي نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لا يعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضيل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى لاتخاصم أهل الاهواء فيلقوا في قلبك شيئا فيرديك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد أكثر الشغل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضي الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبي قد جمع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين أن يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخباياها فاذا ارتضع الصبي هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما تحصل عنده من الكتاب والسنة وصحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له أقرأ قبل هذا علما غير ما تعني فيه يعني من علم الكتاب

والسنة قال نعم قال وما هو قال العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يجيء منه
شيء قال ولم قال لانه قد سبق اليه تغزلات العرب وأشعارها وجبل على ذلك
فكيف يمكن صلاحه فلم يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة في
الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن
ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من تغزلات العرب وأشعارها فلو سبق
له العلم بالكتاب والسنة أو بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما
يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود
الاحتياج اليها في الشرع كما تقدم فما بالك بغيرها (وما) قدمناه في حق المؤدب
من انه اذا كان عنده علم من العربية فهو أحسن أعني انه يكون عالما
بالعوامل وهو لم رفع هذا ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لأن علوم
العربية على أربعة أقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثاني
علم اللغة والثالث علم الأدب والرابع علم البديع فالأول هو الذي يحتاج
اليه المؤدب وليس فيه كبير أمر في الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقي من المفاسد
التي في دخول الصبي لكتاب النصارى (فمن ذلك) ما في ظاهره من الذلة
للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد
المسلمين يأتون اليهم ليتعلموا هذه الفضيلة منهم رأوا أن لهم رفعة وسوددا
وفضيلة على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فبالله ويا للعجب كيف يترك
التعليم من المسلمين وهم متوافرون في هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية
ويؤتى الى نصراني عدو للدين وعدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين
وهذا من الخسف الباطني الذي لا يرتاب فيه ولا يشك (فان) قال قائل ان
النصارى في علم الحساب والطب أحذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من
المسلمين (فالجواب) ان هذا باطل لانه لو كان الصبي علم كل ما عند المسلمين من
العلم الذي يريد أن يتعلمه من النصراني حتى فاق المسلمين في ذلك ثم أتى بعد
ذلك الى النصراني لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شيء ما من الميل الى
ذلك فكيف والصبي بعد لم يعلم شيئا من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد
لله في المسلمين من يعرف أكثر من النصراني وأمثاله فلا حاجة تدعو الى التعليم
من أهل الكفر والضلال (وقد أقامهم) عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال

قد أغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضى الله عنه أن يتخذ أحد من أهل الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على نصرانى بالمعرفة والحذق فى الحساب مات النصرانى والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعملوا على أنفسكم واموالكم الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أو كما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى اشتراط امير المؤمنين رضى الله عنه الخشية فمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك فى حق أعداء الدين واغما هى جميع شيطانية ونفسانية وركوب للهوى وركون للعوائد الرديئة وترك للنظر الى امر الشريعة وما يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة اسأل الله السلامة عنه وفيه من المفاسد التى يأباها الاسلام ومن فيه عذوبة طبع وانقياد للشريعة المطهرة (وهى) أن المعلم النصرانى يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين دونه ويقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الا دم الحيض ليس الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات ويكتبون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب الخمر بحضرتهم وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها فى جملة من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها فى بعض الاحيان فان كان الولد بالغا أو مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه أو وليه أو من أشار عليه بذلك وقل أن يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما أمرهم المعلم بحمل الخمر اليه أو الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم فى حوائجه وضروراته (ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم من الانصراف فى وقت صلاة الظهر أو العصر أو هما معا وقد يتوه عليهم فى صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها أو يفوته بعضها (ومنها) ان الولد فى صوم رمضان يعيبون عليه فى ذلك ويضحكون منه ويستهزئون (ومنها) أنهم اذا كان صومهم يمنعون الماء أن يؤتى به الى ذلك الموضع فيبقى أولاد المسلمين بالعطش غالبا

(ومنها) أنه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع في اعتقادهم الباطل أو في بحث بعضهم مع بعض في أحوالهم فان أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربي بحضرته فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ما هم عليه فان وقع له شيء من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام في الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو أنه ما كان سبب اتيان الولد الى النصراني لتعليم الحساب الا حب الدنيا غالبا لا جرم أنهم عوقبوا على ذلك بنقيضه فوقعوا في الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) تربى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من أحد أمرين (أولاهما) وهو أشدهما أن يدخل عليه شيء في اعتقاده كما تقدم (والثاني) أن يقل اهتباله بامر دينه في حق نفسه وفي حق غيره فاي شيء وقع منه من المخالفات أو من غيرها فلا يكترث به ولا يندم في حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافي أخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد) قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى في كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه وأولى ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روي ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر اه (واذا) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذي يدخل كتاب النصارى أن ينتقش في قلبه ما هم عليه أو بعضه ولا أعدل بالسلامة شيئا نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح ما فيه وأهجنه وأوحشه أن الولد يتربى على تعظيم النصارى والقيام لهم الذي قد تقدم منعه في حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وسماع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبي من مكتبهم لبقي على عادتهم في التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الباطلة وانه اذا رأى معلمه الذي علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع

بعض

قوله اهتباله أي اهتمامه اه

بعض أو أكثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من صحبه فى مكتب معلمه النصرانى
من جماعة أهل دينه فيألف هذه العادة الذميمة المحظورة شرعا ولا يرضى
بهذه الاحوال من له عقل أو غيرة اسلامية أو التفات الى الشرع الشريف
(ألا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة الى غير
ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكرته تنبيه على ما عداه
(فصل فى تزويق الالواح) وأما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد
فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد
وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء
بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه أن يجتنب ما أحدثوه من المفاسد
فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فنها) تزيين المكتب فى الاعياد
والاصرافات بالحرير وغيره أرضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك
وقبحه فى زينة الاسواق للجمل أو غيره سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون
فيه صور مما لها روح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جلس المؤدّب اليه
فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب أولى موضع يتلى فيه كلام الله عز
وجل فمنعه فيه أوجب (ثم) بقيت أفعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى
قبيحة مستهجنة (فنها) انهم يجعلون لوح الاصرافة مكفتا بالفضة فى خرقة
من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث أجيز لهن ذلك (وأما)
تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (أحدهما) لما فيه من السرف
(والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لعن
المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له
الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير

ويحلونه بالقلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما فيجعلون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها وجها من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه اطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يحتفلون فيما يفعلون بين يديه (فمنهم) من يمشي بين يديه صبيان المكتب وينشدون في طريقه الى أن يوصلوه الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراء يقرؤن كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم في الجنائز (ثم) يضيفون اليه المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة في جنائزهم (ثم بعد) ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينسب الى العلم أو الخير والصلاح أو المجموع وقل ان تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك في الغالب فانا لله وانا اليه راجعون (ومنهم) من يعوض عما ذكر ما هو أشنع وأقبح وهو أن يضرب بين يديه بالطبل والبوق (وبعضهم) يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمي النفط (وبعضهم) يمشي بين يديه المغنية وما أشبهها مكشوفة على ما يعهد من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترفع عقيرتها على ما يعهد من فتنتها فكان الامر أولا للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا في قربة فعكسوه بما هو ضده اسأل الله تعالى السلامة بمنه ولو كلف أحدهم ان يتصدق ببعض ما صرفه فيما لا يجوز مما صنعه في الاصرافة اشق ذلك عليه في الغالب لانه محض طاعة لله تعالى سر ليس فيه لهو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو أن بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطى اللوح لام صاحب الاصرافة او لاخته أو لخالته او عمته او لجارته الى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن من الفضة ما أمكنها وذلك محرم لا يجوز لانه اجنبي عنهن فلا يجوز لهن ان يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغي) لوالد الصبي بل يتعين عليه أن يتجنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان

وهو أن الصبي اذا ذهب أكثر التعب به وقرب من ان يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوّت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى فى الصبي اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدّب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدّب الاول واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاوّل او الثانى قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الا بل هو عام فى كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبي فان المؤدّب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرؤا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصرانى كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصرانى ولا النصرانى عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة فى ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسقطة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد فى الحذاقة يعنى الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها و بين الاحضار فقال انه لا يقضى بالاحضار فى الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله فى أعياد المسلمين ومكروها فى أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله لانه من تعظيم الشرك

(فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه) قد تقدّم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له فى ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيئا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (ولتعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتى ان شاء الله تعالى فى ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات

وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لانه به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اه فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة في ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد من اثنين

(فصل في الغنيمة) والغنيمة يستحقها من اتصف بالعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وان يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وان تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

(فصل في حكم الاسارى) والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

(فصل في الاوصاف الموجبة للجزية) الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وان يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

(فصل في حكم المرتدين) دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه

أحدها أنهم لا يهادنون على الاقامة ببلادهم الثانى انهم لا يصالحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبى نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهى أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثانى اباحة دمائهم أسرى وممتنعين الثالث ان أموالهم تصير فيئا للمسلمين الرابع بطلان مناكحتهم

(فصل فى قتال الفئة الباغية) وهى التى تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار ويفارق قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجها (أحدها) انهم يقاتلون بنية ردعهم ولا يتعمد به قتلهم (الثانى) يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين (الثالث) لا يجهز على جريحهم (الرابع) لا تقتل أسراهم (الخامس) لا تسبى نساؤهم (السادس) لا تسبى ذراريهم (السابع) لا تغنم أموالهم (الثامن) لا يهادنون على الاقامة ببلادهم (التاسع) لا يصالحون على مال يقرون به على بدعتهم (العاشر) لا يستعان على قتالهم بمشرك (الحادى عشر) لا ينصب عليهم الرعادات (الثانى عشر) لا تحرق عليهم بيوتهم (الثالث عشر) لا تقطع أشجارهم

(فصل فى حكم المحاربين) قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية فى عامة أحوالهم الا فى خمسة أشياء يخالفونهم فيها (أحدها) انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين (الثانى) يجوز أن يتعمد فى الحرب قتلهم (الثالث) أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم (الرابع) انهم ضامنون لما استهلكوه من دم أو مال فى الحرب وغيره ولا يجوز ذلك فى الفئة الباغية بعد انجلاء الحرب (الخامس) ان ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا فعلى من أخذه من يده غرمه (فاذا) تحصل عنده معرفة ما ذكر فليكن عالما بأحكام صلاة الخوف فى الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله (وكذلك) يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفى أى وقت يلزمه وفى أى وقت يحرم عليه ومسائله وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة فى بيتها وكذلك ينبغى له أن يعرف احكام صلاة المسافر وفى أى وقت يقصر وفى أى وقت يتم وذلك كله موجود فى كتب الفقهاء متيسر على ألسنتهم لمن جاء اليهم مستفتيا

لان الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها أو بركن من أركانها كان تركه للجهاد أولى به بل أوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لانا نرى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ماذكرناه بأكثره وقل من تجده منهم يجتمع باحد من أهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقهاء كأنها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف أيضا لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها اذ يخرج المجاهد وهو عند نفسه انه في طاعة وهو يقع في مخالفات جملة لعدم التلبس بمعرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما يستعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وامنه مما يخاف سيما والمجاهد انما يجاهد لاجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه (وقد ورد) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له اتبكى والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف أمام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من أمر احدثتموه أنتم او أنا (فانظر) الى ما قرره عمر رضي الله عنه ما نظر في النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد وربه فأين هذا الحال الذي ذكر من حال أكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعني جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي انما هو زوال العقل أو استتاره ألا ترى ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له أن يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له أن يصلي لاي جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك

فكل هؤلاء صلاتهم انما هي بالايماء والاستان واغتفر في حقهم ومن شابههم
ترك فرائض الصلاة جملة في حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج
فلو ترك أحدهم مالزمه من الاتيان بالصلاة في الوقت على الصفة المذكورة
كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الا ان علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا
فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن
القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى انه
لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وما ذكر) في حق
المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه في كثير من
الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وانهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون
اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسال
عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها وأحكام الحج ومناسكه وان وجد
ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون في المناسك بأدعية معلومة على
قانون معروف فيعولون عليها ويتركون ذكر الاحكام في الغالب (وقد)
كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر
الله ويدعو بما تيسر بما الهم أو كما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من أمر الجهاد
فمن أهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها
والتعويل عليها وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيانها أتم بيان حين
جاءه الاعرابي فقال له يارسول الله ما القتال في سبيل الله فان احدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه الا انه كان قائما
فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اه (فقد) اتضح
وبان ما ينوي المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال وأما ما يقع له بعد تصحيح
نيته فغير ما نواه لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابي قال فان أحدنا يقاتل
غضبا ويقاتل حمية فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه
اذا نوى أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من
قتاله غضبا أو حمية أو ما أشبههما لان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته
وهواجس النفوس التي لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا
بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية فزع الصحابة رضى الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع فى نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذى نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان جاءه أصحابه يشكون له مما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أو جدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى فى دفعه وتعاظم الامر عندهم لا فى نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يقنع منهم فى الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا وينحتون حجارة ويجعلونها صورا يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما ان جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردّهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوّشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى ردّ كيده لهذا فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجز قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسليطه (فالحاصل) انه يقاتل أوّلا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدّم وأن يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد الصدفى المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبئة هي
تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدي القتال من الامام والناس
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى
ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدوّ والخديعة له من أسباب
الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره (ومن) الخدع في الحرب
ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من
المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوما النبي صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة قد
مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فاتى الرجل
أبا سفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول في بني
قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بني قريظة قال نحب أن
تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدور فقالوا
نحن في السبت فان انقضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن في مكر بني قريظة
فالقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها
وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت
هذه من الخدع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه)
عن ابن أبي أوفى قال سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على
الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم
وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغي أن يدعى به عند ملاقاة العدوّ اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ان بيتكم العدوّ فقولوا حم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن
عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض (ومنه)
عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني في ضعفائكم
فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه ابغوني في
ضعفائكم أي اطلبوني أي انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى انا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى
فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن
لهم ظهور فى الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى
آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقال والله مع الصابرين أى بالنصر
والمعونة أى مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على
الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبى بكر الصديق
رضى الله عنه انه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردّة احرص على
الموت توهب لك الحياة (ووجه) أبو مسلم قوما الى الغزو فقال الزموا قلوبكم
الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام
والزموا الطاعة فانها حصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس فى الحرب
علامة الظفر (ومنها) تقحم الحرب ينجح القلب (ومنها) الهزيمة تحل العزيمة
(ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الرأى السديد أجدى من الأيد
الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (وينبغى) المشورة فى القتال وفى كل
أمر يعرض (وفى الترمذى) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما رأيت أحدا
أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغى مشورة
من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توق مشورة الجاهل (ومنها)
لا تشاور من تميل به رغبته أو رهبته (أخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه بالاسناد
عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (ومنه) عن جابر بن
سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه
عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد بن أبى وقاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة قال البخارى رضى الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم أهل
العلم وقال القاضى عياض هم أهل السنة والجماعة اه كلامه بلفظه (ثم)
نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فن ذلك) ما تقدم من قوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله

الأيد بوزن السيد معناه القوى الشديداه

فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال الشيخ أبو محمد عبد الحميد) روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال جعل الله تعالى للمجاهدين في سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد في قدرته وعزمه على الجهاد في سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته فلي كل من عند الله تبارك وتعالى يجريا يسدي على أيدينا الخير ويضع عن أياديه الجزاء (وروى) في معنى الآية ان الانصار رضي الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه لا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (ومر) رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابي كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت وقد أثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن (وعن) الجوهري رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
اثمانها جنة ناهيك من نزل * دار بها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل ما لذة طابت مواردها * وحورها درر تزهو على القمر
الى لها ثمن دنيا بها محن * لم يصف مشربها يوما لمعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لاحد أمور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد

من الشهوات * أو العجز أو النسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات * وكل ذلك
محال على خالق الارض والسموات (فهذه الآية) اذا فهمت معانيها
وحضرت بخلو القلب وشروط الاستماع لتاليها لا تطلب في الترغيب في الجهاد
زيادة عليها * ولا انضمام شئ من المؤكدات اليها (وذكر) بسنده الى مالك بن
انس في موطائه عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر
عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه مؤكد بالقسم
اذ ان القتل في سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى
ووعده حق وتأكيده بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق افضله في قلوب
العباد (أخرج مسلم) في صحيحه باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا
بي وتصديقا برسولي فهو على ضامن ان أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى
مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده
ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم
وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت
خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون
سعة فيشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في
سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم
لا يخرجه الا جهادا في سبيلي وايمانا بي وتصديقا برسولي في هذا حض على
النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية أن تكون كلمة
الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو المتمسك بهما من أهل الايمان لان
الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الاسلام السفلى
فيقصد بالخروج من بيته هذا خاصا ويبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التي
وعدها في القرآن أو يجمع الامرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فاذا صح
قصده نال من الله ما وعده (وقوله) هو على ضامن قيل معناه مضمون
(وقوله) أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أو

يعني الواو ورواه أبو داود من أجر وغنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك في هذا تنبيه على النية (ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفي حديث) أبي أيوب خير مما طلعت عليه الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى) ان الدنيا لو ملكها مالك بأسرها وأنفقها لثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الدرجات) المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله الآية (وعن) أبي سعيد الخدري ان رجلا

قوله يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل اهـ

سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل فقال رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره (ومنه) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا في خير (فظهر) من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وان الاكتساب منه خير كسب اذا خمس الغنم ولم يستأثر على الغازين بشيء الا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر في السنن المأثورة والكتاب العزيز (والهيعة) الصوت المفزع (والطيران) هو اغاثة المستغيث بأنهى الممكن في الفعل المسرع (والشعف) رؤس الجبال (وفيه) حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لما فيه من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمد اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال (ومنه) عن أبي بكر بن عبد الله ابن قيس عن أبيه قال سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب حتى قتل (قال) القاضي عياض رحمه الله يعني ان الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم ان مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة وتدخل الجنة كما جاء في القرآن وصحيح الاخبار (ومن) صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال كان أنس عمي سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال غبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن أشهدني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس
يا أبا عمرو أين قال واهاً لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل
قال فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت
أخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية

الربيع بالتصغير

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما
بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه (قوله) واهاً لريح
الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة وتمن لا جرم المصدق أعطى سؤله
وبلغ مما تمنى مأموله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح انها توجد
من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشريف من الله تعالى لاهل السعاده وتكرمة
لمن كتبت له الشهاده (ومن) مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم
وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في
أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت
حيث يموت (ومن) مسند أبي داود عن أبي امامة ان رجلا قال يا رسول الله
ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله (ومن
الترمذي) عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق
نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف (ومنه) عن زيد بن خالد الجهني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا
ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا (ومنه) عن يزيد بن أبي مريم قال لحقني
عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في
سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار اه كلام المصنف رحمه الله
(قال الترمذي) في جامعه أبو عبس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد بن
أبي مريم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد
(ثم) قال المصنف رحمه الله ومنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم

(فصل في الرمي وفضيلته) أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله (وفي الترمذي) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله (ومن) مسند الترمذي عن أبي نجيح الاسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بني فلان قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم (ومن) صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم ارضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم ان يلهو بأسهمه (ومنه) عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا أي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي (وكتب عمر) رضي الله عنه لاهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الازر والاردية وألقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها حمامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

(فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها) أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها (وروى) الترمذي عن فضالة بن

قوله وتمعددوا قيل انه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل تقشف وغلظ في العيش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم كما هو في حديث عليكم باللبسة المعدية وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد اه مختار

عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر (أخرج مالك) فى موطائه وغيره عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الاسلام فهى على ذلك وزر (ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (ومنه) عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت الليلة فى الخيل (وروى) العتبى عن مالك انه سأله بعض أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والسكون فيه للحرس وسده أفضل أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطالب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والسكون فيها على ذلك (وروى) عن ابن عمر انه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لأن الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج) الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (ومن) الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة ومنه عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل قال

أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق في سبيل الله تعالى وأما الاثران فأثر في سبيل الله تعالى وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه انه قال لحرس ليلة أحب الي من صيام ألف يوم أصومها وأقوم لياليها في المسجد الحرام وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم (وعن) مالك بن أنس رحمه الله تعالى ينبغي لكل قوم أن يرابطوا في ناحيتهم وأن يسكروا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة فليذهب اليه (ومن) الحرس في الثغور حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستنين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذي اعيت الصحابة الحيلة في كسره (اخرج) النسائي عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر الى قصورها الحمر الآن من مكاني هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر قصر المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر باب صنعاء من مكاني الساعة

(فصل في فضل الشهادة) اخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل (ومنه) عن انس بن مالك رضي الله عنه قال ما من

احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار ابدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو تنفق فيه الكريمة وياسر فيه الشريك ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا ياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن (ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فاعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله افضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علىّ أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد

وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله تعالى ونصح لواليه (ومنه) عن أبي ادريس الخولاني أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (وفضيلة) الجهاد قد جاء فيها ما هو أكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه (وقد) ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يجتنبون فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل أن ينحصر أعني ما أحدث فيه من المفاسد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهي عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه أو يكره وما يجتنب فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى أنه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا أن يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لانه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ أن النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما (ثم) الاصل الذي يعول عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب أولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم (ألا ترى) الى ما حكي عن عبد الملك بن مروان لما أن خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد بن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه

فى المسجد يصلى فقال اذهبوا فقد نصرنا ساريته فى القبلة عندى خير من كذا وكذا ألف فارس فخضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام ابغونى فى ضعفائكم (ومع ذلك) فلا ينبغى أن يتمنى المرء لقاء العدو امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه البخارى وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام فى كل الاحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على ما مات عليه والجهاد مظنة الموت غالبا (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه ان روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل لهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الامر الى الله تعالى ما شاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألا ترى) الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عن نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بقوله وما رميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشريعة اما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى انه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه لملئها بالتراب وهذا شئ يعجز البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لابد فيها من امتثال الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) الى ما جاء فى نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة فى اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملؤوا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقى مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة
والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الداجن الذي ذبحه
والعجين الذي خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن
لعشرة في الاكل ثم عشرة من بعدهم ممن كان يعمل في الخندق حتى أكل الجميع
وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هي والعجين يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه
عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجمع أصحابه وباتخاذ
الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه
الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام
وهزم الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو
معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى
الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه
فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير
قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين
ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو أخباركم (فعلى المكلف) الامتثال في الحالين
أعني في امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون
اليه والنزول بساحة كرمه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده
عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يمتثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية
وتشريعا لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة المخبأة التي
ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم
ذكره فهو جار لامته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل
هذا كتكثير القليل وقلب الاعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما
أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ انه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بقيت هذه البركات في هذه الامة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره

(فصل) وينبغي للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغي) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا اصلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادي لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

(فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه)

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقي الكلام على الجهاد الاكبر وهو عام في كل الناس الا ان الفقير أحوج الناس اليه اذ انه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقي الكلام هنا على باقي أقسام الجهاد (فالجهاد

بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ومن ذلك) ما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحد وعليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد) زجر ذوى الامر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصى والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدى اليه الاجتهاد فى ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) أوّل ما يحتاج اليه فى مجاهدته الزهد فى الدنيا لان محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمى عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم فى السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعنى فقد عبدته بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وما ذاك قال بالزهد فى الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس فى خدرها اه (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد فى الدنيا ليس الا بل هو عام فى كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد فى فضول الكلام أفضل من الزهد فى غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضى الله عنهم لما أثنوا على رجل قدمات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله تعالى أقل فائدة فى السكوت تسبيح الاعضاء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد)

تقدّم في أول الكتاب أن الاعضاء تصبح في كل يوم تناشد اللسان أن يسلمها من آفاته لانه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الاعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضي الله عنه ما هذا قال هذا الذي أوردني الموارد فاذا كان الصديق رضي الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (واذا) كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كؤود لا يجاوزها الا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) ان الزهد في الرياسة أعظم من الزهد في كل ما تقدم ذكره لان النفس والمال ينفقان في الرياسة والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة انما هي في رتب الدنيا ليس الا بل هي عامة في رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شيء فهو عند الله لا شيء ومن كان عند نفسه لا شيء فهو عند ربه شيء ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من رأى انه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين ألا ترى أن الكلب مقطوع له بانه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمي من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك انه خير من الكلب (ولاجل) هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته انه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبح الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبح علي ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتي ان دخلت أنا الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فأنت خير مني تهمر بحامنه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى ان كانت نفسك في هذه الارض فسرك في سماء الدنيا فان نزلت الى الارض الثانية فسرك في السماء الثانية فان نزلت الى الارض الثالثة فسرك في السماء الثالثة فان نزلت الى الارض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك في السماء السادسة فان نزلت الى الارض

السابعة فسرك في السماء السابعة فان نزلت من الارض السابعة الى ظهر الثور الذي عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش اه (فقرر) رحمه الله انه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسموأمره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته محظا بالسلامة (وأعني) بالزهد في مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض قال الله تعالى يريدون وجهه وصاحب هذا الحال يرى نفسه انها ليست أهلا لشئ لاستحقاره نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هي فيه من الخطر (وقد روى) انه كان في بني اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعني من كان في وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعمل ما شاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بني اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فينا أحد مثله في العبادة والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربي ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم اني كنت أعبدك ولست عند نفسي أهلا لشئ والآن قد منت علي وجعلتني أهلا لنارك فوعزتك لا ازال هذا مقامي بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الي أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه (وقد) حكى ان ابراهيم بن أدهم رحمه الله ونفع به عذله بعض الناس في سكونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلني أربع لو فرغت منها لجلست اليكم وحدثتكم فقالوا له وما هي فقال افتكرت في نزول الملك لتصويري في الرحم ونداائه يارب اشقي أم سعيد فما أعرف كيف خروج جوابي الثانية اني افتكرت في نزول ملك الموت لقبض روحي وندائه يارب اقبضه على الاسلام أم على الكفر فما أعرف كيف خروج جوابي الثالثة اني افتكرت في قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما أعرف في أي الفريقين أمتاز الرابعة اني افتكرت في المنادي الذي ينادي حين حصول أهل

الجنة

الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها فما أعرف فى أى الدارين أكون اهـ (فمن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار او يأوى الى عمران وانما هى غفلات والمريد مبرأ من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر محزون يراهم هالكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا ولا الحمق ما عمرت وطول الامل فى الانسان من أكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كندب الاطلال بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره فى الاقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأى راحة تبقى لمن هذا حاله وفكرته (كما حكى) ان انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر لم تلتفت فقال أنظر ملك الموت من أى ناحية يأتينى (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فأعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذى فى طرف كسائك فأخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمر الانسان نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اهـ وها هو ظاهر بين فمن كان حاله

على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه (وقد) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى أعلم ان المؤمن طالما هو في دار التكاليف لا يزال في مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التي لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق يحيى بن رزق رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقير وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس في الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويصح هذا الامران ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصليا نائما او آخر نائما مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا او كاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الا أن من صدق أبصر وتحقق ذلك وينبغي للعالم بالله وبأمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد واشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا ابدا بالغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان ان في هذا البلاغا لقوم عابدين الله دعا الى دار السلام من خلقها وزينها وجلاها فخض أيها المريد الغمرات شوقا الى نعيمها وأجب الداعي الصادق الوفي الى ما وعد ودعا اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من لباسه وحجبه فارفضه واجعل الموت نصب عينك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك والمعرفة على ميمنتك واليقين

على مصيرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جندك والرضى وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصافقه بجميع ماذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

(فصل) ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى في كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان معزوبا لقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام ياداود اني قد آليت على نفسي أن لا أثيب عبدا من عبادي الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته والقاء كنفه بين يدي انه لا غنى له عني وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضعف الاشياء الى فاني أنا منذت بها عليك (واعلم) ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا فيما اختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطاء وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن في نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع في معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجؤوا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فما تقلبوا فيه من الامر فعلى الرضى والطمأنينة ومن سواهم من الخلق في مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فاورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطا من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضى بما صيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق في احوالهم وأورثهم الغنى والعز في قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجة الى

المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به
ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن
التشاغل بما أغناهم عنه فحفظهم من كل دنس وأمشاهم في طرقات الدنيا
طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الارض ولأصواتهم هنالك
دوي ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم اليه فهي ناظرة
اليه بتلك القلوب بغير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد
ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحببهم الى
ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضل على عبادي
أكتبك من أوليائي وأحبائي وأباهي بك حملة عرشي وأرفع الحجب بيني
وبينك فتنظر الي ببصر قلبك لا احجبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتي
(وذكر) عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال قل لاهل محبتي
يشتغلوا بي فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع الي
كان حقا علي أن أرفع الحجب [illegible] كأنهم ينظرون الي بأبصار قلوبهم فهم
يتنعمون بذكري قد أغناهم الله تعالى عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة
(فهؤلاء) قد طابت أنفاسهم وأصلحت جوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم
بالعبودية له والدخول في محبته وذلك [illegible] أدب الرجل نفسه في مطعمه
ومشربه وملبسه بما يدق صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه
ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة
فوقها حتى يستوي عنده الاخذ والترك فلا يأسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا
بما أتاهم للغنى الذي وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكر الله في العلم
به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ما قل من
الدنيا وكفى فهي لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم في أمورهم كلها لا الى
الاسباب نظرهم من غير تفريط في اقامة الاسباب الخالصة من أعمال البرهان
لبسوا خشنا أو لينا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كريها أو حلوا أو مرا
أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يتغير ذلك من قلوبهم عن الحال التي هي عليها من
ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشيء سواه
في قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يتم الناس مقاما

للشيء من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشد الناس
محافظة على جميع همومهم في صلاتهم وجميع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا
عرفوا بين يدي من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا وأو تلوا القرآن
أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوبت
عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطأهم
وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة
الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويخشاه وكيلا في أموره كلها
راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه
ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متهم ولا متململ فيما أحدث
الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك
راضيا لموضع الثقة بربه وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ورث
الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضى بما كفاه وحماه من
الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من
أولي الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم
يكن يعلمه فمن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه
لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة فأولئك
المحبوبون في أهل السموات المعروفون فيما خفي أمرهم على أهل الارض
وظهر أمرهم لاهل السموات لكلامهم هنالك دوي ولبكا [illegible]
له أبواب السماء من سرعة فتحها لاجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاها
ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة
أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا
الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فغابوا
من الناس وحجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا
به قلوبهم ولجؤوا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه
عقولهم بالمودة فأنزلوا انسانه مصيبة مشرفة عليهم فقبلهم واجتباهم
ونعمهم وشغلهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأسمعهم وبصرهم ونجاهم
عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل

السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صيانة لديه وطربا واشتياقا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره وألعقهم من لذاذة مناجاته وسقاهم بكاسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقده حتى ترجع الى موضع حنينها لا يحملون الاشياء له ولا يحتملون شيئا من غير أمره ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا جديدة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم في كل تارة دمعة ولذة وفي كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة مهتاجة طربة هائمة لذكر الله مستقلة به عما سواه فهم يستقون من كل تارة مشربا سائغا يذيقهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بعجائبه من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شربوا من كل نوع كأسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم فخضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا اتقدت الانوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنت القلوب بحنينها وضاقت عن احتمال ما هجم عليها هاج منهم ما لا يملكون امساكه فلما بلغ الامر منهم مداه وانتهى كل شئ منهم منتهاه أقبل عليهم ربهم جل جلاله بالطمأنينة والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم ما رجعت اليهم عقولهم ولا أثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذي هجم على أبصار قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما أمضهم

به من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا
عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء عباده
وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الانبياء وودائع علمه فبهم ينزل
الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانيهم يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون
لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتيهم
العون من الله تعالى في كل حال يرجون الخالق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد
أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا بأجزاهم وبلغوا بما بلغهم
فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا
في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق
ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت
المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم
وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم
المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الارض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال به والتفكه انما
يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم وودوا أنهم أكلوا من الدنيا
أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها الا كتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك
من قلوبهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من
المطعم فعند ذلك خفت عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم
في المطعم والملبس ما تهيأ أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذ ولا ترك
خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته
وحبه ما أذاب كل مودة لاهل أو ولد أو مال فان عرض من ذلك في قلوبهم
عارض فخاطر من غير ثبوت فيها وورثوا نور الهدى فأبصروا مواضع حيل
ابليس ومكره فكسروا عليه كيده وابسوا عليه أمره ودلوا الناس على
مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وامناؤه في بلاده ثم أسكن محبتهم في
ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم الى ملائكته (فاحيوا) قلوبكم

أيها المريدون بالذكر وأميتوها بالخشية ونوروها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه واقمعوها بالمناصحة (واعلموا) انكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفو الكم أعمالكم وتؤثرون ربكم وحده حتى يؤثركم ملكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريد الراحة فليعمل في منازل أهل محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوية وهي الدرجات السبع التي تتنقل فيها بنو آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والعوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وجدوا في آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول او نبي أو صديق أو بدل من الابدال الذين جعلهم الله أوتاد الارض فسقى بهم الغيث وانزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل في هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشئ منها شغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر

(فصل) قال رحمه الله فاول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك ماسواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا النية ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما

كسب وانه معه يراه و ينظره فى جميع أحواله فاذا علم ان ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته و بقائه وان أحب البقاء فى الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (ولينظر) المريد للمعرفة فى أسماء الله و يتدبرها حتى يعرفه بها و يدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهى الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمره به ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهى الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وهى مراقبته فى السر والعلانية (فاذا) دخل فى هذه الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا عمل (فاذا) وصل العبد الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضى ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهى الدرجة الرابعة (فاذا) صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض ومن فيها و بسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد فى عمله الا جدا واجتهادا فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقائه وهى الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم ويكون فى ذلك الحال أقوى من كل عامل فى الدنيا وارفع منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا نائما ولا قائما ولا آكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح فى الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا أنه اذا رآه الله على تلك الحال منّ عليه بالطمأنينة وهى الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون و يستغفرون لمن فى الارض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهى الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتفوه بشئ من حوائجه اذا

حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له بحسن
الظن والرجاء والتسويف وطول الامل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن
البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت
لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا
تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان
اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الامل وخوفه قلة الصبر ويقول له
لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد
عرفوك بالعمل فلا تبدله م التقصير ودع نفسك في السر ويعرض له بهذا ته
الاول من الشهوات التي كان يصدبها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى
وصار عمله علانية ورياء لا ينفعه شيء وعلامة ذلك أن يستحلي الكلام في الزهد
وما يزينه عند الناس ويحبب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده كله
بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على
الخير وكثرة الاعداء فاخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الاعمال
والاخلاص فيها وان قلت الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع
بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة
الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل
لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات (وينبغي)
للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فان
الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى فاذا
بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فأماته هان عليه الشيطان (واعلم) يا اخي
ان هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير الحقحقة
وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم تر شيئا أشد توليا من
القاري اذا تولى (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من
الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة ويكرهون النقصان (وينبغي)
للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق
ومن خالف الحق هلك (فأت) العلماء والزم أدبهم فان رأيتهم يقصرون في
بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذي البصيرة منهم والبصر ومن يوافق

الحقحقة السير بعنف والحور كالنقص ومعناه والكور بوزن زاد ومعناه اه

قوله

قوله فعله (وذلك) انه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمنتهم فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك في زمانك (واعلم) ان الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل وان كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر حرج والجاهل من شدة الصبر حرج وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فانه يكره من علمه بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم) ان ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط ان يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم (واعلم) انه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك فأنت على سبيل هلكة فحينئذ يخلي بينك وبين ما شئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولي الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه) الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما تنبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا أظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد نفسه فنسي النعمة

عليه فاذا نظر الى عمله حبب اليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك
صار مرائيا مفاخرا (فافهم) فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح
أقرب وأسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس
يأتيك ما تكره الا من تعرف فان كان لا يأتيك ما تكره الا من قبلهم فكلما
قلوا كان خيرا (واعلم) ان العبد يعمل العمل فى السر فلا يزال به ابليس يقول
أظهره ليقتدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى
يظهره فاذا أظهره كتب فى ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر
به كتب فى ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس واسقاط
المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما
تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق
كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء
افتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله أن يراك تعمل لغيره وتطلب
الثواب منه وأخلص العمل لله واصدق فيه (واعلم) ان تخليص العمل فى
العمل أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من
العمل فى العمل (واعلم) انه لا يقبل الله عملا من مرائى ولا من مسمع ولا من
داع الا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكن
فى العمل متأنيا وقافا فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا
فاحمد الله وامض فيه واستعن بالله على اخلاصه واكلف من العمل ما تطيق
وتحب أن تزداد منه ودم عليه فان احب الاعمال الى الله أدومها وان قل
فاعمل بما يتبين لك أنه حق واضح فاذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر
العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى
سبيل النجاة الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس
كحاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجتمعوا عليه فخذ به
وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب
(واعلم) ان ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم
فليقل له عند ذلك قد عرفتك أنا فى الطلب ان وفقت لحقت وان لم أوفق
لم ألحق ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فأنا عن

الكثير

الكثير أعجز وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالزينة
من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا فرأى الشيطان
معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد
عمل السر أخرجه الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل فى العلانية
بصدق واخلاص فرأى فى عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس
ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فأوذى واحتمل الاذى أمره بالعزلة والراحة
من الناس ليعجب بما يعمل ويضجر من العمل فان اعتزل وصبر وأخلص
قال له ارفق بنفسك فيصده عن العبادة وانما يلتمس من الاشياء غفلاته
فينبغى للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه (واعلم) ان
صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يود
أنه نجا كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله (ويروى)
عن بعض الحكماء انه قال انى لأعرف مائة باب من الخير وليس عندى منها
شئ (واعلم) ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق
الراضى المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب أن لا يرى شخصه ولا
يحكى قوله ويود أنه أفلت كفافا فمعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات
وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان والجاهل المسكين يحب أن
يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزرى عليه فى قول ولا
فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزر لهم شيئا وانما
شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة فى هذا عظيمة
والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل
التلاعب تنقضى أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيرا للشيطان وعبدا
للهوى (واعلم) ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مجدا وما
عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لهما حذرا متعبدا عارفا بفقره الى الله تعالى
قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى
وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بما ينوبك فى
عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك
[illegible]ن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق

الفضول والشغل بغير الله واخراجه من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاء ما قد أحدث الله عز وجل فى قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعليمك الناس أفضل من عملك فلو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الاعمال ما تعلم فتؤجر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لولا عملك لم تعلم بهذه الآفات أتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك فى العمل فتفسد النفس فلا عملا وزعلك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفى العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفى فى السر الا انه يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه امامن علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر فى الوجه ان كان قام من الليل (واعلم) أن العبد ان قال انا أعمل لله لا للناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان المخلص يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتى الى الناس قال فأنت الآن المخلص الذى قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وأنت معصوم بل اشد [illegible] فاسعد العبد وقال له ومن أنا وانما الاعمال منّ من الله على العباد ولها شكر وانما الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هى من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقمت بشكر النعمة وتواضعت لربك وبرأت نفسك من العمل ونسبته الى الذى هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شئ ولست أدرى بما يختم لى عملى (واياك) ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بجملة خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشئ من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله فى جميع أمورك واعمل له كأنك تراه فان قال لك الخبيث الآن نجوت حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت

ان

أن تكون قد أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولي فعلي ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بيني وبينك وجعلني في حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولم تكن أنت تدخل علي في عملي فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل فان الناس قد شغلهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وأنت المعروف في أهل السماء والمجهول في أهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده بمجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد أبدا وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذي ألقاه اليك هلكت وان تركت العمل وملت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والاماني الكاذبة ذرجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعمدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدي بي والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت في بلد وأنت فيه سالم وأمرك فيه مستقيم والنور معك في فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك ووقعت في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب في العبادة والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور وقلبك ريح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان أحب الاعمال الى الله أدومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (واعلم) ان من ينجو بالاعمال أكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له (واعلم) ان من يهلك بالتفريط والتضييع أكثر وينبغي للمؤمن أن يكون راغبا راهبا لا يأمن ولا ييأس

قوله ريح بالتشديد كطيب وزنا ومعنى اه

(واعلم) انه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا ان كنت مقلا
عندك من الدنيا شئ يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبك
فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان كنت
غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك لابد أن
تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل
فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت أن تريح نفسك
قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت
وتغيرت وفترت وعجزت فان قلت مالي وللناس قال لك صدقت أفطر
فان الحسن معان سيضعون أمرك على أحسن الوجوه فان قبلت ذلك منه
وافطرت على أن الناس سيضعون أمرك على أحسن الوجوه والمنزلة لا تسقط
عندهم بافطارك فقد عطبت وان أنت نفيت ذلك تركه ونصب لك بابا آخر
فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قبوله
منه للشهوة والشهرة ازداد كلبا عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في
أمورك كلها واترك كل شئ من الدنيا للعمل للآخرة رغبة منك في الآخرة
وحبا لها وايثارا لها على الدنيا فبحسبك يا ما تصل اليها وبقدر حبك لها
تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان
كنت ذا علم فخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعدا وسحقا بعد العلم
والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك
بربك الكريم ايها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل
وليترك الاغترار (واعلم) ان الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه
في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن انه يفر مني بحيلة ففي حبالي وقع قال
الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد
وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها
ثواب الله وعده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
وان أراد بها ثواب الله وعند غيره هلك (واعلم) ان أولى الاشياء بالعبد أن

يخلص

خلاص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الاصل في اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شيء من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شيء من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس في العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا أنفسهم في العمل من البر فعملوا الشر فوابالخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئا من العمل للناس ولا يتركون من اجلهم شيئا وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها (وصنف) قوي اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم اخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله في ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها في قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذي المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائي أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التي يبتغي بها وجه الله لأن المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذي راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك ان المفاخر انما يريد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى وعن

طالب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير
من كان له مطيعا فما أشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد)
النظر الى من هو دونه فى الرزق والى من هو فوقه فى العمل للآخرة
ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ
لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فانما نيته فيه القوة على دينه واقامة
فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما
العجب) فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه
وأفعاله وينسى أن ذلك انما هو منة من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه
عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئا هو من غيرها وهى مطبوعة على
خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل
عمله قد عمى عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا لعمله مسرورا به راضيا عن
نفسه فرحا بها يسعى فى هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من
أن يكون مرائيا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونا ولا
خائفا أبدا لأن العجب ينفى الخوف (واعلم) يا أخى ان الناظر الى الله فيما
يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه أن العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له
مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها عنها فليس
لها عنده فيها حظ ولا نصيب (واعلم) انهم صنفان (صنف) علماء أقوياء
فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله
وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذى أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب
والصنف الاول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به
وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما نفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا
بشكر ذلك فالتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من
العجب فقد هلكوا الا ان ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كثير)
وهو آفة المتعبدين من الاولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة
ابليس التى أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانها
لن تضر الا من أرادها وارء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فكم
من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ

المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذى يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب لله وفى الله فان قام بذلك ونفى ما يحبه وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذى لا يبقى ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هى من اعمال القلب فتوسل يا أخى الى الله فى اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وأكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينتقص من بدنك شئ فى ليلك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا اصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقى لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور فى القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما فى قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله فى الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله فى السريرة هابه الناس فى العلانية وبقدر ما يستحى العبد من الله فى الخلوة يستحى الناس منه فى العلانية وينبغى للعالم أن تكون محبته فى العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها

ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له في روضة واحدة (فانظر) يا أخي ولا تدع ما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب في حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذي يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثرا الله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان (واعلم) ان من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار الحي القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلا أحيا قلبه في كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة تخفت عليه حتى تكون حياته دائمة تقوت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا صرم أصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان واذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لتحييه بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحي تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض بالمقاريض لم ينتبه ولم يحي وذلك ان الله عز وجل يقول أومن كان ميتا فأحييناه وذلك ان قبل وأجاب الداعي ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعي فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم أنه ميت فقد حي بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على هواه فمن كان مقرا بانه عاص وليس يقول وليس معه الروع والغم الشديد وهو على حالته التي ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن أراده الله وفقه ونبهه من الزلة وأيقظه من الغفلة

له من لا ينساها ويحصى له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله ففكر أيها العامل فى العواقب فان أحببت أن يحبك الناس أو يفطنوا بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويصلوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك وجهلك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تغتر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا (واعلم) انك ان غضبت على الناس فى شئ هو لنفسك فأبديته لهم أولم تبده لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت انك انما غضبت لنفسك (واعلم) ان الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائهم عليك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال تحب مجىء الاخوان اليك فى أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك فى وقت فراغك شغلك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس ان ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا فخف الله فى سرائر نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثرها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (وينبغى) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستنصار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شئ رضى به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أوروع علم ان ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه

وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (وينبغى) لمن كان يبتغى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما ثقل عليه من البر ويتهم ما خف عليه من ذلك لان قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية فى العمل يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وأربح من كثير الكذب (واعلم) أن ارادتك العمل عمل فانظر فى ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنيتك طالبا ولها مصححا كما يراك فى عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات (واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت بأكثر من عملك (واعلم) ان عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد (واعلم) ان العدو اذا رأى فى نيتك سقما رغبك فى ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يقنطك بالسقم وود حينئذ أن الناس كلهم أحبوك فى ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا فى عملك ويحسنه عندك وفى أعين الناس ويحببهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس (واعلم) ان رجاءه منك اذا سقمت نيتك أكثر من رجائه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان العدو ربما أفسد الحسنات أولا بسقم النية وربما أفسدها آخرا بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجبه الى معصية خذلك وذلك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ما تكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وهمة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارها معاندا لفساد العمل لا تريد الثواب الا من الله وحده وطلب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك فى الدنيا ثوابا فان الذى قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذه

اذ غدا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الأمن عليه (واعلم) ان الأمن على الحسنات أضر عليها من السيئات والأمن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك السيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك السيئة اردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها اعظمها عندك فافهم ما ألقي اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجري على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يسوي بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو باب فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الاحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولابليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في قولك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض

وتنبنى عليها الاعمال وترك الذنوب فريضة فكل أمر فيه معصية فهو مردود
ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم (واعلم) ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد
بهما وجهه فاصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة
والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما
فيها على أن تظهر حسناتك أو ترائى بها ما فعلت (واعلم) ان المريد في ترك
الميتة يخاف من الله أن يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها
ويخاف منه أن يدخرها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله أن يعصيه
فيما أحله له ويخاف أن يشبع مما أباحه له فمن قام في هذا المقام من أهل
الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها وأقام الاشياء كلها التي في الدنيا
مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عندما اضطر اليها ويخاف من الله ان
ترك أخذ تلك البلغة في وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن
يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها انما هو بالقيام
بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك أن
تأخذ ميتة فتخزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها
لانك منها على مقت لها وتقذر منك لها فاذا خفت منها أن تنالها نفيت
المخافة التي حلت بقلبك حلاوتها وهي الدنيا فتجتزئ منها بما أقام صلبك
وأديت به فرضك ودع ما سوى ذلك يكابده غيرك والذي تحتاج اليه من
الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما كان
وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طلب
الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار
والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا
فهو قال للآخرة اهـ

(فصل في الصدق والعقل) واعلم ان الاصل الذي يحترز به عما تقدم
ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك
فينبغي الاعتناء بشأنهما (وما) قاله الشيخ الامام عن بن رزق رحمه الله في ذلك
فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا أخي علما يقينا لا شك فيه

ان الصادق لا يكذب أهله ولا بالوهم نصحا في ارتيادهم فان أخاك من
صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك
وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا أخي اني لما أطلت الفكرة وصححت
في ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولي النعم ومالك الأمم
لم يخلقني واياك عبثا ولا هو تاركي واياك سدى وان لي ولك معادا نقف فيه
بين يدي الملك الجبار ليحكم بيننا وليفصل فينا وانه لم يخلقني واياك حين
خلقنا للهزل ولا للعب ولا للفناء الدائم وانما خلقنا للبقاء الابد ودوام النعم في
جواره وجوار ملائكته وأنبيائه أو في الشقاء الدائم للابد فالعاقل متيقظ
لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وأفاق من سكرته
فعمل وجد وأبصر فزجر النفس عن دار الغرور الخاذلة الخادعة الزائلة
التي قد ولت بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها
العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب في دار البقاء والسرور
وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب ببابه
وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو ومتبعها أيها الميت عن قريب والمبعوث
بعد موته الى دار المقامة المسئول عن اقباله وادباره في دار الدنيا الموقوف
عن قليل بين يدي الملك الجبار الذي لا يجور هل أعددت لذلك الموقف حجة
تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم من الانباء
ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر فاياك يا أخي والنزول بمحلة
المغبونين (واعلم) ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه
كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخي اني لم أر نعمة
متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التي جعلها الله دلالة
لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذي أطلعهم الله
به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا
وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاءوا بنور العقول في طريق
حيرتهم فقطعوها ونجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان
به والاخلاص والتوحيد وأفردوا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه
بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان أهل اللب استدلوا به على خالق

رتب كوقف
وزنا ومعنى اه

أنفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وانهم موسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فاول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التى بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق فى الاعمال واخلاصها لله تعالى فورثهم ذلك البصائر فى قلوبهم فوضعت الحكمة فى صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذى ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله وسلموا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتتلذذ فى حجب الغيوب وتخطر فى طرقات الجنات فالحمد لله الذى لا اله الا هو العظيم الذى من والاه نعمه وأغناه (واعلم) يا أخى ان من صدق الله أرسله الى الجولان فى ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ما قد أفاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضى ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تنزح أبدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والابدان (واعلم) يا أخى ان فى ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر جسده وهى القلب (واعلم) انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكى البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعناية بجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا أخى انى وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء لصداء القلوب وتيقظا من وسن الافئدة (واعلم) أنى وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحجة عليه آكد فمن ههنا الزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف ان أحدا أتى الا من قبل تضييع الشكر لانه ليس من ولد آدم أحد الا وهو

قوله بطرف تحف وزنا ومعنى اه

مختص بنعمة العقل الا القليل فمنهم من حق له من الشكر وحق عليه ومنهم
من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا
فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة
العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره
على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى
العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى
على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستولى عليه فكان
له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله
فيؤثر دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على
قدر ما نرى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا
فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه
وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا
وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب
على تلك الغفلة فتتلف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به
ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام العقول
وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب
مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين
وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام
الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة
مقام الامانة فصار من قلة الاكياس لا تعرف الحمقى ومن قلة أهل الصدق
لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل
الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله
فأصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا
وبين أن ندخل فى الزيادة التى تحبها الانفس عقوبة لقبح اسرارنا فجرينا فى
ميدان الجهل وغلب علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين
ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله
والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو

الفرصة بخوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخى والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجرى بأهله بالحسرات واياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوّة كردّ الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا واعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم

(فصل فى التزين) وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختبار عواقب الامور واختيار مواردها وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) ان الاساس الذى ينبغى للمريد أن يبنى عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأراد ما أخذ السلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن فى القلب والخوف الذى يحتجز به عما نهى الله عنه والشوق الذى يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيرا متلذذا متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل أهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى بأهل الضعف ويستريح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعى للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهرانى من عرف فاتهم حاله اما أن لا يكون صادقا فى ارادته أو يكون جاهلا بطريق أو مغلوبا على عقله وعمله مستحوذا عليه هواه وما التوفيق الا بالله

أن يكون المرء في البلد الذي لا يعرف فيه مع التخلص الى خمول الذكر أينما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة ومادون من اللباس مالم يكن مشهورا والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) انى قد نظرت بعث النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر أعظم من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما عظم الخطر وعلمت انه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فاقتلعت من عظيم الغفلة الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(فصل في ذكر الطمع وقبحه) وقال رحمه الله ينبغى لك يا أخى أن لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسهل عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك من العناء ويسقط هناك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باراحة القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة وحسن الادب التاركين لفضول الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجرى فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعى الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها في مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك منزلة المغترين من أهل المكر والاستدراج وذلك لان الرجاء طرقا تؤدى الى الأمن والغفلة فاياك أن تتخذه مطية لسفرك وتخلص يا أخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضى بذلك واستقلال كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادره بانتهاز النعمة عند امكان

العلى العظيم (واعلم) يا أخى علما يقينا لاشك فيه انا لم نبن أساس الدين على
طلب السلامة فيه من الخطا ولا على حسن السيرة منا فى الاخلاق والآداب
ولكنا انتبذناه على أساس الهوى وعلى ما خف حمله على قلوبنا واستخفته
أنفسنا واستحلته ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طامعا فى الزيادة من التقوى
بزعمنا ودركنا حسن السيرة منا فى الاخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا
رجعت علينا اعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة فى الدين وبقبح السيرة
منا فى الاخلاق والآداب بنظرنا الامور الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الخب
والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الخب عقولا
وآدابا ومروءات حتى حمل بعضنا بعضا على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضا فى القلوب
وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحاببنا بالالسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب
مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالالسن ونميل اليها بالقلوب ونتزهد ونتواضع فى
الظاهر بالقول ونجرها بالايدى والارجل فى الباطن ... مع
قبح هذا الوصف وسماجته لانتاهل به خروجا من النقص ... فى
الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون والله المستعان وأصبحنا لانجد ... صادقا
فنتأسى به ولا خائفا فنلزمه للزومه له ولا محزونا بعقل الحزن فنبكى لبكائه فقد
صرنا نتلاهى بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة
مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج
فنعوذ بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله
جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أى ما وعده سبحانه من التفضل
والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لا يجب للعبد على الله الا من بعد
تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم الا بالمعرفة
والاعتزام على احتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على
العمل لا يكون الا من بعد ثبات الخوف فى القلب والخوف لا يوجد الا من بعد
ثبات اليقين فى القلب وثبات اليقين لا يكون الا من بعد صحة تركيب العقل
فى العبد فاذا صح تركيب العقل فى العبد وثبت وقع الخوف مما قد أيقن به
فثبتت عزيمة الصبر من غير تكلف فاستخفت النفس حينئذ مؤنة العمل
طمعا فى ثواب ما قد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت

به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكاف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحمق وكاف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكاف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ فى عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكاف العاقل الصدق فى قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكاف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله فى الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر فى طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الانفس الامارة بالسوء عند ستر سرائر أعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعانى والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة فتعجلت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الاعقاب والرياسة والتوسعة لهم فى المجالس واغفلوا سؤال الله لهم فى غدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم وأعمالهم وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التى عجلوا فيها أنفسهم فى الدنيا فمنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف فى قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا ايثارا لشهواتها ولذاتها فينبغى للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبغى تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلى العظيم

(فصل فى الغيبة والنميمة) وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبة انما هو من تزكية النفس والرضى عنها لانك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه برىء ولم تغتبه بشىء الا وما احتملت فى نفسك من العيب أكثر وانما يقبله منك مثلك فلو علمت ان فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر

الكيس كالعقل وزنا ومعنى اه

منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرء من العيوب يحزنك ذلك واشغلك عن ذلك وكيف وانما يأتى الاموات الاموات ولو كانوا أحياء اذن ما حملوا ذلك منك ولتناهوا (واعلم) ان ميت الاموات أحمد فى العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء اموات القلوب وهم أحياء فى الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذر يا أخى الغيبة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت فى القلب وأذن صاحبها لنفسه فى احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع لأخواتها وهى النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها لبيب ولا رضى بها حكيم ولا استحسنها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل فى الاستدراج) وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فأحد المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثانى استدراج لا انابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وانما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة فى تجارته بالتوسعة فى المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد والغاشية والتبع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بنيل حظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب فى عمله والقوة على ذلك فى بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة فى بصيرته فجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى الا أنه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم

ان الاستدراج عقوبة للضيعين شكر النعم

(فصل في اليقين) وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهي ان الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيما هو أعظم منها اذا عمل منها شيئا ظن أنه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم (ان قلت) ما بال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فيتجدد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

(فصل في العجب) وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعني استدراج الملوك وغيرهم (لكن) بقي من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها في هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من الكبر وهذه فنونه فاذا ثبت الكبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا والكبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله

التزمت كالتثلون وزنا ومعنى اه

الجريرة كسفينة الذنب والخلابة بوزن الخيانة الخديعة اه

(فصل في التواضع) وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة

في العمل بالخير والبطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون عمله
على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فان) كنت تسأل عن العجب
الذي دخل أصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم
فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شيء أعجب الى ابليس الخبيث من
فتنة العابد لان فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم
بطلبها وفتنتها كافة من يتمناها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة
العابد فهي أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها صرعا لانهم قد تركوا
عبادة الدنيا وجدوا في طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار* وجاهدوا
صعود العقاب وجاهدوا انفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعو
اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم اليه واقبلوا على طلب الآخرة وايثارها
بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق في
كل أحوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي تركهم لها وفي طلبهم الآخرة وايثارهم
لها بالجد والاجتهاد وجعل في كل نوع من ذلك مؤنة لا تدفع الا بالصبر
ووعد ابليس وعداه وهو منظره الى يوم القيامة بأن أسكنه هو وذريته
صدور بني آدم يجري منهم مجرى الدم وذلك ان أطاع منهم وان عصى
لاوليائه وأعدائه فليس للعابد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره
أو يزحزحه عن المسكن الذي أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن
التي امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ قلبه
خنس الخبيث عنه فلم يكن له شيء الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على
الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايدة ابليس فليس أحد أحوج الى صحة
تركيب العقل فيه من هذا العابد الذي قد قصد خلافه وقوي على
احتمال ترك الاسباب التي يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات
فقذف ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التي ان جاوزها كان
مصعدا الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه
الدرجة التي ان سلم منها نجا ولا يسلم في مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن
الا من كان على مثل ما وصفت لك

(فصل في النية والعبادة) وقال رحمه الله ينبغي للعبد أن يصحح نيته

* العقاب بالكسر جمع عقبة اه

التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتي
ويتبعه من عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة
نفسه وإياسها اياها من عملها الطلب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها
لم تبلغ درجة العفو لعظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان
بإزاء ذنب من ذنوبها لاستأهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف
بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من صمادا التوبة والمراجعة ثم يحملها
على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها
لتذكره شيئا من احسانها سامها عما قد عرفه الله من قديم اساءتها
ويذكرها عيوبها فتنقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجر العدو ان شاء الله
تعالى عندما يريد من خديعته ليوقعه في العجب بالباطل فلو كان عجبه
عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربها بشاشة منها وسرور وزهد
فيما يكره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع
الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من
العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا
بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله
صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من
معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك
واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد في شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا
فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية
ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها
تحول بينه وبين معرفته ويرتجي أن يصير الى الآخرة ويروح بها ليأمن فيها
على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة
الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك
النظر الى تركها

(فصل في العلم) وقال رحمه الله اعلم أن لدواعي الخير علامات يستجلب بها
دواعي الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لانه جعل ذلك في الدنيا بغيته
وأمله واذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما أن طالب الدنيا اذا

صماد بالكسر بوزن سداد ما يسد به القارورة اه

فنقلوا باطنهم عن الريب والدناءة وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم
أحوال أهل المكر والخديعة والكذب وألزموا أنفسهم صحة الطريق في
أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطنا من الاعمال التي لا تظهر للمخلوقين
[illegible]وا أبدانهم من ظاهر الاعمال الالازمة لهم من أداء الفرائض المحتومة
[illegible]صارت أعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزنا وأحمد ذكرا عند الله
[illegible]هاقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا أقبلت عليهم
خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا
ودافعوا الايام مدافعة جميلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان
والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل
مبتذلون إن أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم
باكية وصفاتهم اكثر من أن يحيط الواصف بها في الكتب والكلام في
ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل
ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

قوله يكاشرون أي يضاحكون اه

(فصل في عيوب النفس) وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه
وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) ان من حسن سيرة
العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه على قبح ولا فساد وأصل العلم
الغريب يدرك بفطن العقول المرضيه وبنور الحكمة الثاقبه وبمخالفة
الأهواء وبفوائد المعرفة الشافيه وباصابة الحق في القول والعمل بالبصيره
ولا يبلغ هذه المراتب العالية الامن تقلد حب الآخرة موقنا بها وراغبا فيها
ومؤثرا لها على ما سواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة
واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل
العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل
الثواب ويحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

(فصل في الاشياء التي يستعان بها على معرفة عيوب النفس) وقال رحمه
الله اعلم اني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل في
مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يا أخي) انه
لن يمنعك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم

أدركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة
وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل
لا يأمن من الشيطان اللعين استدراكه قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله
فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستتر من كيد من كايده وهو مع ذلك من
ربه واثق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل وليبن أمره على طلب المعروف وهم
أعطاه على أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمل استحق
سلامته لله من الآفات كلها أن ينميه الله له ويكثره ولا سيما إذا كنت في زمان
قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فإن تخلصت قليل عملك من بين ظهراني
أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون على أصل حكم الكتاب والسنة
فهو عند الله كثير فكن في زمانك أشد تحفظا للخلاص إلى معرفة ما كان عليه
السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) أن المعرفة إذا
استحكمت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة إلى درجة
حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها
وكما أن الأرض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما
ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما
ازداد لله خوفا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد
له حبا ازداد إليه شوقا وكلما ازداد إليه شوقا ازداد للموت حبا (فإذا) كان كذلك
كان مغموما في حالة السرور وذلك أن المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل
السرور في الدنيا ولا يجري معهم فيما هم فيه وذلك أن المغموم جمع
همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحدا لتقصيره بأجله وهمه به
على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة تنبهه الغم على
التسويف فيعمل للنقلة من دار الغموم إلى دار السرور (وسأصف لك) حال
المغمومين إن شاء الله تعالى (اعلم) أن لله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا
أيقنوا فلما أيقنوا خافوا فلما خافوا عملوا فلما عملوا اجتهدوا فلما اجتهدوا عملوا فلما
عملوا أشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا في المبارزة واصبروا
فلما صبروا أبصروا وساووا أنفسهم فلما أبصروا وساووا أنفسهم تصدوا
لمشاهدتها بالقلوب فارتقوا من أعمال الجوارح إلى تصحيح القلوب

منهم الحرص والرغبة خوفا منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا فى القلب ينفى عنك جميع حزن الآخرة والحزن يصل الى القلب الامع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الامع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين فى قلب العبد استدامة الحزن فيه

(فصل فى الزهد والخلوة) وقال رحمه الله تعالى اعلم انى لم أجد شيئا أبلغ فى الزهد فى الدنيا من ثبات حزن الآخرة فى القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزونا مسرورا فى حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذى يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدى الاعمال لطف معرفة الاسباب التى بها يستديمون صالح الاعمال ويسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم فى الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضى فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو فى ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت منهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة فى قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة فى التقوى فقرت بالخوف أعينهم

من القلب للطاعة وانه ان يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فادرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وانه ان يعدمك من عدو التثبط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان يعدمك من نفسك التثبث بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا أخي ان القلب اذا تراكمت عليه اقذار الذنوب وأطفاس الشهوات عمي وانتكس وطفئ نوره فلم يبصر عيوب نفسه وابصر بعينه عيوب غيره فرقه من عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم واعلم ان القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

(فصل في الحزن والخوف) وقال رحمه الله اعلم ان العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبنا هو الذي فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين يتركوا من الفرائض شيئا الا أدوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم نزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ينكروها وانا لنعمل في الظاهر باكثرها غير أن القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والانفس منا قابلة لحب هواها مستثقلة لما في الحق من الصبر والمكروه (وسأعطيك) دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت للشهادة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخي أن القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا في الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق في مواطن غضبهم ورضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا في هذه المواطن ظهر منهم قول الحق في مواطن غضبهم وهم له في ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكا منهم في مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأني وفقد

قوله التثبط التقاعد وقوله وأطفاس الذنوب عطف تفسير على ما قبله اه

بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو من الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفي رياسة من القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلف في الوعد والتوقي من الكذب والأيمان والحنث فيها ويخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعي الخوف وبالخوف الثابت في القلب يخشع العبد ويبكي من خشية الله تعالى في الليل والنهار وهي من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط في الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف والعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ويخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير في العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره في عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف وورود الفتن التي فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة في القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) انه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذي يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرأ ذلك عنك واطلب الخلاص وهي

وتنعموا بالحزن فى عبادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع
المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات
متعلقه وفكرهم باهوال القيامة مقبلة مدبره وأبدانهم بين المخلوقين
عاريه فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم أمر الآخرة
كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت فى ذلك فلم أر شيئا أتم
ولا أجمع لذلك كله من حمية الأنفس عن الفها وقطع مجاورة المخلوقين
القلوب عن الأخبار التى بها تهيج القلوب من الاشغال القواطع عن التفرغ
للحزن او البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب
الخلوات فاستبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت
عذوبة الخلوة فى أعضائه كما يجرى الماء فى أصل الشجرة فأورقت أغصانها
وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجىء به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من
الخلوة فنون من أصول الزهد فى الدنيا حتى انه لو اجتهد فى فن منها على أن
يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله العبد
هذه الدرجة حببت اليه الخلوة (فأول) ما يستفيد من حب الخلوة
الاخلاص فى العمل والصدق فى القول فيما بينه وبين الله تعالى وفى حب
الخلوة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين فى الاخذ والعطاء
ويخرج ذلك كله من محبة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر ومداهنة المخلوقين وحبب اليه بالخلوة خمول
النفس واخماد الذكر فى الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص
وحبب اليه بالخلوة الزهد فى معرفة الناس والانس بالله ويوهب له استثقال
المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الاسد وهو غير مفارق لجماعتهم (ويعطى)
من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت
والصبر غلبة الهوى (ويعطى) من حب الخلوة الاشتغال بامر نفسه وقلة
اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطى) بالخلوة كثرة
الهموم والاحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ويخرجها من
خالص الذكر (ويعطى) بالخلوة الاعمال التى تغيب عن أعين العباد وتظهر
لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ويخرج ذلك من الصدق (ويعطى)

بعد ذلك الشيء مما يكره وعمدت الى المعاصي فعاديتها منك ومن غيرك
فتكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت
الاحسان مجتهدا وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في التنبيه والرجوع
وان ذلك تفضل منه عليك فالتمست لطيف الشكر بعد اقلاعك عن
الاساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد
الاساءة فاذا لك قد صرت في جميع أحوالك شاكرا ذاكرا ولم يعزلك معرفة
الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر الشكور الذي وعد على الشكر الزيادة
ووعده لا خلف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها فراجعت
الاحسان بالعتاب منك لنفسك وان زين الاساءة لك عدوك ابليس فهذا
الاصل الذي تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

(فصل في كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى)

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أو[illegible] لنا المنزلة التي ينال
العباد بها القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويبلغون بها رضوانه
والامر الذي يقربهم اليه ويقصر بهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك
عندنا بينا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي بفهم
لا مغالطة فيه وتذكر فيه بتذكر لا مغالطة غفلة واصبر عليه صبرا لا مغالطة
جزع فانك ان تفعل ذلك يتسع لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق
الهلكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدا الامور والذي لا ينتفع بشيء
الا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل يعرف
العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم
الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في أرضه وسمائه وشمسه
وقمره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وأن لذلك كله مدبرا
وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة في الجهل
والنور في العلم هذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفي العباد
بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته
على ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخلق خلقه لعبا وعلم ان

لخالقه محبة وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذي لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذي جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفي العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك في قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفي به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له) فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وأن تجتنب سخط الله وان سرك وأن تدع كراهيته وأن أعجبتك وأن تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وتزهد فيما زهدك وأن تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل قد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن علي في ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشي ونعيم دنياي وحملني على المكروه وصرفني عن كثير من السرور وضعف لي امرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت علي مؤنته وثقل علي احتماله (فقال) الامور التي تقوى بها على العمل والادب الصبر الذي هو عماده وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه تمامه فبالصبر قوي العباد على أداء الفرائض

والحلال والحرام وبالصبر قووا على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من
كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والادب وانك ان
لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت ومن لم ينتفع بالايمان لم
ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل فرأس أمر العباد العقل
ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن
لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له
أمره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن
لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو النجاة من
الهول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والأدب (فقال له)
قد بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبني فيه وقواني على العمل
به مع ثقله علي فصف لي أمرا أزداد بالصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا
(فقال) صبرك على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو
الذي يرغبك في الطاعة ويبين لك فضلها (قال) قد شرحت لي أمر الصبر
وفضله فزدني به تبصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبين
لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد
وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجرهم بغير
حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في مواضع من
كتابه (فقال له) صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل
الصبر وثوابه فزادني بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا
وعليه اعتمادا مع شدة منه علي وثقل وصبر على خلاف ما أشتهي وحمل نفسي
على ما أكره لطلب فيه الاجر والفضل وابتغاء العمل والادب فصف لي أمرا
يخف به علي مؤنة الصبر ويسهل علي لزومه ويخف علي احتماله وتذل صعوبته
(فقال له) أراك للخير مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وأحسب أن تكون
قد قويت على ما دلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من
علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه
حرصا خف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد وانها في الدنيا ما يريد
وانما الثقل والعسر مثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه

فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى ما يريد (فقال له) زدني ما يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على (فقال له) الامر الذي يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك (فقال له) صاحبه فأوضح لي كيف يهون على مؤنة الصبر برضاى عن الله ويخفف على احتماله (فقال) ألست تعلم انك انما انتسبت الى الرضى وسميته صبرا لأن الامر الذي نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه عن شكر ما أنعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل اهل الرضى وانما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته بنظره اليك فتعلم انك لا نظر لك من نفسك فترضى بما رضي به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لي أمره فصف لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف مأخذه فقد أراني مع ما أصير اليه من الزهد مقيما على الصبر وازداد أيضا مع زهدي في الدنيا أمورا احتاج فيها الى الصبر مخالفة لهواي ورفضا لشهواتي وما تنازعني نفسي من لذاتي فقد أراني ازددت ثقلا وضجرا (قال) أراك لا تقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بأوضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التي أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولي وتدبر نصحي فان الحجة في ذلك واضحة والامر فيه بين ألست تعلم ان الدنيا كانت باقية في قلبك وان حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها أشد بد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزلها منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولأن سرورها عندك

سرور فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الاكل والشرب
وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو
والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه
فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك
عند أهل الدنيا وثقل عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لئلا يعاديك
الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك ما تكره فيدخل عليك التنغيص
فى سرورك وثقل عليك القنوع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك
الاكثار منها وحرصك عليها وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة
يطول وصفها وكل ذلك انما صار شدته عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك
الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لان سلاحه
الذى به يقوى وكيده الذى يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا
انت زهدت فى الدنيا ورفضتها ورغبت فى الآخرة وطلبتها سهل عليك الامر
فآثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك
هاربة ببلائها واتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع
رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بنعمة
الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة وصرت الى النعمة والسرور
والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم
تكن نفسك تنشرح الى الاكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت
الصلاة واشتغلت بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو والخلوة الى
حديث فى باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لانك أعددت ما قدمته
أمامك ولا تريد منه شيئا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الاياس قد
خرج من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الناس
قد استووا عندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيئا غيره وخف عليك
القنوع لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ
والكفاية وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت
البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التى
أمامك فالزهد فى الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس

شئ من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله (فقال) له صاحبه أوضحت فبينت وارشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لى كيف الزهد وما حده والذى ينبغى لى العمل به فقد استبان لى فضله ووضح لى رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد فى الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك فى التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة فى طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغى لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم الله على ونهانى عنه فقد دلنى عليه العلم لانه صار لا ينبغى لى المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لى الزهد الذى ارجو أن أنال به كرامة سيدى وأن أبلغ من ذلك همته وأن ادفع به عنى كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد فى فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا فى الله ولا ترجو أحدا من الناس ويستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح فى الله فى السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب فى الله وتبغض فى الله ولا تشغل قلبك بشئ غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتخمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون متمثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد فى الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة وتجوت به من الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لى من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبى واستصعب به على أمرى وتفرق له رأيى واشتدت على المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حملا من الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان تمله نفسى وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لى

أمراً أتقوى به على الزهد ويخففه على (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما ألومك حيث اشتد عليك من أمرك ما ذكرت حين لم تعلم الامر الذي له في الدنيا زهدت والذي به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة (فافهم) قولي بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد (واعلم) ان العباد زهدوا في الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها (فأول) درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد في الدنيا وجعل ما فيها زينة لها وزهدهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها واعلمهم انهم من الدنيا مرتحلون وانهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد في الباقي وزهدهم في الفاني فآثر الآخرة واطلبها وازهد في الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك (وأما) المنزلة الثانية من الزهد في الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد في الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعلموا في أي الاوقات والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما استقر الموت في قلوبهم أسهروا في الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا في الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوي لهم على الزهد في الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد في الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة في الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب الموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تبعرا منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه ما تركت لي الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد استبان لي من قولك البر والحق ووضح لي من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد

فيهما ورفضها فصف لى بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء الداء قلبي تخبرني فيه عن الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها (فقال) الامر الذي يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس فانه من صدق ربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) فصف لى اليقين لأعرفه (فقال) ان تعلم ان الله وحده لا شريك له وانه الحق المبين وانه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذي لا يشك فيه (قال) صف لى التوكل لأعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم ان الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه في جميع أموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق بأحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه في جميع حالاته فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه (قال) ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها فاني كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لا تصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز) فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرره هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والاخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال. (فأين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ أن الغالب على من ينسب

الى الخرقة فى هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع
والرقص فيه حتى كان ذلك شروطا فى السلوك نسأل الله السلامة منه
(فمن) أراد الخير فليعتزل عمن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد أعنى الفتح
الحقيقى الذى يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والا فبعض هؤلاء
يدّعون الاحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم فى حال رقصهم وتأخذهم
الاحوال اذ ذاك ويخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض
الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يولون ويعزلون فى تلك الاحوال ويخبرون
بمنازل أصحابهم فيقولون مثلا فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان
أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك انها أحوال
نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب
المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يعملونه محرم (قال) الامام
أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما ان تكلم على سورة الكهف فى
قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا
الله على هدايته شكرا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم
منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء
والفضلاء الاولياء أين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام
خصوصا فى هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان
هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) ان هذا حرام عند جماعة
العلماء (وقد) تقرر فيما مر أول الكتاب ان الفقير المنقطع لا يتصرف
الا فى واجب أو مندوب وان المكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى
ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم فى ضرب الطار على
حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا فى الشبابة على حدتها (وقاعدة)
أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق
الناس على منعه ذلك محال فى حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر
يدّعون الاحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم فى
الغالب على من هو متصف بالاقتداء والاتباع فكيف يحصل لاهل التخليط
وارتكاب ما لا ينبغى ذلك محال (ومن) أشد فيه من القبيح ما أحدثوه فى

السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده (وقد) نقل الشيخ الامام
أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه (روى) ابن ماجه في سننه
والنسائي في صحيحه عن أبي واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا
فقال يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم
فرأيت انك أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لأحد
لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها لا تؤدّي المرأة حق ربها حتى تؤدّي حق
زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائي وفي بعض
طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا
السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوّفة عادة في سماعهم وعند
دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال
بزعمه يسجد للأقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم
وخاب عملهم

(فصل) فانظر رحمنا الله وإياك الى قصة معاذ المتقدّمة وقوله للنبي صلى
الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن
مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر
تردادها عليها (ومن) ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا
الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب
فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا
تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت لبعضهم
اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة
المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول
نشأت على هذا وكان والدي وجدّي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج
ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من
يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم
الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه
بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا

المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (مع) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا اهل السماع وهو اليوم على ما يعهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ زين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين الا وضعهم الاسماء على غير مسميات وهاهو ذا بين ألا ترى ان السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما نعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضي الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون ان السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والا فهو هالك (ألا ترى) ان الشيخ الامام السهروردي رحمه الله لما ان تكلم على السماع قال في أثناء كلامه ولا شك انك اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره اه ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده في حق السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال ان السماع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعني أن يكون منهم والمكان والاخوان قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذي عندهم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير اجرة وأن لا يكون بين أحد ممن يحضره شنآن وأن لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعض السلف رضي الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجز منهم عن تمام المدة التي دخل عليها خرج فحضر

السماع ثم رجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يمدهم فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخى والتسويف الشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التى دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا لان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله فى أرضه وخلفاؤه فى خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن يأوى اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فانت ولى ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك ان ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمات أو مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء فى ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر فى الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزنى رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول فى الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز فى الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبيه * أن يرتقى غير معانى نهيه
أو يترك السنة فى نسكه * أو يبتدع فى الدين ما ليس فيه
أو يبتدع طارا وشبابة * لناسك فى دينه يقتديه
الضرب بالطارات فى ليلة * والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال فى الورى * وليس فى التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبى الهدى * ولا صحابى ولا تابعيه
بل جاهل يلعب فى دينه * قد ضيع العمر باهو وتيه

وراح فى اللهو على رسله * وليس يخشى الموت اذ يعتريه
ان ولى الله لا يرتضى * الا بما الله له يرتضيه
وليس يرضى الله لهو الورى * بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام فى الدجى * وآخر الليل لمستغفريه
اياك تغتر بأفعال من * لا يعرف العلم ولا يبتغيه
قد اكلوا الدنيا بدين لهم * ولبسوا الامر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله * وكل من دان به تزدريه
شبه نساء جمعوا مأتما * فقمن فى الندب على ميتيه
والضرب فى الصدر كما قد ترى * ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا * فهم رجال ابليس لاشك فيه
ولا تخف فى الله من لائم * وفقك الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وأنكر عليه ألا ترى ان المزنى رحمه الله لما ان باشر الشافعى رحمه الله أنكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه فى المساجد وقد تقدم توقير السلف رضى الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان أو غيره (وقد) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة فى المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سال فى المسجد فاحرموه (وروى) أبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع فى المسجد وان تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم فى المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التى فيها وكذلك يفعلون فى الربط والمدارس (وقد) ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك فى سنة

احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ماتقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته فى جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك فى المساجد شرعا افتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره حين تكلم على قصة السامرى فى سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله مايقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون أشعارا مع الطقطقة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا القول الذى يذكرونه

يا شيخ كف عن الذنوب * قبل التفرق والزلل

واعمل لنفسك صالحا * مادام ينفعك العمل

أما الشباب فقد مضى * ومشيب رأسك قد نزل

(فاجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وأما) الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (وأما القضيب) فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار

(فينبغي) للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله و يتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط

لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشى رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا فى الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الايمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث وتكتسب الاموال بالايمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق بن شعبان فى كتابه الزاهى باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن زاد الترمذى ولا تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث زاد غيره والذى بعثنى بالحق مارفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عزوجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لا يزالان يضربان بأرجلهما على صدره وأشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كان ابليس أول من ناح وأول من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وانى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يارسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس

الناس تنزها ولهوا وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة (وروى) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كسب المغني والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحما نبت من سحت (قال) عطاء بن أبي رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه وجابر بن عمير يترميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر أجلست سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل شيء ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط إبليس لعنه الله قال يارب لعنتني فما عملي قال السحر قال فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال فما طعامي قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين مسكني قال الأسواق قال فما صوتي قال المزامير قال فما مصائدي قال النساء (وروى) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الأكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لست من ددولا ددمني (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد في كتاب العين الدد النقر بالأنامل في الأرض فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر في الأرض بالأنامل فما بالك بطقطقة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل إنسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء (وقال) الشعبي رحمه الله لعن الله المغني والمغنى له وقال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق

عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة
مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وبر صديقه وارتفعت
الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره
وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه
الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اه (وروى)
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشراط
الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء
خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضى الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله
ان هذا كائن قال نعم يا سلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب
ويؤتمن الخائن ويخون المؤتمن يا سلمان عند ذلك يكون الكذب طرفا
والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخافة يذوب
قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما ولا يستطيع أن يغير عندها
يا سلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفيء مغرما والمال دولا يا سلمان
عند ذلك يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء تركب ذوات الفروج
السروج فعليهم من أمتي لعنة الله فانه يكره الغناء ويجعله ان ... وأبو
صديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ابراهيم والشعبي لا اختلاف بين
عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف في كراهية ذلك والمنع منه (وأما
وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة قضاة ان الغناء لهو مكروه يشبه
على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر ... التي ليست بمحرم له فان أصحاب
نعم يا سلمان عندها يغار على الغلام كما كانت مكشوفة أو من وراء حجاب
تخطب النساء قال أو يكون ذلك يا رسول صاحب الجارية اذا جمع الناس
تحلى ذكور أمتي بالذهب والفضة عند فيه وقال هو دياثة فمن فعل
يلون أمتي فويل لضعيفهم من قويهم و ... قة بالقضيب ويقول وضعته
ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذ العود والطنبور وسائر الملاهي
وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يا سلمان عند ذلك يكثر الزنا ... محرمات
ويتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ بنصر الله يا سلمان تكثر القينات
وتشارك المرأة زوجها في التجارة عند ذلك يرفع الحج فلا يحج أمراء

الناس

فى القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا (وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يا بنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) ابن الكاتب اياك والغناء (وقال) المحاسبى فى رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح فى رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

(فصل) وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل فى مكامن القلوب ويطلع على سرائر الافئدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة بينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها (وقد روى) ان اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وصحت قالت أويشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه (وقال) محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدى وثنائى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وقال) بعض الزهاد الغناء يورث العناد فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم (واحتج) بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشة

رضي الله عنها انها قالت دخل علي أبو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر رضي الله عنه أمزمار الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوي وعرفي فيحمل الحديث على اللغوي فقولها تغنيان أي ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لانذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهي الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن والذي اطرب فالممنوع والمكروه انما هو اللذيذ المطرب ولم ينقل من هذا الحديث ان صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسألة فافهمه وقد روى البخاري هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت في آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الاذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) أليس قد أنشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لاننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لايمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فتكلف العالم علم مالا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريده

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لانسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه

الخاص والعام وانما نسمع بحق فنسمع بالله وفي الله ولا نتصف بهذه الاحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية (قلنا) ان زعمت انك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفقه وادّعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهدا لنفسك ولا مخالفا لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن في الأرض وكان يجب أن تبيح سماع العود والطنبور وسائر الملاهي بهذا الطبع الذي لا يشاركك فيه أحد من الناس

(فصل) فان قيل أليس قد روي عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه (قلنا) ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا في شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناء وتفسيق أهله فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله ونترك الاقتداء بالائمة الراشدين (ومن ههنا) زل من لا بصيرة له تحتج علينا بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالمتأخرين سيما وكل من يرى هذا الرأي الفاسد خلي من الفقه عاطل من العلم لا يعرف مأخذ الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه العلم (فمن) هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره في مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة وغيرها وما كنا لنهتدي

لولا أن هدانا الله (فيا من) رضي لدينه ودنياه وتوثق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المسئلة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

(فصل) وقد روي عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام ان الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا اني نظرت اليك في مقام واحد أردت فيه خالصا لعذبتك قال فأقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضى فقلت يا سيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري وأمر بي الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر علي شأنهم ويعظم علي أن أصيب منهم شيئا الا في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني أنال منهم فتنة وادخل عليهم به (وسئل) أبو علي الروذباري عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسي وكان من الصوفية رأيت ابليس في المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا باطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريري رأيت الجنيد رحمه الله في النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات (فأين) هذا من حال الله مما وصف الله به العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

(فصل) وقد استدل بعضهم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء (قال) وقد روى ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فارادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فاتفقوا على أن يأتوا بقوال فان احسن الاصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا ياذوي الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه المخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان في المهد وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدي بأخيار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالابل فائن كان كل ما طربت به البهائم مندوبا أو مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها واختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا

(فصل) فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالالحان (فالجواب) ان مالكا قال ولا تعجبني القراءة بالالحان ولا أحبه في رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان (قال) وبلغني أن الجواري يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء أين هذا من القراءة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها (قال) ولا يعجبني النبر والهمز يقول لا يرجع في القرآن ولا يقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات في القرآن والزيادة في القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل في الطرقات قال لا الا الشيء اليسير وأما الذي يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرأ في نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ في السوق (وسئل) عن القراءة في الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك (قيل له) فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ماشيا قال نعم (قال) سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن في ليلة قال ما أجود ذلك ان أطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من احدثه الحجاج (قال) واكره ان يقرأ في المصحف في المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم

ما أذن الله لشئ كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشئ كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان اصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) في قوله تعالى واذنت لربها وحقت أي سمعت (قال) ابو عبيد وجماعة من العلماء لا يجوز تلحين القرآن وانما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (فان) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (فان) معناه التحزين (قال) شعبة نهاني أيوب ان أحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) عما رواه عبد الله بن مغفل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى ان أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل (والدليل) على ان التغني بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغن

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت نتغنى بها يا هذا تريد نستغني (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بألحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) أبو

هريرة أنتم أقرأ السنة ونحن أقرأ فلو با (وقال) ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به (وقال) كعب الاحبار اقرأن رجال القرآن هم أحسن أصواتا من المعازف ومن حداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقد) أمعن وأجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه أتم بيان واحسنه في كتاب التفسير له فمن أراده فليقف عليه هنالك اذ أن هذا الكتاب يضيق عما أتى به وماذكرناه هو إشارة لاولي الالباب والله الموفق للصواب

(فصل) ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة اتباع الشهوات والتنافس في ألوان الاطعمة (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (قال) أبو جحيفة اكلت ثريدا بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا (وروي) أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة ايام (وقال) يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع في الاسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره (وقال) الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة (وقال) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة (وسئل) الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ

بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لان الجوع فى خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره (وروى) أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالما بجوعك حتى قلت انى جائع (وقال) فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى لهم بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب ان آكل مثل هذا الطعام وان يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد (وقال) أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الا الجوع فقال وأنا والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أحد من الناس اليوم أكرم اضيافا منى فاتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنيته فقال يارسول الله تخيروا على أعينكم ثم أخذ المدية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا وشربوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفى لفظ عن هذا النعيم

(فصل) ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ما هى فيه من الباطل استحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم وربما زينوهم بالحلى والمصبغات من الثياب وتزعم انما تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع (قال) الاستاذ القشيرى رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما فى الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشئ من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وأبدى سوأته فى العاجل وله عند الله سوء المنقلب فى الآجل (وروى) أبو داود فى السنن ان النبى صلى

الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خبب
أي أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخداع ويقال فلان خب هب
اذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطي رحمه الله وهو من كبار الصوفية
اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان الجيف أولم تسمعوا الى قول
الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى
لهم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة
النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية بن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضي الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى
الغلام الامرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما للشيطان من
الرجل ثلاثة منازل في نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة
يهواها القلب لا خير فيها (وقال) سفيان الثوري رحمه الله لو أن رجلا
عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا (وقال) الحسن بن
ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء وهم
أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب
الناسك في عبادته من سبع ضاري كخوفي عليه من الغلام الامرد يقعد اليه
(وقال) بعض التابعين رضي الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروى) ان أحمد بن
حنبل رحمه الله جاء اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجئني به مرة
أخرى فقيل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأي أشياخنا
(وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى السماء أربعين
سنة فجاءه غلام حدث ليجلس اليه فأجلسه من خلفه (فاما) اتيان الذكور
فهي الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله تعالى أتأتون
الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم (قال مالك)
ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أو لم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد بن حنبل
واسحاق (وقال) الحسن البصري وعطاء والنخعي وقتادة والاوزاعي وأبو
يوسف ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا جلد وان كان ثيبا يرجم ولا فرق بين أن
يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية (والحجة) لمالك ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به (وأيضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم في رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فاحرقه بالنار (وروى) عنه أيضا أنه قال يرجم اللوطي (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى ما في البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (وروى) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضي الله عنه يقتل (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي الانهار الجارية وفي شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهي اللواط (قال) الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر والنادي المجالس والمحافل (ومن) ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسوق واشار الى ان ذلك من باب بلاء الزواج وانه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك أيها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفي الحديث) يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري أن أسكنه حبي (وأما) قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية في سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى في باب الاعتبار أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا ان في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الآية

(فصل) وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الراس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذي لب انه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الانبياء والصالحون (روى) أهل التفسير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب (قال) وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعني يسكنون ويغضون أبصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم يكن في السماع والرقص شيء يذم الا أنه اول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الهامن دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقي حالهم كذلك الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى في كتابه فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يهرب منه ويولي الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره وأما ان كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال الامام الطرطوشي رحمه الله هؤلاء زعموا أن قرة أعينهم في الغناء واللهو والنظر في

قوله لا تؤبن اي لا تذكر بسوء الا بما ينبغي اه

وجوه المرد
(فصل) وقال رحمه الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من السخافة افساد المال (روى) أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمرو بن العاص رضي الله عنه مر النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها قالوا انها ميتة قال انما حرم أكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما في السفه اعظم من تمزيق الثياب (وقال) انس رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من اديم احمر (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن امثالهم) من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل في قوله تعالى لابليس وشاركهم في الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان ما آله الى مثله انتهى كلام الطرطوشي رحمه الله
(فصل) وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره في قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (وعن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب (وقال) مجاهد وزاد ان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل في النار (وقال) ابن القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذى وغيره من حديث أنس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني (وخرج) ابن بشران عن عكرمة عن ابن

عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (وروى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب في اذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى مرفوعا من حديث أبي موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (ولهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الاعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغاني بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربي فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة (قال النحاس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبري) وقد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) أبو الفرج بن الجوزي وقد قال القفال من أصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص (قال) أبو عبد الله القرطبي رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الامر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبي أيضا في سورة سبحان في قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفا بن عقيل قد نص القرآن على

الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص اه

النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض مرحا وذم المختال والراقص أشد المرح الفرح أو اسنا قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الطرب والسكر فا بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما أقبح ذا لحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص ويصفق على توقيع الالحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان وولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتي لهم (وقال) أبو الفرج ابن الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبي أيضا في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه

(فصل) وقد حكي عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له الست كنت تحضره قال مع من وعمن وقد حكي عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما أحدث فيه اه (وهذا) كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد في قوله مع من وعمن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئي وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء في المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال

أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما إذا انضاف اليه أن يكون المغني شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسالك المغنيات في تكسيرهم وسوء تقلباتهم في تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ في أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته وهم في استجلاب الفتن بمثل هذه أمور يطول ذكرها (ثم) العجب من هذا المسكين الذي جعل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن باطنه برؤية أهله لما ذكر اذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام (فصل) عما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهي البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لالة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما في قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم في الفتنة لانهم يعتقدون انهم في أكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعطى) هذه القاعدة التي انتحلوها انهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لاحدهم تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرا لشح بذلك وبخل وما ذلك الا لوجوه (الوجه الاول) خبث الكسب غالبا لان المال الذي يحصل من وجه خبيث لا يخرج الا في وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة (الثاني) ايثار الشهوات والملذوذات (الثالث) الرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة النفوس في الظهور

على الاقران (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشديده عليها وترك كل ما احدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته وأهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولى ذلك والقادر عليه بمحمد وآله

(فصل) وقد تقدم فى أول الكتاب ان تصرف المكلف لم يبق الا فى قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا فى حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملاذها وذاتها خاف غاوره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون نسبة الخرقة التى ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم ففى حق الفقير أولى وأحرى اذ انه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا أعنى انه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثرهم (الا ترى) انهم قد قالوا اذا رأيت الامير على باب الفقير فاتهم الفقير لانه ما جاء الا لنسبة حصلت فى الفقير من أجل انه ما طونه من أمور الدنيا ولاجل ذلك جاء الامير لحصول المجانسة أو كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر بما أوجب ذلك فى حقه (حتى) لقد حكى عن

بعضهم انه كان لا يمر له خاطر في الدنيا ثم حصل له في بعض الايام التفات اليها واذا بجندي يدق الباب فدخل اليه وجلس يحدث معه في الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذي مر به فتاب الى الله تعالى وأقلع عنه واذا بالجندي قد قام وخرج من حينه (فهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قد قل بعدهم من يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم (ومع هذا) فلا ننكر الاجتماع بهم أعني اذا جاء والى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك ان احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل لان الفقير المسكين أقرب الخلق به سبحانه وتعالى اذ هو في حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف [illegible] الدنيا لان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم الى غرضه[illegible] هم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن [illegible] لكي يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة أخلاقهم ليسرق طباعهم [illegible] والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوي لان نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحدا من هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفي الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج أن يغتنم ما سيق اليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يحفظ على مقامه الذي هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما في أيديهم أو التعزز بعزهم الفاني أو الركون الى شئ من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافي قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك المنة عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم ان الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم في استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عندهم انهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وان ذلك متعين عليهم من غير أمره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفي التنبيه عليه (وبالجملة) فالفقرا

السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لاحدهم شيء من ذلك استعمل التحيل في التخلص منه (كما حكى) عن سفيان الثوري انه لما ان تولى الخلافة من يعتقده ويرجع اليه هرب منه الى البدو وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقي الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك أتيته وجلست معه وعلمته مالم يعلمه أو كما قال (وقد حكى) عن بعضهم انه أظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه احمالا من الخبز فوضعها وجلس هنالك فلما ان رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل بعضه فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني عن أكلي أو أن تأكل معي فيذهب هذا الخبز وأنا لا اشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء (القسم الثاني) انهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ أن ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي (وقد) قال بعضهم ما أقبح أن يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك به في المريد الذي خالف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافي ذلك (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضي حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا أتوا اليه وأما من لم يأت منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الارسال

اليهم فكان لا يرسل لمن يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاءه ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذى درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا (وبالجملة) فمن يأتى الى زيارة المريد ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا له (والثانى) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه فى الخرقة من جهة شيخه أو من جهة العالم الذى اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد تقدم ذكره (وأما) القسم الثانى فيتعين عليه أن يلقى من أتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنها مقصرة فى حقهم اذ أنه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يبالغ فى الادب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه والتلطف بصغيرهم فى ارشاده وتهذيب اخلاقه وتهيئ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحد من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذ دين أو ما يقاربه فالترك أولى به (وقد حكى) عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم فى بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شانا فيكون دعاؤه لذلك يعود عليه بركته (لما ورد) ان المرء اذا دعا لاخيه فى ظهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض السلف كل حاجة احتاجها وأريد أن ادعو بها لنفسى ادعو بها لاخى فى ظهر الغيب لانى اذا دعوت لنفسى كان الامر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لاخى فى ظهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد حكى) عن بعضهم انه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا أخى أما كان لك شغل بالله عن زيارتى فقال له الزائر شغلى بالله أخرجنى الى زيارتك (وقد حكى) عن

بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى اغفلتى عن حاجة أخى حتى احتاج أن يبديها الى وهذا الذى ذكره وجار على جادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) تعوض عن ذلك ما هو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجميزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمنتى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجميزى الى زيارته انقبض عن ذلك و زال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزورمثلى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كلاما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا يبدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم تبتدئ أبا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتدئ أخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ودهم ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

(فصل) اعلم رحمنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة

والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (فمن) جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل لعمومه قال الله تعالى أمّن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا اللفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أنى هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند أنفسكم اذ أنه لو حصلت له حالة الاضطرار ما ردّ وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحس ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها والى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفى هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتدّ اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما معهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لا برّ يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار أو كما قال (فمن) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وما وقع الغلط الا فى صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمّنون على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى أم الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع

عشر

عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لا اله الا هو الحى القيوم والم الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ومنهم من قال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر رمضان (التاسع عشر) في السجود (وبالجملة) فالدعاء له أركان وأجنحة وأسباب واوقات فان صادف أركانه قوى وان صادف اجنحته طار فى السماء وان صادف اسبابه نجح وان صادف اوقاته فاز (فن) اركانه الاضطرار وقد تقدم (واجنحته) قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (واسبابه) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (واوقاته) الاسحار (وما) تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة التكليف (وأما) من هو فى مقام الرضى اوما يقاربه فقد يكون السؤال فى حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكى عن بعض السلف انه قال تجاسرت البارحة وسألت ربى المعافاة من النار وكما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكى رحمه الله عن بعضهم انه قال كل المقامات نلت منها شيئا الا هذا الرضى فانى ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك) لو اخرج اهل جهنم اجمعين وادخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم اجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى للحكيم عليه الصلاة والسلام مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفى أى وقت يقع له ذلك وقد يكون فى بعض الاحيان الرضى فى حقه أولى وأفضل بالنسبة الى حاله وما اختص به فى وقته ذلك وقد يكون فى وقت آخر الدعاء والتملق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ثم نرجع) الى ما

كما سبيله من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك فى الرضاعة فى مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاء من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع أن يكون لهم أرضا فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيخه الذى أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه فى الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ أنه وجده فى بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر لا يقدر أحد أن يجازى عليه الا الله تعالى

(فصل) وينبغى له أن يكون أهم الامور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب للفتح غالبا (وليحذر) أن يقبل ما تلقيه اليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع بالاخوان أو الميل اليهم أو الميل الى رؤيتهم فان النفس مجبولة غالبا على حب الراحة والبطالة وهى لا تجد لذلك سبيلا مع دؤوب الخلوة ولا تجد السبيل الى أن تسرقه أو تقيل به عما هو بسبيله الا بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب الا التوبة والاقلاع والانتقال وكان فى غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله فى كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت أخلو لاسلم من ضررى للناس فصرت أخلو لاغنم فصرت أخلو لافهم فصرت أخلو لاعلم فصرت أخلو لاتنعم اه (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه المقامات الجليلة التى انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه كما تقدم اذ أن طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع فى حق اخوانه المسلمين فاذا خلا بنفسه لكى يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك مما يتصوره فى مخالطته لهم فيحصل بسبب ذلك فى القسم الذى شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله (فلما) ان حصل هذا المقام السنى ترقى بعده

الى

الى ماهو أسنى منه وهو حصول الغنية فهو فى أعمال الآخرة ينتهيها اذأن الخلوة التى هو فيها اعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق (ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ماهو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وحلمه بجاهلهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة ما لما عدا ماذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ماهو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ماقد علم (فلما) ان حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ماهو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ بالطاعات التى يعاولها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن) حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (الا ترى) ان بعضهم كان يأكل أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون ان يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذلك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم

سبحانه وتعالى ان هذا البدن لاقوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يعكسوه وتركوا القوت الحسى (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله اعلم ان الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لاقوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا أوكما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون أو النشاف الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتنم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر رأيت انى لا أحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه) الذى ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو أنه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدتها ما يحدثه الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذلها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثورى الاعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعى عن الخشوع فقال يا أعيمش تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الخشن ولا بلبس الخشن وتطأطئ الرأس لكن الخشوع ان ترى

قوله أو النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون أصحابه اهـ قاموس

الشريف

الشريف والدني سواء وان تخشع لله في كل فرض افترضه عليك اه (والغالب) ان هذا قل ان يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنية والمراتب العلية فليشد عليها المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

(فصل) وآكد ما عليه في خلوته النظر في الجهة التي يقتات منها فليحفظ على نفسه من الشبهات التي تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه (اما) أن يكون يعرف أصلها مثل ان يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) ان يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما ان يكون بغير واسطة والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذي قبله ما لم يعرف به الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهي كثيرة لا تنحصر (وأما) القسم الثاني وهو أن يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فههنا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر ويضر (القسم الثاني) عكسه لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذي يسر ويضر هو الفتوح الذي يأتي من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك ويتضرر في نفسه لاجل فقره فهذا ينبغي للمريد أن لا يرزأه في شيء ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك (وأما القسم الثاني) وهو عكس الاول وهو الذي لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذي يأتي من عند من له جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو أخذه منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد في هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله في الوقت ولو قدر على ان لا يأخذ منه شيئا لكان أولى به وأرفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغي أن تكون يدهم هي العليا (كما جاء) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا

خير من اليد السفلى وقد فسره فى الحديث فقال اليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة (وقد) اختلف الناس فى هذا (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلا فى قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسئولا فيدك هى العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المكلف لا يخرج صدقة حتى يفك فيها لحى سبعين شيطانا فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وقاتلهم وآتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك ان يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويئسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هى العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل للآخذ المؤمن من الثواب فى الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكى ان شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمنى فقام انسان ممن له اتساع فقال عندى فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده ورفع لقمة وبقى بها فى يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندى فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الاول الى الجنيد فأخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لى طعاما مفتخرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا فرفعت اللقمة وأنا أتخير أى قصر آخذه فى الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد قال اللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى ان آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا فى الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنيته ان لو كانت له الدنيا بحذافيرها فهو يستقلها تقدمة أو كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده

هى العليا اذ أنه فى حقيقة الامر يعطى ما يبقى ويأخذ ما يفنى فتأمل ذلك تجده صوابا وذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر فى هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لا يخالط الناس ويقيم فى البرارى والقفار أو يكون تخرق الله تعالى له العادة لا يتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذى يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور وبذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثانى عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرور لعدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الا من وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) انه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما امكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له من ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المتسببين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه انه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذه منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا من كان مثله أو يقاربه لا جرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس لبنا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الايام لا شئ عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا لانه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل

البيت خشية من الاولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس في المسجد حتى صلى العشاء الآخيرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كان كل واحد منا أكل خروفا وهم في الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ما هم فيه وبقي أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وأنواع) هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الأفراد من الاولياء لانه وان صبر في نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون في الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولأجل) هذا المعنى قال سيدي أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره في ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) في ذكر ما ابتلي به بعض من ينتسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما في الارض من الاموال المدفونة فيها وهي التي اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر مما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من تعانيهم استخراج ما في الارض مما تقدم ذكره وهذا قبيح لو فعله بعض العوام فهو في حق المريد أقبح وأشنع اذ أنه خالف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه في طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله في دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم في اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية في ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا ان من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذ أنهما ضرتان متنافرتان فهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم

الا ماورد من أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض
الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم
على أنفسهم منها ومن طلب شيئا مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطلبها
وذلك مذموم يذهب بجمع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا
يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى
الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل
السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه
الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر
عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا
القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى أين هذا المقصود أو كما قالوا
فقسموا ذلك أثلاثا فجلس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليأتى
بالدواب والاعدال وما يأكلونه فلما أن مضى لذلك تحدث الاثنان فيما
بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان أولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا
على أنه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال
الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال
كله لى لكان أولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له ان يعمل سما فى الغذاء الذى
يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما أن أقبل على
صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم أكلا ما أتى به من الغذاء فماتا فبقى الثلاثة
هنالك مطروحين فلما أن رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته
ومر بهم فوجدهم هنالك طرحى فقال للحواريين ألم أقل لكم هذا القاتول
(وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن
أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه
اه (ولا شك) ان من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع
البركة منه فطالب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب
البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ لو كان ملء
الارض ما أغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم
الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن كيسان رحمه الله

باسناده الى ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فرض فقال
أحدهم اما أن تمرضوه وليس لكم في ميراثه شئ واما ان أمرضه وليس لي
في ميراثه شئ قالوا امرضه وليس لك في ميراثه شئ قال فمرضه حتى مات ولم
يأخذ من ميراثه شيئا قال فأتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ
منه مائة دينار فقال في نومه أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته
فقالت امرأته خذها فان من بركتها أن نكتسي بها ونعيش منها فأبى فلما
أمسى أتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال
أفيها بركة قالوا لا فلما أن أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الاولى
فأبى أن يأخذها فأتى في الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ
منه دينارا قال أفيه بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى
السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال فأخذهما
منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن
كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة
ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك
قال ما تصلح هذه الا باختها فاطلبوا اختها وان أضعفتم قال فجاؤه فقالوا
أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال
فاعطاهم اياها بضعف ما أخذوا به الاولى والله سبحانه وتعالى أعلم (فانظر)
رحمنا الله واياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التي
عرضت عليه أولا (فالحاصل) من هذا ان البركة كامنة في امتثال السنة
حيث كانت لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم
الاستشراف حلت البركة (ولاجل) هذا المعنى تجد كثيرا من أهل هذا
الشان الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم
غيرهم في أمر الآخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه
من أمر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب
ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول
بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدي أبا عبد الله الفاسي رحمه الله يقول انه
كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع

ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن
اجابتي فبقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الاوّل قال فسألته عن
موجب بكائه وسروره فقال انى كنت أجمع بين الماء والاحجار فى الاستنجاء
فابتليت بانى اذا أخذت حجرا أستجمر به أجده ذهبا فأرميه وآخذ غيره
فأجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك الما نزل بى فبقيت أتضرع الى
الله تعالى فى دفعه حتى أزاله عنى فصرت آخذ الحجر فأجده حجرا كما هو (وقد
حكى لى) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من
البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوحا مملوءا ذهبا قال فكنت أولى
وجهى عنه فلما أن كان فى بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت
وجهى فرددته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد
(وقد حكى) عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع
ذلك يرى فى المنام كل ليلة قائلا يقول له انك بخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما
ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه انه اذا فتح له من الغد بشئ يعطيه
أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فأول
من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فأعطاه الصرة فقال
له الشاب لا حاجة لى بها عندي قوت يومى فقال له اعطها فى أجرة المزين فقال
له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له
خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لى بها فقال له هى خمسمائة دينار فقال
له المزين اما قد قيل لك انك بخيل فوجد فى نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة
فرمى بها فى الفرات (فاذا قيل) اذا كان هذا بخيلا فما بالك بمن ينسب الى الطريق
ويطلب المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الأمر
لآرائنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر من الهواجس فى أنفسنا
بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف الماضين وقد مضى
ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه لا يليق بهذا
الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أنّ
الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع
ان ما تقدم ذكره عن الشيخ أبى عبد الله الفاسى فى هذا الزمان وقع مثله

كثيراً من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولا شك) ان من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف فترتفع البركة عنه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أكثر قبحها وبشاعتها (ألا ترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهاراً سواء كان مسجداً أو غيره من املاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد أن يخرب مسجداً أو دار المسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويبخرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباطشة أو كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (يدلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى قل ان تحفر لهم دار أو كنيسة أو بيعة والكل في بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وفست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شئ من ذلك صحيحاً فما فيه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك انما هو من الامم السالفة بالبينة بحيث شيئاً الا وقد احاط به مهالك عظيمة فقل أن يصل أحد الى ذلك الا بعطبه وعطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك في الارض لا يخلو اما ان يكون في فيافي الارض من أرض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذي يؤخذ منه

الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثانى الندرة توجد فى المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (وأما) ما يوجد فى غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع أخذ عنوة والثانى أن يكون أخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولاد أولادهم وذلك موجود فى الغالب اذ أن اولاد الصحابة موجودون بين اظهرنا فى هذا الزمان وان كانت صلحا فما يوجد فى ذلك الموضع فهو لاهل الصلح فان عدموا فلأولادهم ثم لأولاد أولادهم وهم ايضا موجودون وهلم جرا وللمسئلة فروع موجودة فى كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا ان واجده ليس له فيه شئ الا التعب واشغال ذمته بشئ كانت عنه فى غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وما شاكله اذ أن غنيمة المسلم انما هى براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى فى اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدى ضرره لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم اذ أنهم مختلفون فى فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده انها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم انها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذممهم بأموالهم وكل ذلك حرام سحت (ومنهم) من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز أيضا لان الذهب المعدنى والفضة المعدنية ينفعان لامراض ولهما خاصية فى الادوية وغيرهما مما يعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا أو يموت بسببه لانه لابد أن يكون فى غير المعدنى عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيأ من ذلك فقد شغل ذمته باموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين انها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذى قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ فى هذا الزمان

بسبب انه ان بين موضع صارت اليه فالغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر (هذا وجه) (ووجه ثان) وهو أنه ان بين انها من صنعة يده تعزق عرضه والغالب انه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شئ (فاذا) سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من مخالطة من يتعانى ذلك أو يشار اليه بشئ ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بها عزة الفقر وعزة الاياس اذلا بد ان خالطهم ان يشغف بشئ ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلي ممن يشار اليه بشئ من ذلك لان حال المريد نظيف جدا والنظيف أقل شئ يقابله من الوسخ يؤثر فيه (الاترى) أن الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان أقل شئ من ذلك يدنسه (ولهذا المعنى) يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا (والكيميا) على الحقيقة انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لانه عز وجل كما ورد في الحديث يستحي أن يرد يدي سائله صفرا (وقد) قال عروة بن الزبير رضي الله عنه انى لادعو الله في صلاتي لحوائجي كلها حتى الملح لعجيني وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ياموسى سلني حتى الملح لعجينك فوعزتي وجلالي ائن منعتك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال (وقد) روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع (فسبيل) العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر (قال) الله تعالى في محكم كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (وقال تعالى) ومن أصدق من الله حديثا (وقال) ومن أصدق من الله قيلا (فالعاقل) اللبيب من شمر عن ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه وأناب اليه (فاذا) حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت

عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء
بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى
قانون معلوم لانه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال فى حقه أين ولا كيف
فكذلك ما ستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطايا الجمة وهداياه التى
لا حصر لها (وقد حكى) عن بعضهم انه اصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع
الى الله سبحانه وتعالى فى خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول
أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها اربعمائة درهم
(وقد حكى) عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده فى جيبه وأخرج
ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شئ فيه ثم انه
مع ذلك اذا طلب منه شئ فى الحال أدخل يده فى جيبه فأخرج منه ما طلب منه
فسئل عن ذلك فأخبر أن الخضر يأتيه بكل ما يطلب منه (وقد سمعت)
سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى انه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح
يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقر وكان الناس فى
سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة فى جماعة الى بيته
فوجد أولاده يبكون فقال لامهم مم يبكون فقالت من الجوع قال فتركتهم
على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الارض وقلت
يارب هؤلاء يبكون الى وأنا أبكى اليك اعطنا شيئا نأكله قال فاذا سحابة
قد طلعت فجاءت فعمت الدار فامطرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت
الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقى عندهم يأكلون منه
الى ان دخل القمح الجديد (وقد تقدمت) حكاية سيدى الشيخ أبى محمد
رحمه الله فى انه بقى فى وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك
لم احتج الى شئ طول حياتى لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال
للسنة لا غير (فمن) رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة فى كل زمان
وأوان (ولا حجة) لمن يقول ان هذا زمان وذاك زمان (لان) المعطى فيهما
واحد لا يتغير ولا يزول (والعجب) ممن يتوكل على الله فى نجاته من النار
وجوازه على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا
يتوكل عليه فى كسيرات يقيم بها صلبه وفى ثوب يستر به عورته (ولاجل) هذا

المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسئل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الاهوال ما خلصه للتوكل على الله تعالى فى كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لا بد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص ايمانه فى هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الاهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع فى هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ما قتا الاحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لا تحرمنا ذلك بمنك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

(فصل فى دخول المريد الخلوة) وينبغى للمريد أن لا يستقل الخلوة بنفسه لان الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أو فعل انشاف أو غير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام فى وصيته لولده يا بنى عليك بذوى التجارب اه لان من جرب قد دخل فى المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم ما يجتنب منها وما يحذر وما ينبغى أن يفعل وما يستعان به

(فصل) وآكد ما عليه فى خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه ممن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله ولقد قال شقيق البلخى رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) اتق الاغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله (وقال) اذا أردت أن تكون فى راحة فكل

ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دارسول الشهوات فانه يدور بدرجاته فى الجنة لياكلها فى الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ الرازى العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع (وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق (وقال) أبو حفص عمر النيسابورى لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل يا أبا حفص هل لهذا فى القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندى كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبى رحمه الله الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك (وقال) الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكاف من الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالى من أكلها من أحمر وأسود (وقال) شقيق بن أدهم البلخى رحمه الله تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد فى الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية فى عمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلات السلف دينا ومناقب

الأدلات بوزن الاحوال ومعناها اهـ

لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة والجنة
راغبة اه (وينبغي) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن في
العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا)
كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد امرين (اما) أن يكون عنده
من المكاشفات وخرق العادات ما يغذّي به المريد في خلوته فان كان كذلك
فهو الكبريت الاحمر الذي لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة
على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر
ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه
صفته (واما) أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق
العادات فلابد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع
على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة
العادات (والحذر) الحذر ان يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب
(واعني) بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات واما الخلا
بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه
مطلوب به في الخلا والملا لا فرق اذ ذاك في حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم
في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لاجل حال الزمان فما أسعده
ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضي الله عنهم
أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (ألا ترى) ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يربي أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الاسواق يحترفون
وفي الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المريدين بعد
انقراضهم رضي الله عنهم (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة وسيدي أبو
محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للبنات الابكار اه
(وانما) جعلت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون
اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم
السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل
الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها
والدسائس التي تطرأ عليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن

يكون عارفا بحال المريد وما يتقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (وأخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أوفر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به ثم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير فى طريقه وحير من لاذ به هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل

على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو اصلح منه فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه (ولهذا) المعنى الذى أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا أن ينظر في الدين لمن هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر في الدنيا لمن هو أقل منه فيحمد الله الذى فضله عليه هذا هو السمو والرفعة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حظنا منه الكلام بمحمد وآله (وأما قوله) ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه (فمثاله) من كان من أهل الفضل والخير واقامه الله في مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد ممن يريد أن يرجع الى الله ويتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذى هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لاشك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه في التعب أكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لاذ بهم وبخدمتهم أعنى في الاقتداء وأما البركة فلا بد من حصولها غالبا للحديث الوارد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم بمنه (وأما) قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه (فمثاله) الرجل الصالح المتمكن في طريقه اذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة وأقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما هو العون له على ما أراد ثم يرقيه بعد ذلك شيئا فشيئا حتى قد يبلغ في أقل زمان الى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته اياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض أولا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولا وانما أمر أولا بالتوحيد لا غير وأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما ان ظهر المشركون على المؤمنين أمر عز

وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره
بالقتال ثم لما ان كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيئا
فشيئا فلما ان تقرر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل
بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فلما ان تقوى الامر أكثر من
ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما أن تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل
بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا فى
حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى
(فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم وخاطبهم
أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا الا
يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذى أشار الشيخ رحمه
الله اليه أخيرا مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس
به ووجدوا الراحة فى ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد)
قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل
فى التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول (ولاجل)
هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام فى السوداء حين سألها أين الله فقالت فى
السماء فقال لصاحبها اعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها
بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفى ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام
هى الالهة فى الارض فاله السماء واله الارض هو الله الواحد الاحد الموجود
لا أنه سبحانه وتعالى حل فى السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن
السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع فى صنعته ومعاذ بن جبل رضى الله عنه
الذى كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه
السلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال له عليه الصلاة
والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ
الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لاجل
ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحد منهم فينبغي له أن ينظر الى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشدّ يده عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو الى العودة اذ أن خطاه تبقى لغير فائدة (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغي للمريد أن يتردّد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها ذلك (ولا ينبغي) أن يسيء الظنّ بمن لم يحصل له منه شيء اذ أن ذلك محتمل لوجهين الاوّل أن يكون المزور من الاكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون بغيره مقصور عليهم لا يتعدّاهم فاذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم انه ليس له عنده نصيب فتركه ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يفصل فيه بين ان يكون المريد من أهل التمييز لما تقدّم ذكره فان كان كذلك فحكمه ما سبق وان لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعي من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدّم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعوّل عليه في أموره ويحذر من تقضي أوقاته لغير فائدة (قال) سيدي أبو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اه لان الفكر فيما مضى هو من باب تدبب الاطلال كما تقدّم والفكر فيما يأتي ادّعاء من النفوس تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات الغيبيات عنا وهي كثيرة

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون أشدّ الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) أن المريد يصبح

السانية كالدائرة هي الدابة التي يسقى عليها اه

عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ما قدّر له ثم
يجلس بعد ذلك فى مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقده
فيتكلم معه فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح
له فى شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الاشياء
بالشكر زادت أو تمادت وان رأى وهو الغالب أنه فى نفسه لا شئ وانه لم
يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابى لشديد
والكفر عام ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء انهن
أكثر أهل النار قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال
يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى
فقال باب كفر دون كفر (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا
يقيدها بالشكر كما تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله
جهده (ولا) يظنّ ظانّ أن قول من قال ان الصدّيقين لا يكونون فى يومهم
على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون فى اليوم الثانى ترقيا ومن ذلك
قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أو قالت لا أزداد فيه علما
لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثانى
فلا بدّ له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الامر والنهى
والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته
فى يومه وذلك ترق لا شك فيه (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام
فى الحديث الذى أخرجه مالك رحمه الله فى موطئه ان أخوين مات أحدهما
قبل صاحبه بأربعين يوما فأثنى الصحابة على الاوّل فسأل عليه الصلاة
والسلام عن الثانى فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم
ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل
يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا فقال عليه الصلاة
والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ ان
الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المريد وامتثل ما كلفه فهو زيادة
فى حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها
فان حصل للمريد زيادة على ما تقدم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل

له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من منّ عليه بها وأحسن اليه فيها

(فصل) وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجس والهواتف لا تحصر اعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فاشكل عليه كثيرا ما يقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص ويذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تحصر فاذا كان مميزا للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) أربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني (سمعت) سيدي أبا محمد رحمه الله يقول الرباني أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلي مع السابق فما عبر ذلك الا وقد استقر هذا في محله وحدّث وسوّل وشهى ولاجل هذا المعنى وقع الخلاف عند بعض من ينسب الى شيء من هذا المعنى وما ذاك الا لسرعة ما تقدم ذكره فيخبرون بأشياء قل ان تقع في الغالب وان وقعت فبالمصادفة لان ذلك من جهة اخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبروا بشيء الا ويقع كما أخبروا به لان ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر) ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد له أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعوّل عليه الا على سبيل التبع والتأنيس (وأما) الخاطر الملكي فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو بخير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملكي في شيء (وأما) الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشيطاني فهو لا يأمر بخير أصلا الا أن يكون ذلك الخير يؤدي الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفساني والشيطاني بأن الشيطان لا يريد الا الوقوع في المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية

تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هي كائنة ما كانت (والخاطر النفساني) هو الذى يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لابد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لا شك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا من عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق

(فصل) جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلابد له من الخلوات اذ أنه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (ألا ترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفعه به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من احدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيئان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) ايضا قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك مشدد فقال مالى لا أشدد وقد رصدنى أربعة عشر عدوا أما أربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال ثقتى بالله

وإياسي مما في أيدي الناس (وقال) مارأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء نحن عليه (وقال) ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اهـ (وقال) بعضهم ان لم يكن في المبتدي خمس خصال والا فلا ترجه عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الاكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيئا (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن يفني ماله و يقضي ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش افضل منهم يقينا (وقال) من عرف الله لا يسر الا به (وقال) لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته أكثر مما ناله (وقال) من نظر الى ولي من أولياء الله بقلبه وأكرمه الله على رؤس الاشهاد (وقال) ذو النون المصري رحمه الله من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في اخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه (وقال) من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا (وقال) ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم أوصني فقال أقل ما في هذا الامر بذل الروح فان أمكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية اهـ (وقد) قيل ان لقمان عليه السلام كان عبدا أسود نوبيا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنيني (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله قال وروى عن أبي الدرداء انه قال لولا ثلاث ما أحببت ان أعيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى أطايب الثمر (وروى) عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد

الترهات بضم التاء وتشديد الراء المفتوحة المواضع المتشعبة في الطريق الجادة اهـ

نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدى أحب الى من ان أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال له ما هذا يابنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يابنى (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من أن أتصدق بألف دينار (وقال) ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب (وقيل) لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عزوجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فظلت فيه * كأنى ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقى) حكيم حكيما فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا (وقيل)

الفربرى بكسر ففتح فسكون نسبة لبلد بخارى اهـ

للمغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب الينا ربنا وهو غني عنا ونتبغض اليه ونحن اليه فقراء (وقد) قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع (وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي اه كلام الباجي رحمه الله (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله سمعت منصور يقول لما خلق الله آدم قال انى جاعل لبصرك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك ان تنظر اليه فاطبقه وانى جاعل لفيك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه وانى جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك اه (وقد) قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك (ومن) كتاب الباجي أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء انه قال انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يجنب الله النار من يخشاها وانما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يا بني خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لى قلب واحد فقال يا بني ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل أحدهما بصاحبه (وقال) عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لا تشك فى الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا تشك فى البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني ان الانسان اثلاثة فثلثه لله وثلثه لنفسه وثلثه للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه واما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا واما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه الا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت (وقال) ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه (وقال) ابن القاسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشى على الماء

فقال

فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان فى بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا انى وقع فى نفسى انى مثلك (وروى) عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بى الشيطان آنفا حتى رأيت ان لى فضلا على من خلفى لا أؤم أبدا (ويروى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد لا أولاه وأمل لا ينقطع منتهاه (وقال) الاصمعى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغنى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اه كلام الباجى رحمه الله (ويروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد وقد أنشد بعضهم

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل وان تدعوله الملائكة ويحشر فى زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) ان الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخادمه يا أبا عبد الله ان همى فى قبرى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لاذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت ان داخل قبرى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن امى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى

الذى فى الطبقات وغيرها أنه على زين العابدين ولعلهما اتفقا اه

وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم اقف بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشى ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا ابا عبد الله اصل الاسلام فى هذه الفرائض وهذه الفرائض فى حرفين ما قال الله ورسوله افعل فعله فريضة ينبغى ان يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغى أن ينتهى عنه اه

(فصل) وينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله فى كتاب آداب الصحبة له الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج فيها الا ما يرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه وما يجرى نحوه من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل وما يجرى مجراه (والصحبة) مع أصحابه وأهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم فى الاحكام والسنن فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى (والصحبة) مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من أهان لى وليا فقد آذننى بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فاذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يديه والنصيحة له فى جميع أموره والصلاة والجهاد معه فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال

الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (والصحبة) مع الوالدين برهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الاوقات مادامافي الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عداتهما واكرام أصدقائهما فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه وعن أبي اسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذجاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي علي من برأبوي شئ ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الابهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم مالم تكن اثما أو معصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى ومايكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ماعظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام وورثته فانه روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والسكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

*من دعانا فأبينا * فله الفضل علينا * فاذا نحن أتينا * رجع الفضل الينا *

(فصل في آداب صحبة الاعضاء) اعلم ان لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى اخيه نظر مودة ومحبة يعرفها

هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لا يصرف عنه بصره فى وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشته لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كلمك لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته فيه واظهرت له عذرك (وآداب اللسان) ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم ان أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بقدر فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) أن يماشى اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هى آداب الظواهر وهى عنوان على آداب السرائر (الاترى) الى ما روى فى الاثر عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما (وصفة) اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء أن يكون من الموفقين

(فصل) قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى (فالاول) معدوم (والثانى) مفقود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (أما الاول

الذى

الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين
وكالعلماء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا
وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان
حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجلس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش
قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون
الى خلواتهم أنشط ما كانوا أولا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر
هذا الزمان غالبا ممن هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى
الله تعالى المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع
نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به
وأنت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن
المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى أبا محمد
رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك
عندك مثل أبيك وهو أعلاهم (والثانى) أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو
أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان
مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذ ذاك اه أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء
وأما أخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك
فهو حال المريد مع شيخه اذ أنه ليس للولد مع أبيه حديث فى شئ لقوله عليه
الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن
المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضى شيخه واذنه
(وأما) الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل
رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ
دينارا أو درهما أو ثوبا أو غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع
اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا أخاه مثله وان أكل طعاما أطعم أخاه
منه أو مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى
أن يكون عندك مثل عبدك أعنى ان العبد يجب عليك أن تقوم بضرورته
من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه
وكذلك المريد مع أخيه اذ أنه لا يشبع المكاشف وعبده جائع ولا يلبس

وعبده عريان الى غير ذلك (وقد) خرج البخارى من حديث سعيد المعرور ابن سويد قال رأيت أبا ذر الغفارى وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال انى ساببت رجلا فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم اه (فان) تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغى أو يتعين عليه أن لا يدعى الاخوة لعجزه عن القيام بحقها اذ أنه قد يشبع وأخوه جائع وقد يلبس وأخوه عريان فيوجب على نفسه حقا لم يكن عليه فتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية (وهذا المعنى) قد كثر فى هذا الزمان فاذا احسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الاخوة فان أجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الاخوة معه ولا يرجعون اليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله أبات جائعا أم لا أو هو عريان أم لا (وقد) يكون منهم من يتفقده لكن بالرؤية والسؤال ليس الا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذمتهم بشئ كانوا فى غنى عن ترتبه فيها (ألا ترى) ان العبد اذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته أمره الشرع ببيعه فالبيع فى حق العبد مقابله فى حق الاخ فانك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت أخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم (يشهد) لذلك ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أن آخى بين المهاجرين والانصار كان الانصارى يقول لاخيه من المهاجرين عندى من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكان المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا أصل مقرر فى الشريعة المطهرة (وقد حكى) أن بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله أحد الا للمخالفة فتأوه وقال أخى يقع وأنا بالكساء فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأخيه فجاء أخوه الى بيته فأخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاء مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال اخبروه بأنى قد تبت الى الله تعالى

ووجدت اليه فاخرج اليه الابعد أن تحقق قضاء حاجته فيه (فينبغي) أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعها اذأن من ادّعى ماليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاوّل للامام الشيخ الصقلي رحمه الله وهوقوله والثالث موجود فلاشك انك اذا خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان أوعاشرتهم بملابسة مّا تجد من كثير منهم الأذية البالغة امافي دينك أودنياك أوعرضك وهذا هو الداء الذي لاشك فيه فان أنت خالطته وجدت ماذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذي قال عنه انه مشهود فلاشك في مباشرة ذلك في هذا الزمان (ألاترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم في صلاح دينه في شئ مّا قابلك بانزعاج وخلق سئ وأقل جوابه أن يقول لك ماحقرت في الناس الا أنا حتى تأمرني وتنهاني أو يتسلط عليك ببذاءة لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردّها سيئات وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كماهي الدفلي اذاتنا ولت منها شيئا وقد يفضي ذلك الى العدم اذقيل انها سم فيتعين عليك أن تفرمن هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الاوّلين فياسعادته ان ظفر بأحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذأن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه مايحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان

(فصل) من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغي) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودّد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم يفقرهم (واذا) أحسن الظنّ بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله التخلق بأخلاق

الشاكرين (واذا) تناهى الشر جملة فسبيله تطهير القلب من دنس
هواجس النفوس فى حق اخوانه المسلمين (واذا) عاملهم بالسخاء فسبيله
البعد من صفة البخل والتشبه بأهل الفضل واليقين بالخلف والحذر من
أن يطلب الخلف الفانى اذ أن كل ما جاءه من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا)
عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله عدم الفراغ والاشتغال بوظائف
التكليف (واذا) عاملهم برؤية المحسن منهم فى كل شئ والتعامى عن القبيح
فى كل شئ فسبيله الغيرة فى مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبائح بعيوب
النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن (واذا) تواضع لله فسبيله
اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق فيكون ذلك منه
دون تفاوت واغايفعله لاعتقاد الاثرة لهم عليه (واذا) أظهر ذلك لهم
فى بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن
بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئا حسنا فسبيله
العلم بأنه لا فاعل للاشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه
جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى
فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق
فى حزب العدم فانهم لا يملكون له شيئا (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه
فسبيله ترك الفراغ وهو أنه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى
فيحصل له بسبب ذلك الربح أو يجبر رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله
عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وخدمهم
وأماط الاذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار
البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطف فى نصح من زل منهم فسبيله
طلب حط الاوزار والظفر بمحبة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح جملة فسبيله
الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الغرض بطلب أدائه كما وجب فسبيله
طلب التقرب الى الله عز وجل (واذا) أحسن لكل مخلوق يجوز الاحسان
اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم
بعاقبتها وما لها وطلب الرقى عن الارضيات (واذا) قلل الطعام بحيث
لا يدخل عليه به ضرر فسبيله التحقق للعبادة والتهيئ للفهم عن الله تعالى

الاثرة بالضم المكرمة اه

والاقبال

والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع صيانة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا) ترك التنعم بلاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك الهمز والاحتقار بالخلق فسبيله طلب التبرى من صفة الجاهلين (واذا) ترك الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا (واذا) ترك الحزن على مافات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه فسبيله الفرار من تفرقة القلب فى شعاب الغفلة (واذا) فوض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع جلال الربوبية (واذا) توكل على الله ثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت بالتكليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها فسبيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفى والجلى كالخبز لا يشبع والماء لا يروى والثوب لا يدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك التملق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله تعالى فى حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن الخلق بباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق (واذا) ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسبيله سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسد باب الشر كله فى نفس أداء المفروضات اذ هى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فمت فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) أردت أن تعرف منزلة قربك عنده فلازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة

الحق واجلال الربوبية . (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال
المخلوقين دقت الحاجة أوجلت فسبيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا
مع الربوبية (ومن) آكد ما يحتاج اليه المريد فى ذلك ان لا ينزل نفسه
فى صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن
ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم اه (ومن) كتاب سير السلف
قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء
البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال
أيضا) التاجر برأس مال غيره مفلس اه (ومن كلام) على بن رزق رحمه الله
ياهذا هلا حجزك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق او أن تشكو
حالك فى دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك أو تحب الى أمر لا تحقق
رشده ولا تأمن ضرره ياهذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزانة سرك
والزم مراقبة مولاك فى كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان
رأيت شرا فافتقر فيه اليه وانظر الى الخلق هياكل مصرفة وأسبابا مسخرة
ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحته الشريعة وحسبك
من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره
بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان فعل غيره مجاز
لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

(فصل) فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم
ولينظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم ان المالك لا يضيق عن رزقهم وان
ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وان وجوده وعدمه فى
حقهم سيان اذ أنه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أولياء فلن يفعل الله
معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له فى دفع المضار عنهم وليقل
قد استودعتهم من لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان
عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

(فصل) فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس ومخالطتهم بالاذية
والجفاء منهم فيتعين عليه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا
نفسه فى الذى قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم اذ ذاك

ان من قال فيه ما قال انما هو نذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل لمن قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) ان يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية منه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب ابن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة خفى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرنى مخبر أن تسعة أعشار العافية فى الخمول والغنى عن الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حيلة حسنة فى التخلص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذ أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق الالتجاء الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال افتكر فى الموت تهن عليك المصائب (وقال) ما رأيت أفقه من النفس يعنى فى شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية (وقال) ليس الا دنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعو الى شر كثير وفى الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون

ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه خلقا فى ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شئ ذلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) اطمع فى رحمة الله عز وجل على أى حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أى حال كنت من الاجتهاد وإياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الامانى فانها اغترار به واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام (وقال) اذا كان الماضى لا يرجع والقدر لا يتبدل فما راحة المهموم عاجلة (وقال) خمس يورثك غما فى الدنيا وهى فى الآخرة أشد بلاء الا ان ينالك عفو الله عز وجل فاستقلل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخلق (وقال) لقد رابنى ما أراه من كد الخلق للدنيا وتهرعهم عليها فى اعمارهم ولقد رابنى ما أراه من تكالبهم عليها وفرط جنوحهم اليها فى عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة حقروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازحتهم فى دين أو دنيا أهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبى الله ثم حسبى الله منهم (وقال) رجلان اكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما ليأسى من فلاحهما غالبا طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحم الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا تساعده وآثر هواه وأمنيته عاش دهره فى تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التى يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التى يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم النبل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا لا أصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل (وقال) الراحة فى الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غنى عاقل أو أحمق مبخوت (وقال) يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستبينة والدلائل البينة ان مكالمة الناس تنتج ندامة والصمت عنهم سلامة ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض فى أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم ساعون من حالهم

مصرون بعيون رؤسهم الا من رحم ربك وقليل ماهم فما يصفى اليك منهم غالبا الا متهم أو مكذبا أو غير محصل فاصحبهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الا جوابا بما لا درك فيه عليك فى دين أو دنيا فان أنت صبرت على اذاهم كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب فى العاجل وندامة فى الآجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثر بالاول بأسوأ من الاغترار بالثانى فالرأى ان يعدّا جميعا فى حزب العدم حتى لا تأثر للاضطرار اليهم ولا للجفاء مع امتثال الامر والنهى فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والصبر فى طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليقة (وقال) من تفكر فيمن سلف ونظر فى المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة (وقال) من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يغتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لا فاعل للموجودات الا هو اقتصر فى كل مارام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتفضل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وافد عليها عمل لها (وقال) الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفى هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الا عيش الدنيا أو عيش الآخرة ولن يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس (والثانى) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر أيهما شئت والسلام (وقال) يا هذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير فى صحبة غير الله (وقال) ما أحقك بالنوح على نفسك ما أولاك بالقاء التراب على

رأسك * ما أغفلك عما خلق لك * أنسيت عظائمك * أم أمنت عقاب ربك
بادر يا مسكين واحذر وسد الباب وقطع الاسباب * واستنزل بكشف
الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالتزم في الطريق
مع أهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أو
نحوها فان سئلت من أين فقل من أرض الله فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغي
فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله * فان تصامت لم تحسن واذا
دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحبة توجب عليك حقا واحسم التعارف
البتة وافتقر الى الله في حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان
صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ
الوسع (وقال) خلقان لا أرضاهما للفتى بطر الغنى ومذلة الفقير فاذا غنيت
فلا تكن بطرا واذا افتقرت فتيه على الدهر (وقال) رحمه الله الدنيا دار بلاء
والبلاء لفظ مشترك تحته أنواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب
وذهاب المال * واذى الناس * والاسقام * والجوع * والعطش والقمل
والذباب * والعقارب * والحيات * والسباع * وفقد الوطن * والبرد * والحر
والعري * والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غير هذا مما لا يكاد ينحصر
فما وقع منه فلا تنكر وقوعه في محله ولا تستغربه وانما استغرب فيها المسرات
لانها ليست بدار لها ولا تقابل شيئا من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها
متى وقع منها شيء والاستعانة بالله تعالى في زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة
(وقال) من تفكر في أمسه وغده فنم ما في يديه من يومه (وقال) بالله المستعان
والالتجاء اليه عنوان النجح * والقرآن حبل العصمة * والسنة طريق السلامة
والفكرة مفتاح الرشد * والهمم مثيرات العزم * والتبصر ثمرة الصدق
والظفر نتيجة الصبر * والاستغاثة درج الوصول * والتضرع أمارة الخلاص
والصبر مظنة الاجابة * والالحاح مقدمة المحبة * والتواضع سلم الشرف
والسخاء خلق الايمان * والزهد شعار التقوى * والتوكل حرفة المعرفة
والتفويض علم السعادة * والخوف أثر الجد * والرجاء افادة الجهد * ورحمة
الخلق دليل الطهارة * واحتمال الاذى عين الفتوة * والجزاء على الاساءة
بالاحسان خلق النبوة * وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح * ومخالفة

الهوى قتل النفس * وذكر الله رأس مال العابدين * من ترك الشهوات قرع الباب * ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب * قيام الليل بستان العارفين * الاحوال مبلغ القوم * من رأى لنفسه فضلا على شئ من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنة السلو عن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب * من هانت عليه نفسه فهي على غيره أهون * ومن صحب التسويف أداه الى الفوت ومن فاته مولاه غرق في بحر اليأس * الدنيا سلامتها غرر * ولذاتها قذر قال الشاعر

فخير لباسها نفثات دود * وخير شرابها قئ الذباب
واشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب
ومن قرب يعود الكل تربا * بلا شك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء أن أربعة لا ينبغي للعاقل أن يأمنها فطلبتها في حفظي فلم أجد منها سوى واحدة وهي المرأة وان أبدت الود وأظهرت النصح (ولا) يبعد عندي أن يكون الثاني السلطان وان أبدى التقريب والمصافاة (وأن) يكون الثالث المال وان كان جما وافرا (وأن) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع بهذه الاربعة ففاته أوثق ما كان بها وأسلمه أميل ما كان اليها (وقال) الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك * والتعب كله في اختيارك لنفسك ومدافعة الايام شيمة الكرام * واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل * واطراح الأمل سعادة * وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقال) يا هذا اذا رأيت انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد أو أشد وان قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اماتذكر أن تعبك في الدنيا قديما وحديثا انما جاءك من معرفة الناس

(فصل) وينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر في الورد على ما سبق من الصلاة والصوم بل كل أفعال المريد ورد (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من اخوانه ويكون نائما هو في ورد النوم فالنوم وما شاكله هو من جملة الاوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا)

كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما ان وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك ورده من الاوراد اذ أن أوقاته مستغرقة فى طاعة ربه عزوجل فلا يأتى الى شئ مما أبيح له فعله أوندب اليه الا بنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعنى التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أومن حال يرد يكون سببا لترك شئ من ذلك ألا ترى أن المندوب فى حق المريد بل الذى يتعين عليه انه اذا حصل له بكاء أوتضرع أوخشية يستمر فى ذلك ولا يقطعه اذ أن المقصود انما هو حصول مثل هذه الاشياء فاذا حصلت للمريد فقد حصل على فريسته فليشدد يده عليها ويغتنمها لئلا تنفلت منه فقل أن يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ أبوسليمان الدارانى رحمه الله اذا الذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد واذا الذلك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد واذا الذلك السجود فلا تقرأ ولا تركع الامر الذى يفتح عليك فيه فالزمه أرأيت انسانا يطلب شيئا فاذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر فى هذا على الصلاة ليس الا بل هو عام فى كل أمر أراده فلو حصل له شئ من هذا فى الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع بركة الاخوان وهى متعددة بخلاف مالو كان وحده وان كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن فى الاجتماع بالاخوان الخير المتعدى حسا لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته وسكناته وأنفاسه فى الخلاء والملأ مضبوطة بالاتباع فى كل ذلك (وينبغى) أن يقتصر فى أوراده على القليل مثل ماتقدم فى أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له شغل أوشئ من العوائق فلا بد من اقامتها اليسار منها الان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك فى المتعلم (وينبغى) له أن يكون أشد الناس حرصا على عمل السر لما تقدم ان عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فينبغى أن يكد فى تحصيله على ما ينبغى (واذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون فى بيته وحده أومع غيره (فان) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة

(وان) كان مع غيره أعني من الاهل وما شابههم (فلا) يخلو اما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدي به أم لا (فان) كان كذلك فاظهاره أولى وقد تقدم أنه لا يخرجه ذلك عن عمل السر معهم (ثم) الامر في ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الاهل أو الاخوان من اذا رأى شيئا من أعمال البر واظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شيء منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم في المتعلم انه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لان المريد لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعضهم انه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وماذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون انه يحبه بخلاف المكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذي حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لا بد من اظهارها وهي أكبر الاعمال وازكاها (لما ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه لن يتقرب الى المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم الحديث بكاله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه (فيتعين) أن يحمل ماذكره على الاوراد التي هي من أعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بما دل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان في حال التجلي فهو مستغرق الاوقات حتى لا يرى غير ما هو فيه لكثرة ما هو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ما تقدم ذكره من قول الحفظة ما ورد ان المكاشف اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى

السيئة خرجت على فيه رائحة منتنة لان هذا قد نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان وأوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السني لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة الشاملة لغيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتي أمر الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى عالم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه وليحذر أن يكون بهيمي الطبع لا يرى النعم الا في المأكول والمشروب والسعة في الرزق لان هذا ليس من حال المريد في شئ بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطي لكل قاصد ما قصده وقد تقدم ان المريد غنيمته ما فاته من الدنيا (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشئ من الاشياء فقلت له أليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوته العري فهو يجد ذلك في كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد (والمقصود والحاصل) انهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحباهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة اسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم فانه ولي ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك في حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقي في الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته في أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا في الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد في بداية أمره يمشي على ما سبق من أوراد المتعلم وأما نهايته فلا حد لها لانهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام

المريد الاغلبة وقد تقدّمت حكاية بعضهم فى السنة التى أخذته وهو جالس فى مصلاه حين صلى ركعتى الاشراق فعرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين لاتشبع من النوم ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتهيأ الحالة النوم ولا للاذكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحواله فى أعماله قل أن تنحصر (لكن) يحافظ على السنة ويشدّد عليها وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم انه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم ان خوف نارك منعنى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى فى الفراش وان كان يعلم انه لا يتأتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة فى كل أحواله فهو المقصود الاعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط) اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فيشدّ على ذلك يده وليحذر أن يعمل أو يغتر بما قد أحدثه بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى وقد تقدّم ان الخير كله فى الاتباع وعكسه فى الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر فى كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن بقلبه اليه وان كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت اليها ويفتقر الى ربه ويعوّل عليه والمريد من أراد ربه دون كل شئ سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر وجاهدته الارادته لربه وايثاره على ماسواه والصوفى من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه وبحضرته السنيه ارتضاهم (واذا) كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم والثوب النظيف أقل شئ يدنسه (وقد) تقدّمت حكاية سيدى الشيخ

الجليل أبي علي بن السماط رحمه الله في دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى فخشى عليه لان هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شيء ما من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فاقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فجعلت لهم عقوبته فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه مع وجود التوبة النصوح منهم (واذا) كان الامر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه في شيء مما يخالف الاتباع ولو قاله من قاله (فليحذر) من البدع التي قررها بعض الناس (وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء (فمنهم) من استحبها وانكر على من تركها وهذه طريقة أكثر اهل الشرق (وذهب) بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة وللسلف الصالح من الائمة رضي الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدي أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الاشياء صوفي سني يعني بذلك والله أعلم ما فيهن بسبيله من العوائد المحدثة التي ليس لها أصل في الشرع ترجع اليه (فمن ذلك) ما ذهب اليه بعضهم من أن المريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى انهم يحبون رؤية القيد في النوم ويكرهون الغل وهذا منه (ولهم) فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه (لكن) لما ان كثر وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيئا منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كمه ويبتدي في ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئا طاهرا وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يبتدي بتشمير كمه الايسر ويبالغون في هذه الاشياء ويسمونها آدابا (حتى) انه قد حكي عن بعض من توغل في هذا الشأن انه خدم شيخه سنين متطاولة فلما ان كان في بعض الايام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطائه على زعمهم فقال يا سيدي

الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الخاطر المهمل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا في أمرين عظيمين أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته والثاني اخباره شيخه بما ليس في باطنه وطائفة الصوفية برآء من ذلك كله (ثم) اذا شمر أكمامه يشد وسطه بشئ ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التى أحدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الارض حائل لا حصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ألا ترى) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الارض لم يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم ألا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك محمول على شدة الالم الذى يوجد في ذلك الوقت بخلاف الالم الذى تحمله البشرة فلا يرخص فيه والخمرة هى شئ مضفور من الخوص قدر ما يضع المصلى عليه الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الارض شئ لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر لا يدخله في الغالب الا من هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هى عوائد انتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لان السنة هى الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمروه بترك السلام لاجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك فليس بالبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه

لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هنالك عند الارتياع وما يشبهه وليس بمكروه والسنة عند لقاء المؤمن لاخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه (ثم) يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشتم ويقلون الادب عليه ويخرقون حرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى ييأسوا من غضبه ويعللون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للأذى اذ أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لاجل ما يرجوه من حاجته وان كان سيئ الخلق ما عسى أن يكون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه (ثم) يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينتظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه ألا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما شابهها من الاكرام للضيف والتودد نقيض ما عاملوه به وأما كسر الابريق فلا خفاء انه اضاعة مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الامر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون انهم محفوظون لا يخالفون ولا يبتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والاجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران اليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا (ومن) كتاب السنن لابي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا

على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخاري) رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يعقون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا أن أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح الجميع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (ألا ترى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء (ثم) ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك بأنه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه في فرشها اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القلب في جهة اليسار فينبغي أن يكون فتحها لتلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل في شيء لان التفاؤل الشرعي انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة في الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب أولى وأحرى (ثم) انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت

له حاجة أولم تكن كان على وضوء أو لم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه في موضعه الذي أخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة القبلة وعاؤه وكذلك في كل موضع يضعون الابريق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشئ والتزام هذه الاشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما تركته لكم فهو عفو (واذا) كان الامر كذلك فلا حرج في وضع الابريق على أي صفة كانت وكذلك في بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين وما لم يرد فيه شئ فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا غيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوي كما هو ثم يقدم رجله اليمنى في وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التي ليس لها أصل في الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها (ثم) يصلي ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها الا ان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلا شك انه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للاكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدي به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث فيجري فيه الخلاف الذي بين العلماء اذا أشرك في النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغي ان هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه في شئ من هذا كله فينبغي له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لاجل رؤية

الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكر أتى اليه بعض أهل
الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذي
فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن موضعه
المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من السنة في شئ
لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه وأما
المعانقة ففيها الاختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها (ثم) انهم
يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذي لا يخلو في الغالب من التعميق
والتزكية وترفيع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق
الله تعالى وقليل ماهم (واحتجوا) على استحباب هذه الاصطلاحات
واستحسانها وأمر الفقراء بها بأن مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم
عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب
الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن
بمشايخهم وقد أمروهم بذلك فلا عتب عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير
وهذا الذي قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله
ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شئ أو استحسن
شيئا جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين
والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه (ولا حجة) في
كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع
ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فحينئذ
يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح
بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ أنه لم يقصد الا خيرا ولكن
المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع في يده فان من وفى واعتدل فهو
غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة
اذ أنه لا يتبع أحد في الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث
الورود على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا
أي فبعدا فبعدا فبعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل
ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الامر كذلك فلا ضرورة

تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتفال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو قال من قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وما ذاك الا أن المريد محافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم أنه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم انه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيئا للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يا بنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعن رباك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء الاكل ان يكون بناحية اليمين فلما أن رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لافتقاره الى الله وتبتله اليه وقد تقدم ما فى تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لا ضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

(فصل) واعلم ان طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف لاجرم أنه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك ان كل طريقة ادعاها الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين أحدهما ان طريقهم مبنى على الفتوة والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيئا يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذيال الفتوة والثانى ان كثيرا ممن تغير عليه فى هذا الزمان أقل ما يقع منه ان يقول لك حدثنى ويقوم فى حميته كثير من الناس فتتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من المحظورات التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع ففطن من لا علم

عنده بحالهم السيء ان سكوتهم رضا منهم بشيء مما رأوه أو سمعوه ألا ترى انهم
اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه ما يخلصون به مهجته من هذه
الغمرات وسروا به واقبلوا عليه لا لحظ دنيوي بل يفعلون ذلك فرحا منهم
بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطر الى من يوصله اليه (وقد ورد)
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه لأن
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل
الى شيء من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد
تقدم) ان اللعين بمكيدته وشيطنته يتتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد
بذلك ان يبدل مكان كل سنة ضدها (ألا ترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر
لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها
وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغي وهما اضاعة
المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس
زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول
ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض وهذا محرم في حق الرجال
متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في
ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب (فالحاصل) انه
حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما
ألقاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من
التعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم
ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه
راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح
ما يغني عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

(فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة) وهذا باب
متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما يقع منه لكثرته (لكن)
نشير الى شيء منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) ان كثيرا
من الناس يدعي الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات من
تقدم من الاكابر ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله

وان عنده من ذلك طرفا (وبعضهم) يزعم انه حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرائى التى يحققها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجريه ودعواه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وانه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو فى اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الامر الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد ان الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل أوليائى لم أزو عنكم الدنيا لهوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلى أو زاركم من أجلى أو أطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون الى المحشر وهم يجرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر ياربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة أو كما قال (وقال) سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فاذا كان المرء اذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة فى كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل فى الثواب (ومنهم) من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضدها (ومنهم) من يدعى رؤية المشايخ ولقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقتهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه (ومنهم) من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من

ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه فى كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويحدثه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقوّل وافتعال لا أصل له ولا فرع مع ان هذا الانكار اذا وقع من أهله فى محله (ومنهم) من اذا أراد أن يلقى شيئا مما يخطر له قدّم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف عند ذلك أنه رأى ورأى وانه خوطب فى سره والغالب انك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موّه عليهم أحد من أهل التمويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التى يدعيها أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ماهم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس الزهد فى الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه يجلس مكشوف العورة وقد تقدّم ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بزعمه من الناس وذلك انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس فقد خرجت من باب الكرامة (اللهم) الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى اظهارها (مثل) ما حكى عن بعضهم انه كان فى مركب موسوقة قمحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة المساطين على الخلق فى وقته فسمع النواتية وهم يقولون ان هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شئ أخذنا الظالم به فالرأى ان نرمى الركاب فى البحر ويبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا القمح فى البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم ان يأتوا بالكيالين فجاءوا بهم فقال اكتالوا ما بقى من القمح فكالوه فوفى ما عليهم أعنى ما كان على النواتية مسطورا ثم ردّ رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين (فما) كان مثل هذا فهو الذى يظهرونه للضرورة الشرعية مع ان لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من

السياج كتاب ما يحاط به اه

دخلاها من استعمل تلك الادوية (لكن) لو حضر أحد من أهل السنة ودخلا معا لاحترق صاحب البدعة والزعبلة وخرج المحق سالما (وقد) وقع ذلك فى حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة فى مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبى عبد الله بن النعمان رحمه الله وما جرى للسنى والبدعى فى دخولهما النار فخرج السنى ولم يحترق وبقى البدعى حممة اهـ (وقد) كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لى سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لولا انى أخاف من سيدى الشيخ ان يطردنى لاخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق فينا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا ويفته فى قصعة ويؤتى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيأتدم به ويطعمه من هنالك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر فى وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من هذه البسيسة التى تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على العادة فأحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له وأين ما تدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره ووبخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأخرجه من ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بما لا حقيقة له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعايشهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أن لو كان حيا الان أكلها لا يجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديبا بليغا وادعاؤهم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النارنجيات والسيمياء وماشا كلها وليس من باب الكرامة فى شئ (وكنت) أشهد مثل هذه الاشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضاحك الناس عليها فى لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الاماكن

يعد ومنها

يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها (ومنهم) طائفة استسنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية وأما اذا كان للضرورة مثل التداوي وغيره فجائز (ومنهم) من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور أبدانهم ويعللون ذلك بأنه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس الليف والاشياء التى لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا أيضا من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة فى الصلاة ولا غيرها (وأشنع) من هذا كله وأقبح ما اتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب (وبعضهم) يجعل فى عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون فى آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من حديد كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه ان اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصى حتى لا ترتكب ولا خفاء فى تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له فى الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصى يأتون بنقيض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم لأن اؤتمن على سبعين عذراء أحب الى من ان اؤتمن على شاب (وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشى به فى يده (وقد ورد) ان الحديد حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون فى هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة (وأشد) من هذا كله ان أكثرهم يدعى أنه على الحق والصواب وان طريقته هى المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون فى أشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهى عندهم كأنها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الاعلام على رأسه وهو لا يخلو اما أن يكون وليا لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان وليا

فالولى لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضا يمشى عليه لفعل حتى
لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من باب
الشهرة والدعوى وأهل الايمان براء من ذلك كله (ألا ترى) الى قول عمر بن
الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه لما ان سأله أن يعظ الناس
ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى (فكل)
من أراد الظهور فليس من أهل الطريق فى شئ بل هو عكس حالهم ولو لم
يكن فيه الا انه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التى وقعت
بسبب الاعلام اذ أنهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا أشرفوا على بلد ذكروا
الله تعالى جهرا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل
الاعلام لاهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى
يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا ونساء واختلطوا
بهم فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا وهذا فيه ما فيه من مخالفة
الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة ان المرأة لا تخرج من بيتها الا لضرورة
شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم ذكرها من
الستر والمشى مع الجدران ولا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن
للقائهم خرجن منكشفات فى الغالب وان تستر بعضهن فبعض تستر فعن
أصواتهن بالزغاليط ويسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى من الشيخ
وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعده ممن ينتمى الى طريق أهل الدين والصلاح
فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على
انعكاس الأمور (وبعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا فيه اضاعة المال وهو
وقود الشمع نهارا حين يتلقونه ويقصدون بذلك القربة الى الله تعالى
وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال أوامره لا بالوقوع
فى نواهيه بل هو نفس البعد والقلا نسأل الله العافية من ذلك كله بمنه (ثم)
مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذى معه ومفاسده قل أن تنحصر
فمن ذلك انه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق
بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيب على من أتى بطعام لا يختارونه وليت
هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يتسطون ما ينفقونه فى تلك

الضيافة

قوله الزغاليط قال فى شفاء الغليل زغلط اذا صوّت بلسانه بغير حروف كما تفعله نساء العرب ولمحمد بن سعيد بارح
سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط والناس فى عرس الربيع مسرة * وللخلق حتى القرف فيه يزغلط
وفى شرح القاموس ان زغردة النساء فى الافراح من زغردة البعير اه وأما الزغاريت أو الزراغيت فهو لحن اه ومعنى زغردة
البعير هديره الذى يردده فى جوفه اه .

الضيافة على الرؤس من غني وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتداينون بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه ومن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو دار وبعض من يعجز عن الهروب يمشي مع كبراء أهل البلد فيجبون عليه مما لا قدرة له به وتفاصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم الا علف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولأصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعني الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حقا ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الأخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا لخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الأحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبسن بعض الرجال ويزعمون انها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوي المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكروه بل افتعال منهم وتقول باطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا عظيما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلال (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأي فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والأذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل الا من اقطاعه مع ان الوالي مأمور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الأمر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشيء مما تقدم ذكره في أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدي بالوالي في هذا الفعل

الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيئا قبيحا وهو استهتار في الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا منهم جهل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى في كتابه العزيز ويأبى الله الا أن يتم نوره فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتي أمر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطي الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء أو سننه أو فضائله وكذلك في الغسل أو في التيمم أو في الصلاة يجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه في صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله في أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به في غيرهما (وقد تقدم) ان من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يوثق على سر من أسرار الله تعالى (فاذا) كان هذا حال الشيخ في جهله بمبادي أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذ الغالب ممن ينتمي الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لانكروا عليهم ما هم فيه فكيف يصحبهم أو ينبهم على ان هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها في الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التي يعطونها شبيهة بالظلم ألا ترى انهم لا يعطونها في الغالب لمن سألها حتى يعطي على ذلك عطاء جزيلا بحسب حالهما ويسمون ذلك بشكران الدخول في طريق القوم فيعطي الشيخ ما يليق به ولخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر أصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم (ثم) مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن في السن ولمن له ثبوت في العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين في بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التى

بأيديهم هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم (وأما) من لم يسألها فهو على قسمين اما أن يكون له وجاهة أو جدة أو أحدهما و يعلمون من حاله انه يميل الى شئ من أحوالهم واما أن يكون عاريا عن الوجاهة والجدة و هو مع ذلك متشوّف للاجازة كالاوّل (فأما الاوّل) فيعملون عليه الحيل في ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال عياله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله و بين الظلمة الآن الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (واما) ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدّة الطويلة ليحصل لهم من تكاف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاوّل وهذا أمر ليس من أخلاق المسلمين في شئ اذ أن من أخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادي أمر دينهم كما تقدّم فكيف بالادعاء الى المشيخة (وقد) قال أهل التحقيق من أهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه في كفه يعني من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى اقتداء الغير به (وأما) الشيخ فلابد له من زيادة على ذلك وهي ان تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه وكذلك أحوالهم في تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيربيهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك في بعض الاحيان ولهم في معرفة هذا أمور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعني انه لا يعرف ما زاد في حال أصحابه وما نقص في غيبته فلا يدعي المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون يتذاكرون في مسائل الدين ومناقب أهل الاحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعي أحد منهم حالا أو مقالا هذا حال القوم

مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم في دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العليه والاحوال السنيه لايدعون لانفسهم حالا ولا مقالا بل يقول اكثرهم الى الآن ما احسن ان اتوب حتى قال قائلهم

يظنون بي خيرا ومابي من خير * ولكنني عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبي كلها عن عيونهم * والبستني ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبوني ولست انا الذي * احبوا ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم * ولا تخزني يارب في موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضي الله عنه لولده لما ان رأى منه شيئا لا يعجبه يا بني اما تعرف قدرك فقال لي وماقدري فقال له أمك اشتريتها باربعمائة درهم وابوك لا اكثر الله مثله في الاسلام (هذا) مقالهم مع وجود الاحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطي الاجازات وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم) يدعي الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صوّر لها وجها وعينين وانفا وفما ويأخذ بيده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير او خيط كأنه لجام لها ويضربها ويجري (وبعضهم) يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوي فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفي منه احد كأنه امرأة من جملة نسائهم ويعيبون على من استتر منه ويقولون هذا موله (وهذا) أشد قبحا من الاول لانه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوّله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدّم ذكرهم (فكيف) يدعي الولاية مع ارتكاب نهي صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول من صوّر صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا (ولا فرق) بين من صوّرها او استعملها او رضي بها وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشيء من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوّب فعله بان يقول هذا ولي الله وانما هو يخرب على نفسه ويخرب بيت هذه الطائفة انما يكون بسالم يعارضهم فيه امر ولا نهي وهذا قد عارضه النهي الصريح كما تقدم (ولو لم يكن) للجريدة صورة لاحتمل التخريب

وغيره (هذا) ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك فى سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الوله فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت الى الدخول فى هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والاولياء محفوظون فى ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

(فصل) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهى أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول فى الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان فى عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول فى الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

(فصل) ومن هذا الباب أيضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى وما كان مراده الا ان يذكر الناس بالاحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لا مدخل لها فى ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها فى ذراعه وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كانه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر وباللسان الآخر يتكلم به فيما اختار فلم يبق الا ان يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم) العجب ممن يعد

على الصحة حقيقة و يحصر ما يحصل له من الحسنات ولا يعدّ ما اجترحه من
السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا
فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء نفسه فيما يتصرف فيه
باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة الطاهرة فما وافق من
ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقى خائفا وجلا خشية من دسائس وقعت
له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة فى ذلك ورجع الى الله تعالى
بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة ويجبر بذلك ما وقع له من
الخلل (وهذه الطائفة) أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس
والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ فى كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك
السيئات أوجب من فعل الحسنات (لما) فى الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام اتق المحارم تكن اعبد الناس (وقد) حكى عن بعضهم انه بكى
أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافنى أخ لى فقدمت له سمكا
فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جارلى فغسل به يديه فانا أبكى على ذلك
التراب الذى أخذته منذ أربعين سنة (وحكى) عن آخر مثله فسئل عن ذلك
فقال طمع فى طلوع عرفيه فاستوحشت فانا أبكى عليه لعدم رضائى بما فعله
الله بى أو كما قال (وأسوالهم) فى هذا المعنى قل ان تحصر فاذا كان هذا حالهم
فى مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بمن يحمل الاثقال وأى أثقال ثم يحصر
الحسنات ولا يفكر فى ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يحتج
بأنها حركة ومذكرة فواسوأتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب
فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد فى الحديث
ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك
باظهار شئ ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون
أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من
دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون
(وبالجملة) ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغى
له ان يكون عارفا بما وله ما يتجر فيه فلا يترك ما له فيه سبعون ضعفا ويأخذ
ما له فيه شئ واحد هذا مع السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به

مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على
اعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعقد على أنامله لكان نور ذلك الذكر
وبركته في أنامله (وقد ورد) ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض
أزواجه فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقالت
يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هنالك أو كما قالت فقال عليه
الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أناملك فهذا ارشاد منه عليه
الصلاة والسلام الى الافضل والأولى والأرجح وقاعدة المريد أن لا يرجع
الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدي أبو محمد
رحمه الله اذا قرأ في الختمة جعلها على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى
وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التي يتلوها ويتعمد ذلك ويعلله
بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكي يكثر الثواب
بذلك فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

(فصل) ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لا شك في تحريمه وابطاله
فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له
تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد
أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه
الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شيء من ذلك لكان سببا
للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا مأثوراتهم (ومنهم) من
يأخذ العهد على أن ينتمي لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق
الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى
مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدي أين هو وحصل بسبب
ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم في حق
غير شيخه الذي ينتمي اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدي غير
هذا كله (ولذلك) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول طريق القوم
واحدة (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله يقول سنة الاصحاب
واحدة يعني أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا)
يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه

المعتبر عندهم اذ انه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر أيضا
الانتماء الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه
بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع و يكون ايثاره لشيخه بسبب انه
كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضيل
لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجد وا ما تكافئوه فادعوا له
حتى تروا انكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله يأبى أن
يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن
عبد الله يعنى نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد
لا أوفى بما اخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب فى ذلك
فاتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب
بالاستقامة أو كما قال (والحاصل) من أخذ العهد هو أن يأخذ الشيخ العهد
على المريد بأنه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته
وأصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قل أن تتناهى وهى الامانة التى
عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فقال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما
لنفسه جهولا بأمر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير من وفى والحمد
لله وكثير من دخل فى جاه من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقى كثير من المحققين
ينتمون الى المشايخ ليكونوا فى حرمتهم (واليه) الاشارة بقوله فى الحديث
اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم
(فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد)
خرج الترمذى عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم الى
الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا
يا رسول الله فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة
ولا صوم الا انى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام

كفرهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظان أن هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعني على نفسك بكثرة السجود (لأن) هذا طلب منصبا عظيما فأرشده عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه السلام أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا فأرشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد حصلت السعادة ان نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام لوضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع ما فيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرين (فاذا) جاء أحد ان تقدم ذكره ليتوب على يديه أو قمعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفي هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يسمي لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد او ارتكاب كبيرة ممن فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعي يجيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة بمنه من بلائه (ومنهم) من يتعانى اتخاذ الحروز الكثيرة

ويجعلها في عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح
بها وهذا شهرة من فعله وشوه ظاهر وإن كان يدعي أنه فعل ذلك للتبرك
والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بأن يعلق ذلك عليه
من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع
لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يأخذ
سبحة كبيرة ويعلقها في عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل
والقال والتحدث في أمور الغيب إظهارا منه أنه يكاشفها ويخبر بوقوعها
(ومنهم) من يتخذ منها انبساطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون
به وذلك كله من الشهرة والشوه والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف
الماضين رضي الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا
يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس في الجامع ينتظرون
الصلاة فإذا أقامت الصلاة وقام الناس إليها قام هو في جملتهم فإذا ركعوا
وسجدوا بقي واقفا ينظر إليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك
حتى يفرغ الناس من صلاتهم (وأقبح) من هذا وأرذل من يعتقد من هذا
حاله ويرى أنه ممن يتبرك به وأنه من الواصلين ويتأول بأنه يصلي في مواضع
أخر وإنما هذا منه تغريب على نفسه حتى لا يشعر ولا يعتقد وتأويلهم هذا
من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة في الدين
واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التي هي عماد الدين
ورأسه وأول أركانه بعد كلمتي التوحيد إذ أن من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا
ضرورة تدعو إلى التغريب لأن من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة
المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضي الله عنهم سيما إن أنكر عليهم
ما هم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا
الزمان النفور منه لأنهم يزعمون أنه قد ضيق عليهم وهو إنما ترك العوائد
والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس في الغالب
النفور من الحكم عليها (وقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا حق ما
أبقيت لي حبيبا (وقد) كان السلف رضي الله عنهم على عكس هذا الحال
من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على

غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه وأبغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم
والتعظيم ممن لا خير فيه يظهر الابتداع حتى يعتقدوه على ذلك (وأما اليوم)
فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشي عليها ولا ينكر على
أحد ما هو فيه فمن أراد التقرب في هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم
ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه
وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه (ثم) ان المحرب لا يخلو حاله من أحد أمرين
اما ان يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد
تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء وأما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله
عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله (ثم) انهم يتغالون في اعتقادهم
فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق على
من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشئ
من المحرمات أو المكروهات أو هما معا (ثم) ان المتبع من الناس في اعتقاده
على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فأى
شئ فعله أو قاله أو أشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهى مثل ان يقول
هذا موضع لا أدخله لاجل انه مغصوب أو استعمل المسلمون فيه الغصب
أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان
وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد
تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما
وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك
فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وماشا كله اذ ان اتباع لسان العلم هو المتعين
على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول انى
لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل
الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة
عظيمة وهى انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب
ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان
الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس
والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع (والقسم الثانى) وهو غير المعتقد

يقول هذا بائس مشتد مر بوط يشير بكلامه وحاله الى ان غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم (وكلامهم) هذا يرده ما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من أمتي قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي (وروى) أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم اذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا اه والاحاديث في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

* (فصل) * ثم ان غالب حالهم ان اعتقادهم يدور بين أمرين (فمنهم) من يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم ينفصل عن اعتقاده (ومنهم) من يدوم اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما تقدم وكذلك يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم اذ ان القطب انما هو واحد وهو أعز من ان يجتمع به الا الواحد من الافذاذ ومع ذلك قل من يعرفه لان صفته كما قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الانوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الاربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء وقد سترت أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما كجاهل أبله فطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا اه (ومنهم) من اذا حصل له اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شحناء بين أصحابهم ومن ينتمون اليهم حتى انهم ليرجعون أحزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهم لصاحبه كما تقدم (وقد) حدثني بعض الفقراء ممن كان يحضر مجلس سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله انه كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي جمرة رحمه الله فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الا رجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال

فمضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم فى الدرس
والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدى أبى محمد المرجانى رحمه
الله فتعجبت وقلت فى نفسى أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبى محمد
المرجانى فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر الى ثم رجع
يتكلم فيما كان بسبيله فقال فى أثناء كلامه ينبغى للفقير اذا دخل على الشيوخ
ان لا يفضل من تلقاء نفسه شيخا على غيره يامسكين هذا الذى تفضله
لو سألته عمن فضلته عليه كان جوابه ان يقول هو بركتى وهو كذا وكذا وارجو
من الله تعالى ان ينفعنى به الى غير ذلك فربما كنت أفضل من ناطق فيجىء
أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى
وأخبرك ان فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الادب والاحترام
فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العمل حتى يحرم
الاعتقاد ما هذا المحال قال فبقيت أتوب وأستغفر الله له بسكت فاسكت
الابعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغى ان يفضل بين شيخين
الا بأحد أمرين بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر
أو يكون الذى يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما الان من هو فى مقام
يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبى صلى الله
عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على
مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه
ويؤثره على غيره ممن هو فى وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله
تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبى صلى الله عليه وسلم
يقول من رزق فى شئ فليلزمه وقال فى حديث آخر جبلت القلوب على
حب من أحسن اليها ولاشك ان الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من
الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا فى بحر
التلف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان
أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو محبة المريد لطاعة ربه عز وجل
فلما أن رأى عند شيخه ما هيه التزمه لمحبوبه الذى وجده عنده (وقد) كان
بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض

الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيئا فكان جوابه أن قال هو في
خدمة (وقيل) لا خوا بضا وقد رأوه واقفا بباب عدوه فعذلوه في ذلك فأخبر
بما تقدم وهو أن عدوه بعده والمريد بنيته وخاطره وكليته راغب في طاعة
ربه عز وجل متسابق في الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد
احكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن
الجميلة (فالحاصل) من هذا انه بعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع
السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له
شئ من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها (ومنهم) من يسلم بواسطة
أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة في زاوية
خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له
ان يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار في الهواء
فدخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أى موضع أقصده فوقع له ان
يأتى الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ في وقته فأتى الى باب داره ونزل
فدق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت
شيئا تأتيني به الا بهذه الكرامة والله لا كلمتك بعدها أبدا فأدبه بذلك وكان
سبب احتفاظه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى (ومثل) هذا ما حكى
عن بعض المريدين انه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا
له هو في عافية فأرسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال
يا سيدي كنت أجئ لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو الى
الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره انه في كل ليلة يصلى ورده في الجنة
فقال له الشيخ يا بني والله ما دخلتها أبدا فهلا ان تفضل على فتأخذني معك
لعلى ان أدخلها كما دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما أن كان
بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذى
يحملني في كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر
فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد يصلى وقعد
الشيخ فقال له المريد يا سيدي أما تقوم الليلة فقال الشيخ يا بني الجنة
هذه وليس في الجنة صلاة فبقى المريد يصلى والشيخ قاعد فلما ان طلع الفجر

جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ
اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب بأجنحته
ويصيح حتى أراهم ان الارض تتحرك بهم فبقى المريد يقول للشيخ قم بنا الئلا
يجرى علينا منه شئ فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من
الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين
الضوء واذاهما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد
وقال له هذه هى الجنة التى أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك
أو كما جرى (وحكاياتهم) فى هذا المعنى قل ان تحصر (والحاصل) منه ان
الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك
فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا
(واذا كان) ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعى حالا ولا مقاما خيفة
أن يفسد على نفسه مامنّ به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان
ابتداء (وكثير) من الناس فى هذا الزمان ممن ليس له رسوخ فى الطريق
بل بعضهم منغمس فى الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين الى الله
وليس له ذوق فى طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة منه
(ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا فى مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر
مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما
ان كان فى وقت البرد وقد يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة
قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من
الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم
لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل
لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعنى من أصحاب الخرقة دون
غيرهم (ويزيد) بعضهم حل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه
(وبعضهم) يبالغ فى هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجانى على زعمه وضربه
بالجماجم والجريد وغيرها وهذا قبح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعى
الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ أنها مبنية على الصفح والتجاوز
والاغضاء مالم يكن فى أمر الدين فان كان فى أمر الدين فيكفى فيه الهجران لا غير

الجماجم جمع جمجم
وهو المداس
معرب اه

وفيه مقنع للعاني والجني عليه وغيره هذا ليس من السنة في شئ (وطريقهم) انهم اذا وقع أحد منهم في مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه (ثم زاد) بعضهم على ذلك اعتقادهم انه من طريق القوم الصادقين (وقد) تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شئ من المكروه الذي وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى في انقاذ من وقع منه ذلك (وينبغي) أن تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى اذ لو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك في الغالب (ألا ترى) الى ما جرى لسيدي أبي علي بن السماط شيخ سيدي أبي محمد المرجاني رحمهما الله تعالى ان بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانيا فأبى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزني قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته واغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسيح في البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فقال من أين أصابني المرض من هنالك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شئ تفعله أتظن انك لنفسك (بل) كثير منهم لا يحملون أن يروا من ينتمي اليهم في ذروة مما لا ينبغي (ألا ترى) الى ما حكي عن بعضهم انه رأى بعض أصحابه في الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالي أراك ههنا فقال له لاجل فضيلة الصف الاول والقرب من الخطيب فقال له أما تعلم أن البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه (وأقل) ما يمكن في التغيير أن لا يرى شيئا يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن أصعب ما في التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل أن يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو أصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمله (وما) ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة (ألا ترى) الى ما حكي عن بعضهم انه قال أول بدعة رأيت بالت الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) ولو البدع ظهور كم وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه (فكيف) يقبل المكاف على شئ

من ذلك أو يصغي اليه وأما ان فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالخلاص منه أقرب وأيسر (الماوردي) فمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثا اه ثم ليمض لسبيله ويعرض عنه

(فصل في مكاتبة الفقير لأخيه) وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتمويق والقوافي والسجع والعبارات القلقة والتكلف اذ أن ذلك لا يجوز (ألا ترى) ان كتب السلف رضي الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة اللازمة له (فان قيل) قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له ان معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أي الذي يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة انما هو بالقلوب لا بالقلقة من الالسن كما هو الحال في هذا الزمان فهذه بعض نبذ يستدل بها على ما عداها (وأما) طريق كثير من الفقراء المسافرين أعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل ان تجد للاتباع فيها سبيلا (فمن ذلك) ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل ان تنحصر وفيما ذكر تنبيه على ما عداه والله الموفق

(فصل في صرف همم المريد كلها الى الآخرة وأمورها) وينبغي له أن يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة اذ أنه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعاب غير ذلك الا من طريق الامتثال لان غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذي لا ينقطع (الا ترى) الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف الواصف متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه (وكان) يقول أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في اي ديوان اسمه هل في الجنة او في النار (وقد) سأل رجل احمد بن حنبل رحمه الله ان يعظه (فقال) له الامام احمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من امر الآخرة فزادك الله هما وان كان من امر الدنيا ففرج الله همك (وقد) انشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لاتجزعن اذا ما الامر ضقت به * ذرعا ونم وتوسد خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(فصل) هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي ان نختمه بذكر شيء من احوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره واحواله ولكي يكون سالما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ما ذكره الباجي رحمه الله في كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال احدهما لصاحبه اني رايت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة فرايت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما من شعرة في جسده

ولا رأسه الا وفيها نوران ورأيت اتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب
اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال اقاهي رؤيا رأيتها فقال كعب والذى
نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي انت
وامي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا
اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن
فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع
الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأبي أنت
وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان
يكونوا أطاعوك وهم بين طباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا
تتفجر منه الانهار فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله
عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا
غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سرت عليه
الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بأبي
أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء الموتى
فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لاتأكلني
فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا
فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد
اتبعك في احداث سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره
فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لو لم
تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولو لم تنكح الا كفؤا لك مانكحت الينا ولو لم

تؤا كل الاكف فؤالك ما آكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض واعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك (ومن كتاب) التفسير للطبري رحمه الله كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنف من لبس يلبس ما وجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان أحب اللباس اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا أو رداء ويقول اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلي فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة (وكان) يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن علي) رضي الله عنه انه قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفي وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله في خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه مما يلي بطن كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة (وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتي في الدنيا النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه ويتبخر بالعود ويطرح فيه الكافور (وكان) يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثا في كل عين وربما اكتحل ثلاثا في اليمنى واثنتين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم (وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن

(هامش) ...ة كعقبة اه

(هامش) الوبيص البريق وزنا ومعنى اه

رأسه ولحيته (وكان) يكثر دهن رأسه ولحيته (وكان) يرجل غبا (وكان) ينظر في المرآة وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك (وكان) اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين (وكان) صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نغر ابنها من بني أبي طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت المرأة وفتحت عيني زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في عينيك بياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفي عينيه بياض وجاءته أخرى فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا (وقالت) عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني ثم ضرب كتفي وقال هذه بتلك (وجاء) صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشتري هذا العبد فجعل يلتصق ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجدني كاسدا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا (ورأى) رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية في الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفر مرة هاهنا وهاهنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى

قوله نغر بوزن صرد طائر كالعصفور أحمر المنقار اه

يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على
عائشة والجوارى يلعبن عندها فاذا رأينه تفرقن فيسيرهن اليها (وقال) لها
يوما وهى تلعب بلعبتها ماهذه ياعائشة فقالت خيل سليمان بن داود فضحك
وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال مالك ياحميرا فقالت بأبى انت وأمى
يارسول الله ادع الله ان يغفر لى ماتقدم من ذنبى وماتأخر فرفع يديه حتى
رؤى بياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة
لاتغادر ذنبا ولاتكسب بعدها خطيئة ولااثما ثم قال صلى الله عليه وسلم
أفرحت ياعائشة فقالت اى والذى بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى
بالحق ماخصصتك بها من بين أمتى وانها الصلاتى لامتى بالليل والنهار فيمن
مضى منهم ومن بقى ومن هو آت الى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة
يؤمنون على دعائى (وكان) عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويبسط رداءه
له كرامة وجاءته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بأمى
وأجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع انه كان
متواصل الاحزان دائم الفكرة لايمضى له وقت فى غير عمل لله أو فيما لابد له
أولاهله أولا بد منه وماخير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا ان يكون فيه
قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه
ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار
ويردف خلفه عبده أوغيره ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه
(وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكأ على العصا من أخلاق الانبياء (ورعى
الغنم) وقال مامن نبى الاوقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد
ما جاءته النبوة (وكان) لايدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه
يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفال ويكره
الطيرة ويقول مامنا الا من يجد فى نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان)
اذا جاءه مايحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه مايكره قال الحمد لله على
كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا
وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى فيه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير
مودع ولامستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه

وحده الله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا) جلس في المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا أفاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلي في سبحته قائما وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان (وكان) صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظار الوحي (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا (وكان) اذا رأى في منامه ما يروعه قال هو الله ربي لا شريك له (واذا) أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه (ويخزن) لسانه ولا يتكلم في غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فصلا لا فضولا ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقوله ويأتيك بالاخبار من لم تزود (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه (وكان) لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء (وكان) يعصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى الله عليه

السبحة بضم فسكون النافلة

وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (وأكل) لحم الدجاج (وكان) يحب
الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الظهر
(وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يعجبه الثفل
يعني ما بقي من الطعام (وكان) يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (وأكل)
صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا أدم هذا (وأكل) صلى الله
عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا
والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس
ثلاثا واذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه (وشرب) صلى
الله عليه وسلم لبنا وقال من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا
خيرا منه فاذا كان لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال) صلى الله
عليه وسلم ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد) الباجي
رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى
(كان) أحلم الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا
يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه أسخى الناس
لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو
الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه
فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى
لا يسئل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل
انقضاء العام أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة
العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن وتستتبعه الأمة والمسكين
فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه منذ بلغه باطن قدمه
يشهد الجنائز أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من
غير عي لا يهوله شيء من أمر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين
ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل
معذرة المتعذر يخرج الى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته
ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا قد جمع الله

الثفل بالضم كالقفل

تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا (قال) الباجي رحمه الله وذكر العتبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ الاعرابي يقول

ياخير من دفنت في الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ياعتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن و يعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يارسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قيل يارسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ماأفسد الناس من بعدي من سنتي *

قد تم بحمد الله الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث
اوّله الكلام على الميت وما يتعلق به وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين